The Tenth International Conference on Languages, Linguistics, Translation and Literature



المؤتمر الدولي العاشر حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب

دهمین کنفرانس بین المللی بررسی مسائل جاری زبان ها، زبان شناسی، ترجمه و ادبیات

WWW.TLLL.IR

1-2 February 2025 , Ahwaz

١-٢ فبراير ٢٠٢٥ ، الأهواز

۱۳–۱۴ بهمن ۱۴۰۳ ، اهواز

مجموعة بحوث المؤتمر– المجلد الثاني















مجموعة بحوث (المجلد الثاني)
المؤتمر الدولي العاشر حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب

د. سيدحسين فاضلی

سنة النشر: ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م



دار الأهواز للطباعة و نشر البحوث و العلوم
(بموافقة الوزارة رقم ١٦١٧١)

الأهواز / الصندوق البريدي: ٦١٣٣٥-٤٦١٩
WWW.APSB.IR , Email: info@apsb.ir

سرشناسه	: کنفرانس بین‌المللی زبان‌ها، زبان شناسی، ترجمه و ادبیات (دهمین : ۱۴۰۳ : اهواز)
	International conference on languages, linguistics, translation and literature (۱۰th : ۲۰۲۵ : Ahwaz)
عنوان و نام پدیدآور	:
	مجموعة بحوث (المجلد الثاني) - المؤتمر الدولي العاشر حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب / سیدحسین فاضلی.
مشخصات نشر	: اهواز: پژوهش و علوم، ۱۴۴۶ ق.= ۲۰۲۵ م.= ۱۴۰۳ -
مشخصات ظاهری	:۴ ج، ۱۴۰ ص.؛ ج.؛ ۲۲×۲۹ سم.
شابک:	شابک دوره: ۹۷۸-۶۲۲-۵۱۳۷-۰۰-۴ ج.۱: ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۱۵۰-۶-۰
	ج.۲ : ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۱۵۰-۷-۷ ج.۳: ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۱۵۰-۸-۴
	ج.۴: ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۱۵۰-۹-۱
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی.
یادداشت	: کتابنامه.
موضوع	: زبان شناسی- - کنگره ها
	Linguistics -- Congresses
	زبان‌شناسی -- ایران -- کنگره‌ها
	Linguistics -- Iran -- Congresses
	زبان انگلیسی -- ترجمه -- ایران -- کنگره‌ها
	English language -- Translating -- Iran -- Congresses
	ترجمه -- ایران -- کنگره‌ها
	Translating and interpreting -- Iran -- Congresses
شناسه افزوده	: فاضلی، سیدحسین، ۱۳۵۷ -، گردآورنده
شناسه افزوده	: Fazeli, Seyed Hossein
رده بندی کنگره	: P۲۳
رده بندی دیویی	: ۴۱۰
شماره کتابشناسی ملی	: ۸۶۷۸۵۸۰
اطلاعات رکورد کتابشناسی:	فیپا

مجموعة بحوث (المجلد الثاني) - المؤتمر الدولي العاشر حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب

د. سیدحسین فاضلی

ISBN:978-622-91150-7-7

WWW.TLLL.IR

نوبت چاپ: اول ۱۴۰۳ ، تیراژ: ۱۰۰۰ نسخه ، قیمت: ۱۰۰۰۰۰ ریال

سنة النشر: ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م



دار الأهواز للطباعة و نشر البحوث و العلوم

(بموافقة الوزارة رقم ١٦١٧١)

الأهواز / الصندوق البريدي: ٦١٣٣٥-٤٦١٩

WWW.APSB.IR , Email: info@apsb.ir

قائمة المحتويات

قضايا الرواية في إفريقيا عند ج. م. كويتزي

د. وافية مريبعي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة امحمد بوقرة بومرداس، الجزائر

الملخص

إنّ الانتماء الجغرافي للقارة الإفريقية يُحتّم علينا كباحثين الاهتمام بالأدب الإفريقي بشقيه الشعري والنثري، خصوصا وأنه لا يزال أرضا خصبة للدراسة، وموضوعا مهما في الدراسات الكولونيالية وما بعدها. وتأتي مناقشتنا لقضايا الرواية كما عرضها ج. م. كويتزي في محاضرته انطلاقا من مقاربة ثقافية، نتتبع فيها مسار الرواية في إفريقيا وقضاياها بما تحمله من حمولات تاريخية، وجغرافية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية، خصوصا وأنه عُرف عن الإفريقي غناه بموروث ضخم من ألوان الفنون الشفوية مقارنة بالرواية التي يعتبرها البعض نوعا أوروبيا جاء بالاستعارة مع الهجمة الإمبريالية على القارة السمراء. وخلافا لذلك، خلصنا إلى نتيجة مفادها أنّ الرواية كنوع أدبي ليس محصورا بهوية مركزية واحدة ما دامت أنها قد رضعت من الأساطير والميثولوجيا عبر تاريخها الطويل وهو ما يجعلها متاحة للجميع. ثم إن الرواية قد تجد مستقبلها في إفريقيا بعدما استنفذت ماضيها وتجاربها في أوروبا. إنّ التراث الشفهي المتنوع في إفريقيا المتعالق مع نص الرواية المكتوب سيجعل منها أكثر تميّزا وأكثر حساسية وأكثر غنى. على أنّ الكتابة بلغة المستعمر تظلّ قضية دائمة الحضور، لكن قد يكون لها دور إيجابي إن نُظر إليها من زاوية أخرى، فهي ستوسع مساحة المقروئية من جهة، ومن جهة أخرى، سيكون ذلك عاملا من العوامل التي تؤدي بالرواية الإفريقية إلى العالمية إنْ تمّ استيعابها بعيدا عن أية حساسية، لكن مع تشجيع اللغات المحلية أيضا التي تمّ إفقارها إبان الاستعمار وإعادة إحيائها من جديد. وأخيرا، لا بد للمؤسسات الحكومية في إفريقيا بذل جهد أكبر في إبراز الأقلام الجادة بدل دفعهم إلى الهجرة بعيدا عن أوطانهم.

الكلمات المفتاحيّة: الرواية، إفريقيا، الإمبريالية، ما بعد الكولونيالية، الفنون الشفوية.

مقدمة

يأتي اهتمامنا بالرواية تحديدا، بسبب القضايا التي شغلت هذا الجنس الأدبي، فعلى خلاف الشعر والدراما والمسرح، عرفت إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تحديدا، "خلافا مريرا ثار في عهد الحرية والاستقلال حول الأنواع الأدبية الأخرى التي طورتها أوروبا، وقدمتها إلى العالم في صورة ناضجة، وعلى رأسها الرواية والقصة القصيرة والسيرة. فمن الثابت أنّ هذه الأنواع الأدبية الثلاثة الأخيرة دخلت إفريقيا كلها عن طريق الاحتكاك المباشر بالآداب الأوربية الحديثة". (شلش، ١٩٧٨، صفحة ١٢٥)

إنّ اهتمام ج. م. كويتزي J .M. Coetzee بالرواية في إفريقيا ينجم عن كونه روائيا أولا، وفردا ينتمي إلى هذه القارة ثانيا. وهو ما سنعرضه في هذه البحث بالتفصيل.

ألقى ج. م. كويتزي محاضرة بعنوان "الرواية في إفريقيا" على جمهور متميّز من جامعة بيركلي بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩٨م، استجابة لدعوة كان قد تلقاها من مركز تاونسند للعلوم الإنسانية، لدورة محاضرات "آنا" السنوية. (كويتزي، ٢٠٠٤، صفحة ٤٠)

تكمن أصالة محاضرة هذا الروائي والأكاديمي الجنوب إفريقي في اختياره موضوعا ينتمي إلى جغرافيا متمايزة ثقافيا عن الجمهور المستمع. إنّها "الرواية في إفريقيا" حيث يعيش ج. م. كويتزي الخبير بها وبسياق وجودها وتشكلّها. وبتحدّيه السقوط في فخ بحث أدبي نقدي صارم، نسج —كعادته- شكلا جديدا لهذا الطرح بحبكة قصصية تلائم الغرض المنشود.

على ما يبدو أن الجمع بين "الرواية" و"إفريقيا" عند ج. م. كويتزي يُحيل في الواقع إلى توأمة غريبة بين علامتين متضادتين، فالرواية جنس أدبي أوروبي بامتياز عند الكثيرين، وهي كما يصفها ميلان كونديرا- على سبيل المثال- بكثير من الزهو الذي لا يخلو من تعصب، "مبدع أوروبا، وتنتمي اكتشافاتها جميعا، حتى ولو تمت بلغات مختلفة، إلى أوروبا كلها". أما إفريقيا المشبعة بإرث شفاهي لا ينتهي، فإن الرواية فيها تُعدّ حسب الناقد أ. ر. داثوربي "الشكل الفني الأدبي الوحيد الذي دخل عن طريق الاستعارة الخالصة، وفُرض —فوق هذا- على تطور النموذج المحلي" (شلش، ١٩٧٨، صفحة ١٢٥) . ولهذا لا نستغرب أن يُرشح كويتزي لموضوعه النقدي المحبوك قصصيا بطلين تخييلين مختلفين تماما، يُمثّل أحدهما الرواية في أوروبا من جهة، والآخر الرواية في إفريقيا من جهة ثانية: الكاتبة الأسترالية ذات الأصول الانجليزية إليزابيث كاستلو، والكاتب النيجيري أمانويل أجيدي، اللذيْن سيجمعهما مكان واحد (سطح سفينة بحرية "س. س. نورثرن لايتس") لعرض محاضرة حول الرواية، لكن النقاش سيتجه أساسا نحو الرواية في إفريقيا، هذا الموضوع الغريب. فما الوصف الذي قدمه كويتزي لصورة الرواية في إفريقيا؟ وما هي أهم قضاياها؟ وأية حبكة ستكون ملائمة لهذا الغرض النقدي؟

ننوّه إلى أنّ ما يُميّز نص كويتزي هي النبرة الساخرة المكتومة، حيث يمكننا أن نسمع صوتين مختلفين لشخصية واحدة، وهي شخصية الراوي التي يبدو أنها تتطابق مع الكاتب كويتزي هنا، بل يجعلها مطية لبثّ أفكاره ورؤاه حول الرواية عموما، والرواية في إفريقيا خصوصا، وكذا موقفه منها. لقد اختار كويتزي لقصته النقدية راويا مجهولا بالنسبة للقارئ، كليّ الحضور، وعالِم بكل شيء، نسمع دائما منذ بدايتها وصفا ساخرا مستترا في غالب الأحيان من الكاتبة إليزابيث كاستلو في كل قول أو فعل، منذ اختيارها العرض المغري من شخصية مجهولة رمز لها كويتزي بالحرف "س"، لكنها معلومة عند البطلة ولها سابق معرفة بها، وسيسرّها عبر هذه الفرصة الثمينة أن تتسلّى وتُرفه عن نفسها، و تضع قدمها على جزيرة نائية من البشر "جزيرة ماكيري"، بعد أن تتخلص من عبء حديثها عن الرواية، نصها المكرر، القديم والجديد، الطويل والقصير، الذي لا تفتأ تكرره في كل المناسبات، إنّ "مستقبل الرواية" هو"حديث سبق أن قدمته من قبل، في الحقيقة، عدة مرات من قبل، مطولا أو مختصرا بما يعتمد على المناسبة .. لا شك أنّ هناك ترجمات مطولة أو مختصرة عن الرواية في إفريقيا، وعن الحيتان أيضا، وقد اختارت نصا مختصرا من أجل هذه المناسبة". ولا شك أنّ الهُزء المشبوب في الحوار الداخلي لبطلتنا لا يخفى على أحد وهي تساوي بين الرواية في إفريقيا وبين الحيتان، مما يجعلها لاحقا عرضة للصدام مع أجيدي الكاتب النيجيري المشاكس الذي اختار أن يكون موضوع حديثه "الرواية في إفريقيا".

سنحاول الآن فهم طبيعة أسلوب كلا المتكلمين وبيان الفروقات الموجودة على مستوى خطاب كل منهما وشخصيته بشكل مقتضب بما يناسب موضوعنا الأساس.

أ- "مستقبل الرواية" عند كاستلو ومتاعبها الإيمانية

نعتقد جازمين أن استعمال الرمز وبعض الإشارات الضمنية الموحية في تحديد كلا الطرفين عند كويتزي حاضرة بقوة في القصة، فالكاتبة الأسترالية المشهورة - ذات الأصول الأوروبية- التي ارتبطت شهرتها برواية واحدة عُرفت بها منذ زمن بعيد (رواية منزل في شارع أكسل)، لم تعد تحتفظ بذلك البريق في صباها، وهي التي يزعجها أن ترتبط بكتاب وحيد صدر منذ زمن بعيد.

يبدو أن الكاتبة ركنت إلى الخمول والكسل، تعيد اجترارها حديثا واحدا ووحيدا كلما سنحت لها فرصة ما أمام جمهور يشبهها. لكنها تملك من النباهة ما يجعلها تتوارى خلف الجمهور عن أجيدي الذي ربطته بها علاقة عاطفية في ماضي شبابها،

تُحقِّره، وتُحقِّر موضوعه الذي لا يثير اهتمامها، وتعتقد أن لا خصوصية في الرواية في إفريقيا غير أنّها جنس مشوّه على أيدي هؤلاء البشر الذين يواجهون قضايا شديدة التعقيد يعجزون عن إيجاد حل لها.

يحتل الحديث الذي قدمته الكاتبة كاستلو صفحة كاملة في أربع فقرات منها القصيرة، ومنها متوسطة الطول. عنوان كلمتها "مستقبل الرواية" يوحي إلى مستقبل الرواية الأوروبية التي تمثّلها. لكن هذه الكلمة التي استهلكتها أكثر من مرة، وأضافت إليها وحذفت منها بما يناسب كل حدث، لا تعنيها في الحقيقة، ولا تؤمن بها. فالقارئ لخطابها المفكك لا تربطه رابطة واضحة بين جمله ومعانيه، يشعر بعدم الثقة فيما تقوله. إنه خطاب مهزوز فاقد للحجّة، لا بريق له، ولا يضيف شيئا. لقد "بدأ التعب يبدو عليها، وكذلك عدم الاقتناع. من ناحية أخرى... لم تعد تؤمن بقوة شديدة أكثر من ذلك في الإيمان... (..) إذا كانت لديها متاعب إيمانية في مداخلتها، فإنّ لديها متاعب أكثر شدة في منع عدم الاقتناع بذلك من أن يظهر في صوتها، رغم أنها مؤلفة، مرموقة، (...) ورغم حقيقة أنّ مستمعيها من نفس جيلها، وهذا ما يعني أنّهم يشاطرونها ماضيا مشتركا، فإنّ التصفيق في نهاية محاضرتها كان يفتقد إلى الحماس". (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٤٩- ٥٠)

إنّ هذه العجوز التي ترمز للرواية ولقارتها الأوروبية، قد استهلكت كل قدراتها الفنية، كل ما تملكه من قوة. وهكذا هي الرواية في أوروبا، مستنفذة تماما وتواجه مستقبلا غامضا: "يختلف المستقبل... ليست لدينا قصة مشتركة للمستقبل... يبدو أن خلق الماضي قد استنفذ قدراتنا الجماعية على الخلق... وبالمقارنة مع قصتنا حول الماضي، فإن قصتنا حول المستقبل هي تجريد، قاحل، شأن شاحب، كما تؤول كل رؤى من السماء، إلى أن تكون: من السماء أو حتى من الجحيم". (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٤٩)

جمهور كاستلو يشبهها، غير متحمس، إذ لا وجود للجدّة فيما يُطرح، وقد يغفوا بعضهم أثناء الحديث. إنه مدعو للتسلية ولمشاهدة الحيتان، ولاكتشاف جزيرة عانت سنوات طويلة من إبادة البطاريق لغايات صناعية. إنّ شغف الاكتشاف هذا لأرض لم تطأه قدم إنسان يُعبّر من الروح الإمبريالية في الفرد الأوروبي.

ب- "الرواية في إفريقيا" عند أجيدي ومتاعبها الجغرافية والتاريخية

بالنسبة لأجيدي الأمر مختلف تماما، شخصية واثقة من نفسها، متحمسة، تؤمن بموضوعها وتدافع عنه. تنعكس هذه الصفات بوضوح في طريقة أسلوبه المستفز الذي يتخذ شكل حوار علني يدعو فيه الجمهور إلى التفكير في خصوصية الرواية في إفريقيا وأهميتها.

يعتمد أجيدي أسلوبا حجاجيا في طرح أفكاره وهو ما يجعله أكثر إقناعا من كاستلو. ثم إنّ أجيدي لا يخشى طرق الأبواب المقفلة ومناقشة المواضيع الشائكة والخروج عن الحدود.

وعلى عكس كاستلو تماما، تحتل كلمة أجيدي صفحات طويلة بل ويستمر في النقاش بعدها في سهرة العشاء التي ستجمعه بكاستلو. ستناقَش المواضيع الحساسة، والممنوعة عن الظهور إلى الملأ كقضية الهوية اللغوية في الرواية الإفريقية ومستقبلها.

بصوته الجهوري الهادر، أيقظ أجيدي الحضور، وأقلق أذهانهم. فموضوعه غريب عجيب، محكم نشعر فيه بقوة الكلمة وشحنها أيضا، أما طريقة الطرح التي يعتمدها أجيدي فإنها تثير الدهشة والاهتمام. لقد أراد أن يختار موضوعا ثقيلا عن قصد لمناقشة ما يقوله هذا الكائن الإفريقي على سطح السفينة في رحلة بحرية مخصصة للاكتشاف والتسلية.

إنّ الملاحظات والقضايا التي يطرحها ويناقشها أجيدي نابعة من الطبيعة الجغرافية التي أفرزت هذه الرواية، والتي رافقت نضال الإفريقي مع الحركات السياسية من أجل إرثه الشفوي، وتقاليده، ولونه.

ج – قضايا الرواية في إفريقيا

سنحاول مشاركة أجيدي –بطل كويتزي- أسئلته، ومناقشتها، وفهم طبيعة هذه الرواية في إفريقيا بكل ما تحمله من حمولات تاريخية، وجغرافية، وسياسية، واجتماعية، وثقافية.

افتتح أيمانويل أجيدي حديثه بسؤال مربك، هو في حقيقته الصوت الداخلي الذي سمعه هذا النيجيري في صدر كل واحد من هؤلاء الحاضرين، الذين من الممكن التكهّن أنهم لا ينتمون إلى القارة التي ينتمي إليها أجيدي: "ما الشيء شديد الخصوصية حول الرواية في إفريقيا؟ ماذا يجعلها مختلفة، مختلفة كفاية حتى تستحوذ على اهتمامنا؟" (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ۲۰۰٤، صفحة ٥٠)

يناقش أجيدي بثقة مسائل تخص الرواية في إفريقيا في شكل ملاحظات مترابطة مع بعضها البعض، وهي أربع تطول وتقصر بحسب أهمية ما يطرحه، وفي حقيقة الأمر تُشكّل هذه الملاحظات قضايا شائكة لا تزال بلا حل في بعض البلدان الإفريقية.

سنحاول الآن عرضها والغوص فيها:

۱/ هوية الرواية في إفريقيا بين الكتابة والتراث الشفوي

ينتصب إيمانويل أجيدي قائما في عرض أول مسألة تتعلق بالرواية في إفريقيا، إنها مسألة الكتابة في مقابل كل ما هو شفهي حيث يقول بكثير من الحماس والعفوية : "حسنا، دعونا نرى .. نعرف كلنا، في المقام الأول، أنّ حروف الهجاء، فكرة حروف الهجاء، لم تبزغ في إفريقيا. أشياء كثيرة بزغت في إفريقيا، أشياء أكثر مما تعتقدون، ولكن ليس من بينها حروف الهجاء. لقد جُلبت حروف الهجاء إلى هناك، أوّلا بواسطة العرب، ثم مرّة أخرى بواسطة الغربيين .. لذلك فإنّ الكتابة في إفريقيا، كنص مكتوب –ولن نقول شيئا عن الرواية – هي أمر حديث.

"قد تسألون .. هل تكون الرواية ممكنة دون كتابة روائية؟ هل كان لدينا في إفريقيا رواية قبل أن يجيء أصدقاؤنا المستعمِرون؟ دعونا نرجئ ذلك السؤال في الوقت الراهن .. قد أعود إليه لاحقا." " (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ۲۰۰٤، صفحة ٥١)

هكذا يعالج أجيدي قضايا الرواية بالمراوحة ذهابا وإيابا.

في إفريقيا، لم تُعرف الرواية في مجتمع ينتج ما يتخيله شفاهيا، فوجود الرواية كان لاحقا بعد الحرف في العالم أجمع، لكنه وجود متأخر زمنيا في إفريقيا. إنّ الرواية –خلافا لباقي الأنواع الأدبية الأخرى- "النوع الوحيد الذي لم يسبق الكتابة والكِتاب، والنوع الوحيد الذي طابق عضويا الأشكال الجديدة للاستقبال اللاصوتي، أيّ القراءة". (باختين، ۱۹۸۲، صفحة ۲۰)

إنّ الإرث الفني الشفهي المتنوع في إفريقيا، بقدر ما يجعل منها متميزة، بقدر ما يجعلها متأخرة عن تجربة الكتابة الفنية، مع الرواية تحديدا، وبالتالي بعيدة عن خلق تقاليد في هذا النوع الأدبي لتضاهي به الغرب. لكن تغفل كاستلو التي تُمثّل وجهة نظر الغربي هنا، أنّ الرواية جنس ماص، جنس قادر على امتصاص كل شيء، وعلى خلق منطقة حوارية، منطقة تماس كما يسميها باختي، تتلاقى فيها كل أجناس الخطاب الشفوية وغير الشفوية، الأدبية وغير الأدبية وشبه الأدبية. تعيد إنتاجها من

جديد وتضفي عليها طابع الروائية إنها ماكينة الرواية التي تقوم على الامتصاص والتحويل وإعادة الإنتاج كما وصفته جوليا كريستيفا.(Kristeva, ١٩٧٠, p. ١٨)

تتجلّى الرواية بهذا المفهوم، بطابعها الإمبريالي الذي يبتلع كل شيء لصالحه، ففكرة التوسع جزء مهم في تكوين هذا الجنس الأدبي، لكن يجب علينا أن ننتبه إلى أن الرواية وباقي الخطابات المعقدة التي يسميها باختين بالأجناس الثانية، تنتمي إلى الطبيعة نفسها التي تنتمي إليها أجناس الخطاب اليومية الشفاهية رغم اتسامها بالفورية والحساسية. بل تحتفظ أحيانا بشكلها ودلالتها داخل أسلوب الرواية، ساعية إلى كسر مونولوجيتها. هذا هو الدور الحواري الذي يلعبه الأدب الشعبي الشفوي، "فعندما يعتمد الأدب وفقا لاحتياجاته على الطبقات المماثلة (اللاأدبية) للأدب الشعبي، فإنه يعتمد بالضرورة على أجناس الخطاب التي يتم من خلالها تفعيل هذه الطبقات. ويتعلق الأمر في معظم الحالات على الأنماط المنتمية للجنس المتكلم المحاور، حيث أن الصوغ الحواري أكثر أو أقل وضوحا في الأجناس الثانية، والإضعاف للمبدأ المونولوجي لتركيبتها، والحساسية الجديدة للمستمع، والأشكال الجديدة لنهاية الكل .. إلخ، هناك حيث يوجد أسلوب يوجد جنس، وعندما نقوم بتمرير أسلوب جنس إلى آخر لا نحدّ من تغيير صدى هذا الأسلوب لصالح إدراجه في الجنس الذي يخصه، بل إننا نقوم بتفجير الجنس المعطى وإعادة تجديده مرة أخرى". (Bakhtine, ١٩٨٤, p. ٢٧١)

هكذا تغتني الرواية من جهة، ويندمج التراث الشفوي بسلاسة في جسد الرواية من جهة أخرى، على أن هذا الانتقال من مساحة الصوت والسماع والفرجة الفسيحة التي تسبح فيها الحكايات والقصص، والأشعار، والملاحم، والأساطير، والأغاني، والرقص، والألغاز، والاحتفالات الشعائرية، إلى مساحة الكتابة الروائية لن يكون انتقالا حياديا مفرغا من جوهره الثقافي والحضاري والإيديولوجي، بل ستتعامل معها الرواية كانعكاس مُحرّف لفظيا لهذا الوجود الإفريقي، "باعتبارها لغة مشبعة أيديولوجيا، وباعتبارها مفهوما للعالم بل وكأنها رأي ملموس". (باختين، الخطاب الروائي، ١٩٨٧، صفحة ٣٨)

لنحاول أن نعالج الموضوع مرة أخرى من ناحية مختلفة، من وجهة نظر تاريخية إن صح القول.

تاريخيا، لم تعرف إفريقيا القراءة و الكتابة إلا القوافل العربية المسلمة، ليأتي بعده الوجود الغربي في القارة. من البديهي أن ترتبط الرواية في إفريقيا بالتعليم، "فالدراما والشعر (...) كانا جزءا لا يتجزأ من التراث الإفريقي. وكانا يؤديان وظيفتهما داخل التقاليد الشفهية، ويساهمان في المناسبات الشعائرية والاحتفالية. ولم تكن مثل هذه الوظيفة متاحة للرواية في المجتمع غير المتعلم. فلم تكن ثمة حاجة تشبعها. وليس من المدهش إذن أن تلقى الرواية الاهتمام الشديد من الأدباء الجدد عند دخول التعليم. فالرواية بطبيعتها تؤسس أرضا ذات اتصال واستجابة شخصيين، وتفعل ذلك –إلى حد ما- بصورة ملموسة". (شلش، ١٩٧٨، الصفحات ١٢٥-١٢٦)

تملك إفريقيا –كباقي الشعوب التي تؤمن بالأساطير وتمارسها في حياتها- إرثا شفويا ضخما لا نظير له، انتقل إلى الرواية باعتبارها نوعا يقوم على الحرف، ورغم اختلاف طبيعة كل منهما،"رأى الكثير من الأفريقيين أنّ الرواية ليست غريبة عن تراثهم الشفهي الحافل بالسير الشعبية والحكايات الخيالية والأساطير. وتوزعت القضية بين معسكرين: "أحدهما يرى القصة الأفريقية المعاصرة غريبة أساسا، والآخر يراها أفريقية أساسا، وكلاهما يحكم عليها بناء على رؤيته" على حد تعبير المستفرق الأمريكي بارتولد بوني الذي قدم حلا وسطا للخلاف. فقال إنّ الرواية غريبة على وجه الاصطلاح، ولكن إذا كتبها أفريقي تصبح أفريقية على وجه الاصطلاح أيضا. ومن ثمة سيجد الذين ينطلقون من كونها نوعا أدبيا جذورا غريبة في الرواية الأفريقية، وسيجد الذين ينطلقون من كونها وسيلة للتعبير الشخصي أو التعليق الاجتماعي جذورا أفريقية لها" (شلش، ١٩٧٨، صفحة ١٢٦). وعلى كل، فإنّ الكثير من "علماء الاثنولوجيا والمتخصصين في الميثولوجيا والديانات والأدب المقارن يعيّنون للأسطورة وضعية عالمية" (شارتيه، ٢٠٠١، صفحة ٣١)، أثناء ذلك يتوجب علينا أيضا أن الرواية قد رضعت من التقاليد الشفهية في

الحضارتين الإغريقية والرومانية، لكنها قُطمت بسرعة على عكس ما حال إفريقيا. ومادامت الأساطير ذات طابع شمولي في كل الحضارات التي يعتقد فيها الباحثون أنها مصدر الرواية -كنوع- الأوّل، فإنّ الرواية بالمحصلة كانت سلفا في كل مكان" (شارتيه، ٢٠٠١، صفحة ٣١)، حتى في إفريقيا حتى دون أن يُدرك ذلك بطريقة صريحة، وقد أضفى الأفارقة "على هذا الشكل الفني الذي طورته أوربا -بلا شك- كثيرا من الطوابع المحلية، مما ورثوه من طرق متعددة في الحكي والسرد، وعناصر خاصة باللغة والبيئة، وأدوات مختلفة في رسم الشخصية والحوار والتعبير عن الزمن. ومن أنّ تجربتهم الروائية لا تبعد عن هذا القرن [القرن العشرين] فقد تطورت على نحو هائل خلال ربعه الأخير كمًا وكيفًا على حد سواء". (شلش، ١٩٧٨، صفحة ١٢٦)

إنّ الأفارقة الذين لم يفقدوا لمسة الجسد في حياتهم، لا يزالون يعبرّون عنه/ وبه في رواياتهم وهم ينفخون فيها روح الحياة الإفريقية. لقد عانت إفريقيا في الماضي من إفقار ممنهج من قبل الموجة الامبريالية التي جلبت معها الكتابة/ الرواية. يستشهد هنا أجيدي بباحث بعيد عن إفريقيا، يجعل منه حجته الدامغة التي ستضفي ثقلا على كلمته أمام حضور أوروبي، إنّه "معلم الشفهية العظيم بول زومثور" (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٧) الذي كتب ما يلي: "منذ القرن السابع عشر .. (..) نشرت أورروبا نفسها عبر العالم كسرطان، خلسة في البداية، لكن الآن ولبعض الوقت (راكضة) بجموح، مخرب في الحاضر لكل أنواع (أشكال- حياة)، حيوانات، نباتات، بيئات حيوانية ونباتية، لغات. مع كل يوم يمر، تختفي عدة لغات من العالم، ويتبرأ منها، تنعزل بعيدا.. كان أحد أعراض هذه الكارثة منذ البداية .. ما نسميه أدبا: وقد كسب الأدب أرضا، حقق نجاحا، وأصبح ما هو - أحد أوسع أبعاد الإنسان- منكرا للصوت .. يجب أن نتوقف .. إنّ الكتابة البدائية .. ربما أفقرت إفريقيا العظيمة سيئة الحظ إفقارا شديدا بواسطة الاستعمار السياسي الصناعي، ستجد نفسها أقرب إلى الهدف من القارات الأخرى، لأنها أقل مسا بخطورة الكتابة؟." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٥٧-٥٨)

إنّ ما يناقشه أجيدي أدركته حركة الزنوجة La Négritude قبلا، مثلما ستدركه باقي الحركات التحررية الأخرى، ومثلما ستنشغل به الفلسفة الإفريقية لاحقا. كان إيجاد أرض أدبية للمستعمِر بعبارة ألبير ميمي A. Memmi أولى الأهداف لضرب الهوية الإفريقية التي تقوم ثقافتها على الشفاهية في العمق، وستتواصل الخطة بعد الاستقلال أيضا وهو ما سنتناوله لاحقا بشيء من التفصيل.

٢/ الرواية بين النزعة الفردانية والروح الجماعية في إفريقيا

ارتبط اسم الرواية في العصر الحديث بظهور الطبقة البرجوازية في أوروبا، "ملحمة بورجوازية " كما سماها لوكاتش،و التي كرّست فيها نزوعها الفرداني، فهي تصف بطلا فردا، يعيش فردا، ويموت فردا. ثم إنّ فعل القراءة في أوروبا يسير أيضا في الاتجاه نفسه، إذ يصفه أجيدي قائلا: "حين تزور مدنا أوربية عظيمة مثل باريس ولندن، ترى المسافرين يصعدون إلى القطارات، ويستخرجون فورا من حقائبهم وجيوبهم كُتبا، وينسحبون إلى عوالمهم المتوحّدة .. يبدو إخراج الكتاب في كل مرة مثل إشارة تنتصب. "دعني وحيدا"، تقول الإشارة: "أنا أقرأ .. إنّ ما أقرأه أكثر أهمية مما يمكنك أن تكون". (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥١)

لطالما كان فعل الكتابة، والقراءة، وحتى فعل التفكير - الذي اختصره ديكارت في عبارته الشهيرة "أنا أفكر، إذن أنا موجود"- يُمارس بالطريقة نفسها، إنّ "الوقوف في مواجهة الكون وحيدا على هذا النحو موقف اعتبره هيجل بحق موقفا بطوليا"، (كونديرا، ٢٠٠٧، صفحة ٢٠) لا يقلّ عن بطولة دون كيشوت، أو بطولة جوليان سوريل في الأحمر والأسود، أو

عن مدام بوفاري، أو آنا كارنينا، أو عن أبطال كافكا وحتى كافكا نفسه. إنّه، "بفضل الرواية استطاع الإنسان، في الغالب الأعم، أن يحتل مشهد أوروبا بوصفه فردا. (...) وحدها الرواية تعزل شخصا وتنير سيرته الذاتية وأفكاره وأحاسيسه، وتحيله غير قابل لأن يُعوّض: تجعل منه مركز كل شيء" (كونديرا، لقاء، ٢٠١١، صفحة ٤٩) تلك هي فلسفة الرواية في أوروبا التي فهمها أجيدي جيدا.

بعيدا عن اغتراب الفرد في الروايات الأوروبية، نعثر على فلسفة مغايرة تماما في الحياة في إفريقيا يصفها أجيدي بقوله: "حسنا، نحن لسنا مثل أولئك في إفريقيا.. نحن لا نحب أن ننزع أنفسنا عن البشر الآخرين ونرتد إلى عوالم خاصة. . نحن لم نعتد على جيراننا المنسحبين إلى عوالم خاصة. إفريقيا هي قارة يتشارك البشر فيها... ليست مشاركة أن تقرأ كتابا بنفسك. إنّ ذلك مثل أن تأكل وحدك أو تتحدث وحدك.. إنه ليس أسلوبنا.. نحن نجد ذلك عملا جنونيا إلى حد ما."

"نحن، نحن، نحن" تفكر: "نحن إفريقيون.. إنه ليس أسلوبنا". (...)

الإفريقية: هوية خاصة، قدر خاص" (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥١)

طبعا، لم تعجب كاستلو بهذه التلميحات وما يتخللها من سخرية متواصلة. لا يمكن فهم هذه السخرية إلا باعتبارها مقاومة للعزلة، "فالأفريقي مشهور بروح السخرية والفكاهة، وكراهيته للانطواء والكآبة، ومن هنا قيل عن إفريقيا إنها "أرض الضحك"." (شلش، أثر البيئة في الأدب الإفريقي، ١٩٨٤، صفحة ٦٠)

يُعدّ الأدب الشعبي في إفريقيا ظاهرة اجتماعية أقدم بكثير من ظاهرة الأدب المكتوب، أداته، لا تزال، هي الشفاه، ينتقل من خلالها ويشيع عبر الأجيال، متخذا عدة صور وأشكال. (شلش، من تراث الشعوب، الأدب الإفريقي في إفريقيا خارج مجال اللغة العربية، ١٩٨١، صفحة ١٩١) وعلى عكس الأدب المكتوب، ينزع الأدب الشعبي نحو الجماعة، نحو النحن، "فالأدب الشعبي الذي نقصده هنا هو ذلك النشاط الإنساني الخلاّق الذي يتصف بالجماعية في الإنتاج والتوزيع أن صح التعبير. لا يعرف منتجا فردا، فالجماعة تشترك في إنتاجه، ولا يعرف مستهلكا فردا، فالجماعة تشترك في استهلاكه، أي في تلقيه وتذوقه. تلك سمته الأساسية التي تميّزه عن الأدب المكتوب الذي يتصف بالفردية بشكل عام في الإنتاج والتوزيع. فمنتجه فرد معروف، ومستهلكه فرد أيضا، يتلقاه ويتذوقه على انفراد." (شلش، من تراث الشعوب، الأدب الإفريقي في إفريقيا خارج مجال اللغة العربية، ١٩٨١، صفحة ١٩١)

يبدو أنّ الآلهة لم تغادر إفريقيا، ولم تقطع شعوبها أواصر ارتباطها بالأسلاف، وهو ما يجسد بحق الروح الجماعية في أدبها الشعبي، شعرا ونثرا، معبرا عن حساسية إفريقية خاصة تتجلّى في كل الأوقات، حيث " إنه يمكن أن ينتقل في أي لحظة عن طريق أي شخص إلى أي شخص آخر، فالأم تُغنّي شعرا لطفلها حتى ينام في مهده، والأطفال يلقونه على بعضهم في شكل لعبة فوازير.

إنّ هذا النشاط الشعري الشعبي والتلقائي يظهر ويُعبرّ عن نفسه – في الواقع- وسط أكثر الظروف تنوعا، وبدلا من أن يصبح مناقضا للفعل، (كما هو الحال في التراث الأوروبي الذي يضع كلمة "شاعر" في مواجهة الفعل الملموس على أنه شخص حالم غير قادر على الحياة العملية) يُصاحبه ، دائما، إذا لم يستطع أن ينتجه." (شوفرييه، ١٩٩٥، صفحة ٧٥) ويُعزي جاك شوفرييه حيوية هذا النشاط الشعري إلى أسباب عديدة لكن أهمها " يعود إلى السمة المتقشفة للمجتمعات الإفريقية التي تحيا في ظل فقر اقتصادي شديد يحرمها من وجود أية وسائل إعلام ترفيهية سوى الأغاني والحكايات." (شوفرييه، ١٩٩٥، صفحة ٧٦)

بغض النظر عن تفسير جاك شوفرييه Jacques Chevrier ، فإننا نعزوا ذلك أيضا إلى التصاق الأفريقي الوثيق بالأرض والعناصر، المستمد من الإحساس الحامي الكوني بالجنس، إلى درجة أدت بسارتر القول بأنّ الأسود ذكر الأرض العظيم،

الذي لا يضاهيه أحد في هذا المعنى الكوني للجنس، ولا في قوة الحيوية التي تتصف بها أشعار الشعراء ورواة القصص الشعبي الأفريقي. (شلش، أثر البيئة في الأدب الإفريقي، ١٩٨٤، صفحة ٥٩) التي جعلت منهم يعتمدون الملاحظة الناقدة، والحدس. "إنّ الإفريقي لا ينتمي للشرقي الذي يهوي التأمل أو الغربي الذي يتميّز بالاتجاه العقلي القائم على الفضول وحب الاستطلاع، ولكن الأفريقي يلاحظ، هو ملاحظ نقاد، يعتمد أكثر ما يعتمد على الحدس. وإذا كان في الغرب ميل عام إلى أن يعيش الإنسان من أجل أن يعمل، فالأفريقي يعمل ليعيش، ولا غرابة إذا فضّل أوقات الفراغ. الحياة لديه هي السعي وراء السعادة أكثر من كونها سعيا وراء الجمال أو الحقيقة. كيف يكون ذلك؟ برفض العزلة والفردية والانفعالات السلبية من جهة، وبالتأكيد الطريقة الجماعية في الحياة وتشجيع الانفعالات الإيجابية والراحة، وكبح جماح الرغبات من جهة أخرى. (...)

وتتسع الروح الجماعية لديه حتى تشمل كافة مظاهر نشاطه، فتكون في الرقص والصيد وقص الحكايات والأساطير على الأطفال والكبار، كما تكون في البذر والحصاد والرعي، بل في احتساء البيرة، بل في الحزن" (شلش، أثر البيئة في الأدب الإفريقي، ١٩٨٤، الصفحات ٥٩-٦٠)

إنّ غنى إفريقيا بمنجم لا ينضب من التراث الشفهي، يتصل اتصالا شديدا وبالغ الأهمية بالأسلاف والأجيال السابقة التي يستمر حضورها في الأجيال اللاحقة من الأبناء. إن هذا الاستمرار، والتوالد، والمشاركة الجماعية يُعتبران جزءا لا يتجزأ من أساليب الحماية لهذا التراث، "ومثل هذه البيئة بقاعدتها وقمتها لا يكون فيها مكان للعزلة والفردية". (شلش، أثر البيئة في الأدب الإفريقي، ١٩٨٤، صفحة ٦٢) على عكس أبطال الروايات العظيمة في أوروبا التي انقطعت عن ماضي الآباء ومستقبل الأبناء باختيارها عدم الإنجاب. (كونديرا، لقاء، ٢٠١١، صفحة ٤٨) وهذا له دلالته.

أما في إفريقيا، فإن ما يجمع شعوبها هو استخدامها لتراثها الشفهي كحلقة وصل بين الليل والنهار، بين الأحياء والأموات من الأسلاف. إنّه يسمح بالتعبير عن تجانس المجموعة والحفاظ على هذا الأدب الحيّ أيضا وثقافته، كما يساهم في تسلية المجموعة وتأسيسها أخلاقيا في الوقت نفسه. (شوفربيه، ١٩٩٥، صفحة ٨٢) إنّ هذا التراث الشفهي في انتقاله السلس في شغاف الحياة اليومية يؤطر للجماعة وينبذ أولئك الذين يسعون من أجل مصالحهم الشخصية، وتتمّ إدانتهم. هذا على مستوى الأحياء أما على مستوى الأسلاف فيشكل الأدب التراثي الشفهي جزءا من موروث الأسلاف بتقوية الصلات بهم، والاعتراف بفضلهم، كما يسمح بالتصالح بين قوى الخير والقضاء على قوى الشر، وبهذا تتساوى قيمته مع قيمة الفعل. (شوفربيه، ١٩٩٥، صفحة ٨٢)

٣/ الروائي الإفريقي والسلطة

إذا عمل المستعمر على إفقار إفريقيا لغويا طيلة سنوات من القهر، فإنّ الدول التي تنتهج سياسة ديكتاتورية ليست أقل خطرا منها. يواجه الروائي في أفريقيا جبهات من الداخل الإفريقي التي لا تساند الكتابة الروائية، وتعمل على تحويل كُتّاب كان من المقدر لهم أن يكون لهم مستقبل في الكتابة الروائية، ليتم توجيههم إلى الكتاب المدرسي لأنه يُدرّ مالا أكثر ويعين على العيش. أما الباقون فيُدفع بهم إلى خارج القارة.

إنّ الفقر، وخوف المؤسسات في بعض البلدان الإفريقية من الرواية يدفع بأبنائها إلى الغرب (أوروبا / وأمريكا)، أبناء يشعرون هناك في الأقاصي البعيدة بأنهم مجرد تابعين في محافلهم الثقافية. يقول أجيدي بكثير من الشجن وهو يصف هذه العلاقة المتوترة: "في النظام العالمي العظيم الذي نعيش اليوم تحت ظلاله، أصبحت إفريقيا موطن الفقر. ليس لدى الإفريقيين مال للرفاهيات. في إفريقيا يجب أن يمنحك الكتاب شيئا في مقابل ما أنفقت عليه من نقود. ماذا يجعلني أتعلم قراءة هذه

القصة؟ سيسأل إفريقي ما: كيف ستطوربي؟ قد يحزننا الموقف، ولكننا لا نستطيع ببساطة أن نتجاهله.. يجب أن نأخذ الأمر بجدّية، ونحاول أن نفهمه." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٢)

إنّ الإشكالية التي يطرحها أجيدي متعلقة أساسا بطرفين: القراء ومنظومة المؤسسات الحكومية تجاه النتاج الفني. الإفريقي الذي يعيش تحت خط الفقر لا يريد أن يقرأ دون مقابل، أما سياسة المؤسسات الحكومية تقوم بوأد الأقلام الجادة في مهدها وتستعيض بالكتاب المدرسي لأنه أكثر نفعا، وأجنى مالا. لنستمع إلى ما يقوله أجيدي: "نحن نصنع كتبا فعلا في إفريقيا، لكن الكتب التي نصنعها تكون من أجل الأطفال، كتبا تعليمية بأبسط معنى.. إذا أردت أن تجني مالا من طباعة الكتب في إفريقيا، فإنّ أفضل حل لك هو أن تنتج كتبا ستقرر على الأطفال، لأنها ستُشترى بكميات بواسطة نظام التعليم، كي تُقرأ وتُدرس في حجرات الدراسة. إذا كنت كاتبا له طموحات جادة، يريد أن يكتب روايات عن البالغين وموضوعات تتعلق بهم، فستناضل من أجل النشر، وغالبا سيكون عليك أن تتطلّع إلى الخارج من أجل الخلاص.

(...) بطبيعة الحال، هناك ناشرون في إفريقيا، واحد هنا، وآخر هناك، سيدعمون الكُتّاب المحليين، حتى إذا لم يربحوا من ورائهم. على اتساع الصورة.. فإنّ القص وحكي القصص لا يمدّ بأسباب العيش، لا من أجل الكُتّاب ولا من أجل الناشرين..". (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٥٢–٥٣)

هنا نفهم جيدا وجود أجيدي على سطح السفينة البحرية، فهو لا يتجول للتسلية والسياحة وحسب، وإنما لكسب قوته. إنّ أجيدي الذي اختاره كويتزي كنموذج للمثقف الروائي الإفريقي يمثّل بحق صورة الإفريقي المشاكس الذي يناضل من أجل العيش بدل أن يكون مكانه وراء مكتبه: "أتخيّل أنكم تسألون أنفسكم، ماذا يفعل هذا الرفيق الإفريقي على سطح الباخرة؟ لماذا لم يتخلف على مقعده في أرض ميلاده، كي يفعل ما خُلق من أجله، إذا كان كاتبا فعلا، كما يُقال، يكتب كتبا؟ ماذا يفعل هنا، وهو يستمر في الحديث حول الرواية الإفريقية موضوع يمكن فقط أن يكون الأكثر بعدا في الأهمية بالنسبة لنا؟

إنّ الإجابة قصيرة، سيداتي وسادتي، هي أنه يكسب عيشه، لأنه لا يستطيع في بلده.. لا يستطيع أن يكسب عيشه. في بلده هو (أنا لن أسخر من هذه النقطة، بل سأستبعدها فقط، لأنها لا تمثل حقيقة لرفقاء عديدين من الكتاب الأفارقة).. هو في الحقيقة أقلّ من أن يُرحب به، فهو ما يُسمى، في بلده، مثقفا مشاكسا، ويجب أن يُداس المثقفون المشاكسون في نيجيريا بحرص في الوقت الراهن." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٥٣–٥٤)

إنّه في الوقت الذي كان فيه الإفريقي يحارب من أجل انعتاقه من المستعمر، نراه اليوم يواجه رقا من نوع آخر أشد. لقد لعب الروائي "دورا أساسيا في قول الحقيقة عن الواقع الإفريقي. ولكن الستينات أتت بالاستقلال واكتشف الكاتب أنّ المسألة ليست وجود غاز أوربي في مواجهة الوطن ولكنها أصعب من هذا. إنّ هناك صراعا بين مستغِلِين ومستغلَين من أبناء البلد الواحد. وتوالت الكتابات منذ منتصف الستينات تُقدم رؤى نقدية للواقع الأفريقي بعد الاستقلال.

ولم يقف الأمر عند هذه الدرجة من الصراعات.. ولكن كانت هناك أسئلة حول دور المثقف وعلاقته بالتاريخ بعد الاستقلال. ما الذي نفعله بالتراث. هل هو عبء أو منحة أو ثروة نستفيد منها.

ولكن الذي حدث بعد الاستقلال في بعض الدول الإفريقية كان بالغ العنف بل وصل إلى حد الحرب الأهلية. وقد تعرض عدد من الكتاب للعنف البالغ وبدا الأمر كما يصف أحد الكُتّاب النيجيريين أن الصراع بين الأبيض والأسود هو ترف وصراع بالغ الرقّة بالنسبة لصراع بين الأسود والأسود..". (عاشور، ١٩٨١، صفحة ١١٤) إنّ أجيدي وهو يذكر كاتبه المفضل –أوكري– أمام الحضور –صاحب التجربة المرشدة الواعية باللغة– في غمرة نقاشه لتيتولا، يُوقَف أثناء استطراده موضوعا شائكا عن علاقة المثقف بالسلطة. "كان مخططا "للرواية في إفريقيا"، مثل كل الأحاديث على سطح السفينة، أن تكون أمرا خفيفا.. لا يُخطط لشيء أن يكون موضوعا ثقيلا في برنامج سطح السفينة. ولسوء الحظ.. فإن أجيدي يهدّد بأن يكون ثقيلا..

يتدخل مدير التسلية، ذلك الولد السويدي الطويل بزيه الأزرق الخفيف بإيماءة حذرة، بإشارات من الذراعين، فيطيع أجيدي بسهولة وتقدير، منهيا حديثه." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٦١)

هكذا تتجلى محنة الكاتب الإفريقي في خطاب أجيدي كما في روايات الأفارقة كجابرييل أوكارا الذي ترجم علاقة المحكوم بالحاكم في روايته "الصوت"، والأمر نفسه مع تشنوا أتشيبي في روايته "أشياء تتداعى"، و وول سوينكا صاحب المسرحية الشهيرة "الموت وفارس الملك"، الذي قادته أحداث ١٢ حزيران (يونيو) إلى المنفى خارج وطنه نيجيريا، وهو حدث لا يمكن فهمه إلا بربطه بالحدث الثاني، "ففي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٩٥ قامت الحكومة العسكرية بتنفيذ حكم الإعدام بالكاتب المعارض كين سارو- ويوا Kensaro- Wiwa صديق سوينكا إلى جانب ثمانية أعضاء من الأقلية الإثنية أوجوني Ogoni وسوينكا نفسه الذي هو أحد أفراد يوروبا Yoruba التي تُشكّل الأكثرية العرقية كان قد شنّ حملة شاقة عبر المجتمع الدولي من أجل إطلاق سراحهم، ومن أجل قضية أوجوني الذين شنوا حربا يائسة من أجل البقاء ضد الاحتكارات النفطية العالمية المتعاظمة.. ". (بيام، ١٩٩٩، صفحة ١٩٠) يمكننا أن نتخيل المثقف الأفريقي تحت هذا الضغط الذي تمارسه حكومته من قيد للحريات، وتكميم للأفواه، إلى التقتيل، وهو يجبر على العيش خارج قارته التي لما يقطع صلته بها بعدُ. وأن يكتب بلغة غير لغته وهو يحاول أن يكون صادقا لجوهره في منفاه محاطا بأغراب موجودين "هناك — ناشرين، قراء، نقادا، طلابا، يأتي كل منهم إلى المناظرة مسلحا، ليس فقط بأفكاره الخاصة حول ماهية الكتابة، أو ما يجب أن تكون، ما الرواية أو ما يجب أن تكون، ما إفريقيا أو ما يجب أن تكون.. لكن أيضا حول ما يُسعد أو ما يجب أن يُسعد؟" (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٥٤-٥٥) إنه في مواجهة حالة نمطية من الكتابة، ومن التلقي، ومن اللغة التي يكرسها الآخر الغربي، بعد أن كان في مواجهة المؤسسات السياسية التي لعبت دورها جيدا كرقيب.

٤/ إشكالية الهوية اللّغوية في الرواية الإفريقية

يُثير أجيدي أسئلة تدور حول جوهر الكائن الإفريقي، وجوهر الكتابة الإفريقية في عالم سريع التّغيّر: "كيف أبرر عمل الجوهر في هذه الأيام اللاجوهرية، أيام هويات سريعة الزوال، تلك التي نلتقطها ونرتديها وننبذها مثل الملابس؟" (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٥)

إنّ الحديث حول ماهية جوهر الكتابة الإفريقية عند أجيدي يُفضي به إلى مناقشة إشكالية الهوية اللّغوية في الرواية الإفريقية. وهي إشكالية متعلقة أساسا بتاريخ القارة والوجود الاستعماري، فأمام اللّغات المحلية التي لا تجد دعما، ولا تلقى التقدير الواجب كونها تجسيد لانتقال الشفهي إلى الحرف المكتوب، نصادف مسألة الكتابة بلغة المستعمر (الفرنسي/ الإنجليزي/ البرتغالي) سواء في إفريقيا أو في الشتات الإفريقي. يقول أجيدي واصفا تلك الحالة الملتبسة التي يعيشها الروائي الإفريقي لغويا، متبنيا رأي الروائي والمفكر السينغالي شيخ حميدو خان في معالجة هذه المسألة:

"حول الماهية يوجد تاريخ من الاضطراب في الفكر الإفريقي الحديث. ربما سمعتم عن حركة الزنوجة في الأربعينيات والخمسينيات. وطبقا لمنشئ الحركة، تعتبر الزنوجة أساسا جوهريا يربط الإفريقيين معا ويجعلهم نوعا فريدا — ليس أفارقة إفريقيا، لكن أفارقة إفريقيا العظمى المشتتين في العالم الجديد، والآن في أوروبا.

"أود أن أستشهد لكم بكلمات من الكاتب والمفكر السنغالي العظيم، شيخ حميدو خان... سُئل شيخ حميدو بواسطة محاور "لدي بعض التحفظات" قال المحاور "بماذا تُسمي الكُتّاب الأفارقة والكتابة الإفريقية، على ضوء حقيقة أنّ الكُتّاب الأفارقة الذين أشرت إليهم يكتبون بلغة أجنبية (في هذه الحالة الفرنسية) وينشرون، ويقرؤون في الأغلب الأعم في بلد أجنبي

(في هذه الحالة فرنسا)، هل يمكن أن نعتبرهم حقيقة أفارقة؟ أليسوا ببساطة كتابا فرنسيين من أصل إفريقي؟ لماذا يجب أخذ أصل الأسبقية على اللغة؟"

"هذه إجابة شيخ حميدو: "إنهم حقا أفارقة، لأنهم ولدوا في إفريقيا، هم يعيشون في إفريقيا، حساسيتهم إفريقية .. (ما يميزهم، يكمن) في تجارب حيوية، في حساسية، في أسلوب"، ثم استطرد "لدى الكاتب الإنجليزي أو الفرنسي تراث من آلاف السنوات من الكتابة (وراءه) .. نحن (على الوجه المقابل) نورث تراثا شفهيا". (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٥٥-٥٦)

تُعتبر الرواية في إفريقيا، رواية شفوية بامتياز ، وتلك هي حقيقة الرواية، "مكتوب فقط أنها نصف حيّة.. إنّها تستيقظ فقط حين تدبّ أنفاس الصوت إليها، حين تتحدث بصوت عال." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٧) ناقلة عبرها الصورة والحركة، أو كما سماه أجيدي بالأسلوب، أسلوب الإفريقي في حياته اليومية بكل العناصر غير الملموسة التي تكوّنه، "التي ليس من السهولة أن توضع في كلمات، بل يسهُل عبورها، فهي في الأسلوب الذي يحيا به الناس، في أجسامهم .. في الأسلوب الذي يحركون به أيديهم .. في الأسلوب الذي يمشون به .. في الأسلوب الذي يتسمون به ويعبسون.. في إيقاع حديثهم .. في أسلوب غنائهم.. في جرس أصواتهم.. في أسلوب رقصهم.. في أسلوب لمس كل منهم للآخر .. في كيفية تربيت اليد.. في حساسية الأصابع.. في أسلوب ممارسة الحب.. في أسلوب رقودهم بعد ممارسة الحب.. في أسلوب تفكيرهم.. في أسلوب نومهم".

"نحن الروائيون الأفارقة يمكن أن نجسّد تلك الأشياء في كتاباتنا". (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٦) إنّ هذا الصوت العالي، والجسد المتحرك في الرواية في إفريقيا، يجعل منها "أكثر الشهادات المعاصرة قُربا من الحيوية والصدق.. وهي هنا مثل مفتاح نحاول أن نفتح به الكثير من مغاليق الشخصية الإفريقية. (...) إنّ الأدب الإفريقي هو أدب تأكيد.. على الهوية الحضارية والهوية الشخصية." (عاشور، ١٩٨١، صفحة ١١١)

إنّ نقل تلك العناصرغير الملموسة، غير المادية إلى صفحة الرواية كثيرا ما واجه رغم ذلك صعوبات من ناحية اللغة المكتوبة. فالرواية في إفريقيا روايات، واللغة فيها لغات، وهذا ما يجعلنا أمام إفريقيات متعددة داخل القارة وخارجها. إنّنا في الواقع أمام متخيّل متنوع اللّغات لا نجد له نظيرا في قارة أخرى. هنا ستستفز كاستلو أجيدي وتضع يدها على الجرح التاريخي الغائر، وتطرح سؤالها في لؤم: لمن يكتب هذا الإفريقي بلغة المستعمِر؟

إنّ الكاتب الإفريقي يتوجّه بكتابه نحو جمهور مضاعف: فهو يكتب للإفريقيين من جهة ، ويشرح للغربي ما يريد قوله من جهة أخرى. ترى كاستلو الإفريقي يتقمّص دور المفسر لعالم إفريقيا حيث تقول:

"الرواية الإنجليزية" تقول: "مكتوبة في المقام الأول بواسطة بشر إنجليز، ومن أجل بشر إنجليز. الرواية الروسية مكتوبة بواسطة روسيين، ومن أجل الروس. لكن الرواية الإفريقية ليست مكتوبة بواسطة أفارقة ومن أجل الأفارقة.. قد يكتبون روائيون أفارقة عن إفريقيا، وعن تجربة إفريقية، ولكنهم يلتفتون وراء ظهورهم طوال الوقت، وهم يكتبون إلى الأجانب الذين سيقرأونهم. سواء يحبّون ذلك أم لا، فقد تقمّصوا دور المفسر.. تفسير إفريقيا للعالم. كيف يمكنك أن تكتشف عالما بكل عمقه، إذا كان عليك في الوقت نفسه أن تشرحه لمن في الخارج.. إنّ ذلك مثل عالم يحاول أن يمنح كل اهتمامه الخلاق لبحث، بينما هو في الوقت نفسه يشرح ما يفعله لفصل من الدارسين الجهلاء.. هذا كثير جدا بالنسبة لشخص واحد، لا يمكن إنجازه، ليس على المستوى الأعمق. ذلك، كما يبدو لي هو جذر مشكلتكم.. في قيامك بأداء حي لإفريقيتك وأنت تكتب في الوقت نفسه." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٦٤-٦٥)

يُشير أغلب الباحثين أن الرواية في إفريقيا قبل أن تصبح روايات بلغات المستعمِر - رغم منبعها الشفهي الذي ظل حاضرا ولا يزال - كُتبت أول ما كُتبت باللغات المحلية، "وعلى رأس هذه اللغات التونجا في زامبيا، الشونا في زيمبابوي، السوتو في ليسوتو، الزوسا والزولو في جنوب إفريقيا." (حمّود، ٢٠٠٨، صفحة ٥٠) إنّنا أمام تلوين لغوي وثقافي عجيب رغم أنّ بداياتها الأولى كانت في ظل حركات التبشير القوية التي مارست رقابة دينية على أغلب النتاج الروائي في ذلك العصر. ومن أبرز وجوه تلك المرحلة نجد توماس موفولو (١٨٧٦- ١٩٤٨) الذي كتب روايته "مسافر الشرق" ، و "تشاكا: ملحمة تاريخية" بلغة السوتو. نجد كذلك صامويل ميقايي (١٨٧٥-١٩٣٦) الذي كتب روايته "قضية التوأم" بلغة الزوسا، وألف بنيدكت فيلاكازي (١٩٠٦- ١٩٤٧) روايته "دنسجوايو بن جوبي" ورواية أخرى بعنوان "إلى الأبد" بلغة الزولو. وفي غرب إفريقيا نشطت محاولات كتابة الرواية بلغات محلية كاليوروبا والهوسا والأيبو وكلها في نيجيريا. كما نشطت لغات أخرى في الشرق باللغة السواحلية في تنزانيا، والكيكويو في كينيا، والأتشولية في أوغندا التي شهدت رقابة أقل مقارنة بما هو الحال في الجنوب. سنعثر على روايات متماسكة بلغة اليوربا مع دانيال أولورو نغيمي فاجونوا (١٩١٠- ١٩٦٣) الذي مزج ثقافته المحلية بتعلميه المسيحي في روايات عديدة: "الصياد الشجاع في غابة الآلهة الألف"، و" غابات أولودو ماري"، و "سر أولودو ماري". (حمّود، ٢٠٠٨، الصفحات ٥٠-٥١-٥٢)

عمل المستعمِر في إفريقيا على إفقار هذه القارة من لغاتها المحلية وفرض لغته (الفرنسية، أو الإنجليزية، أو البرتغالية) في الكتابة وحتى في طريقة الأسلوب، وهو ما خلق إشكالية الهوية اللّغوية في الرواية. إنّ كاستلو التي تتعامى عن الجذور التاريخية لأصل المشكلة، تتناول الموضوع وكأنّ الرواية سلعة مع عدم إيمانها بوجود "رواية حول بشر يعيشون في ثقافة شفهية" تراها تخدم أغراضهم الخاصة وحسب، (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٦٦) الذي يتعارض مع إيمان أجيدي بالاشتراك الإنساني في مخيلة واحدة رغم الاختلاف الهوياتي. إنه يستفزها أكثر محاولا الحصول على انتفاضة أخرى وهما يتناقشان أمام غريبين. "سأعود أنا وإليزابيث للوراء.. إنّ لدينا كثيرا مما لا نتفق عليه في الوقت الراهن، وذلك لا يبدل أشياء بيننا — أليس كذلك يا إليزابيث؟ نحن زميلان، كاتبان رفيقان.. نحن ننتمي إلى أخوية الكتابة العظيمة، الممتدة باتساع العالم." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٦٦)

إنّ توجه الروائيين الأفارقة إلى اللّغات المحلية بعد سنوات من تجربة الكتابة بلغات المستعمِر — خصوصا الفرنسية والإنجليزية- قد أخذ منحى آخر، "إذ كيف يُعبرّ الكاتب عن آلامه وتطلعاته بلغة ليست لغته، بل بلغة المحتل الذي سبب له الآلام وحرمه من التطلعات وحاصره. إنّ اللّغة هي الوعاء الذي تتراكم فيه المعارف والتجارب هي التاريخ والتراث الحضاري.

(...) إنّ اللغات المتداولة في إفريقيا تقرب من سبعمائة لغة. إلا أنّ الغالبية العظمى من هذه اللّغات منطوقة وما يُكتب منها لا يتعدى الخمسين. كذلك نجد عددا هائلا من القبائل يعيش داخل نطاق الدولة الواحدة تتكلم كل قبيلة بلغة مختلفة عن الأخرى. وهكذا شكلت اللّغة الأجنبية التي جاء بها المستعمِر اللّغة الوحيدة المشتركة بين كل من يعرفون القراءة والكتابة بل إنّ السياسة التي اتّبعها الاستعمار لم تشجع أبدا أي ازدهار للّغات المحلية في الكتابة.

كيف يجتاز الكاتب الإفريقي هذا المأزق.. ؟.." (عاشور، ١٩٨١، الصفحات ١١١-١١٢)

في الواقع، أخذ إيجاد حل لهذا المأزق أوجها شتى: اكتفى بعض الروائيين الأفارقة بالكتابة بلغة المستعمِر كوسيلة للرد، أو ما يعرف بالرد بالكتابة، وأحسن تجربة نجدها مع أتشيبي. "إنّ أهمية روائي عظيم للإمبراطورية مثل جوزيف كونراد لا تكمن في كونه أثار أتشيبي ودفعه للكتابة ضده فحسب، بل في أن بين هذين الكاتبين وشائج في الأسلوب والمخيلة تواصل الوجود رغم الفوارق السياسية الهائلة بينهما." (سعيد، ٢٠١٤، صفحة ١١)

في المقابل، نعثر على روائيين تحوّلوا من اللّغة الإنجليزية إلى اللغة المحلية كما هو الحال في نموذج نغوجي واثيونغو Ngugi wa Thiong'o الذي قال في بيان نشره في كتابه "تصفية استعمار العقل": "في سنة ١٩٧٧ نشرتُ "تويجات الدم" وقلتُ وداعا للّغة الإنجليزية، واسطة لكتابة مسرحياتي، ورواياتي، وقصصي القصيرة. وكل كتاباتي اللاحقة كتبتْ مباشرة بلغة الكيكويو:
(...) أمّا هذا الكتاب "تصفية استعمار العقل" فهو وداعي الأخير للإنجليزية بوصفها واسطة لأي من كتاباتي.
ومنذ الآن سأستخدم الكيكويو والكي –سواحلية دوما.
إلاّ أنني آمل، من خلال أداة الترجمة العتيقة، في أن أتمكن من متابعة الحوار مع الجميع." (ثيونغو، ٢٠١١، الصفحات ١٣-١٤)

أمام هذا القرار الذي يلخص انعتاق الروائي من لغة المستعمِر، تتجسّد تجربة آموس تيتولا النيجيري الذي أشارت إليه السائلة الأولى من جمهور السفينة بعدما انتهى أجيدي من عرضه حيث تقول بلهجة وسط غرب الولايات المتحدة: " (...) كانت لآموس تيتولا، نسيت الآن عنوانها "(نخلة نبيذ مسرفة)" خمن أجيدي: "نعم تلك هي" تجيب المتحدثة: كانت مأخوذة.. فكرت أنها كانت بشيرا لأشياء عظيمة ستأتي.. لقد خاب أملها، خاب أملها بمرارة، أن تسمع تيتولا ليس محترما في بلده الخاص، لأن النيجيريين المتعلمين يحطون من قدره، معتبرين أنه غير جدير بسمعته.. هل هذا صحيح؟ هل كان تيتولا شفهيا من ذلك النوع الذي ذكره محاضرنا؟ ماذا حدث لتيتولا؟ هل ترجمت كتب أخرى له؟" (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، الصفحات ٥٨-٥٩) [عنوان الكتاب مذكور هنا (الرواية في إفريقيا) والتهميش على طريقة APA يتأتى بطريقة أوتوماتيكية في حاسوبي بحيث يتعذر علي تغييره]

قبل عرض رأي أجيدي حول الظاهرة التيتولاتية، ينبغي القول أنّ هذا الرجل الذي لم يتلق تعليما جيدا، استطاع استعاضة هذا النقص بموهبته الفياضة وحسه الشعبي باختياره الكتابة بلغة إنجليزية خاصة لا تعترف بالقواعد، ولا بالبلاغة، بل تعتمد على تجربة إبداعية ذات خيال جامح. (عاشور، ١٩٨١، صفحة ١١٢) لهذا كان رد أجيدي مفاجئا بخصوص الترجمة: "لم تُترجم لتيتولا أي أعمال أخرى، وفي الحقيقة فإنه لم يُترجم على الإطلاق، على الأقل إلى الإنجليزية. والسبب في ذلك هو، أنه لم تكن لديه حاجة إلى أن يُترجم، لأنه كان يكتب على مدار حياته بالإنجليزية، لكن ليست الإنجليزية النموذجية.. ليست إنجليزية الخمسينيات التي ذهب النيجيريون إلى المدارس والجامعات كي يتعلموها.. إنها لغة كاتب نصف متعلّم، رجل ليس لديه أكثر من التعليم الإلزامي، بصراحة يمكن فهمها كغريب، رُتب للنشر بواسطة ناشرين إنجليز. وبينما كانت كتابة تيتولا غير أدبية، تولّوا هم تصحيحها، كان ما بدا نيجيريا بشكل جدير بالتصديق بالنسبة لهم، هو ما أحجم عن تصحيحه، ذلك ما يقال، ما كان يبدو في آذانهم فاتنا، غريبا، فنا شعبيا." (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٥٩)

ورغم عدم إعجاب أجيدي بالظاهرة التيتولاتية، إلاّ أنّنا لا ننكر أنّه "أعاد صياغة التراث الشعبي الإفريقي ومهد الطريق للرواية.. وكانت روايته الأولى "شريب عصير النخيل" خليط من الحكايات الشعبية والأساطير الإفريقية صاغها تيوتولا في قوة وتدفق.. تماما كحياته التي خلت من أي تعليم منتظم واعتمدت على العمل الحرفي ولكن خياله الفذ استطاع أن يستوعب ثراء الحكايات الشعبية وأن يجاريها بخلق حكايات تماثلها.. وقد كتب تيوتولا بعد ذلك "حياتي في غابة الأشباح" و"الصيادة الإفريقية الشجاعة".." (عاشور، ١٩٨١، صفحة ١١٢) لكنهما لم يحققان النجاح المرجو.

بالنسبة لأجيدي الذي ينظر إلى حالة تيتولا باعتباره "حالة مرشدة جدا" لكاتب شفاهي، كتب بطريقة بسيطة، بل أقل بساطة مما تكلّم مما جعله ينسحب بأسلوب خاص لا جدوى منه إلى كونه مجرد معبأ للغرب، كإفريقي غريب معبأ... رغم أن هذه الحالة يمكن تعميمها على كل الأفارقة في الغرب بأنهم غرباء. (كويتزي، الرواية في إفريقيا، ٢٠٠٤، صفحة ٦٠) يظهر الكاتب المفضل عند أجيدي، إنّه أوكرىGabriel Okara مواطن تيتولا. الذي لعب "دور الكاتب الإفريقي المثقف الذي

يعرف لغته جيدا وكذلك يعرف اللّغة الأجنبية.. وهكذا يحاول الكاتب جابرييل أوكارا أن يُقلب نظام الجهة.. ويستخدم الأمثال الشعبية والتشبيهات المستمدة من البيئة. ولكن انجاز أفرقة اللّغة الإنجليزية لم يتم بصورة جيدة إلا على يد شينوا أشيبي Chinua Achebe الذي خلق أسلوبا خاصا ليس من موقف "البراءة" بل من موقع التجريب الواعي لإنسان يتمتع بحساسية عميقة تجاه اللّغة ويعرف أيضا أنّ هذه اللّغة نبتة حية قد تنمو في تربة بعينها أو تموت أو تتشوه في تربة أخرى وهو يقول: " لا أعتقد أنّ المسألة مجرد مسألة كلمات. إنّ الكلمات مهمة لكن ليس بالدرجة الأولى. أتكلم عن اللّغة بمعناها الأعمق. إنّ رؤية الشخصيات للعالم، مشاعرهم، مفهومهم للوجود هي التي تختلف، ليس الأمر مجرد كلمات... مادامت تستطيع أن ترى هذه الأشياء بالشكل الصحيح فاعتقد أن الكلمات المناسبة سوف تأتيك"..." (عاشور، ۱۹۸۱، صفحة ۱۱۲) والحالة تلك نجدها مجسدة أيضا عند السينيغالي سيمبيني عثمان. ... "إنّها محاولات مستمرة من الكُتاب للتأصيل، وصراع دائم مع اللّغة الدخيلة ليهزموها في النهاية كما هزمتهم في البداية." (عاشور، ۱۹۸۱، صفحة ۱۱۲)

هكذا سترسم الرواية في إفريقيا صورتها الخاصة بإفريقيتها في فترة ما بعد الكولونيالية تتمايز تماما عن صورتها التقليدية الأولى.

د- أهم نتائج البحث

إنّ من أهم ما يمكن أن نستخلصه من نتائج بالتركيب بين كل تلك المعطيات، نجمله في النقاط التالية:

۱/ رغم الإتفاق على الجذور الغربية الأوروبية للرواية بالمفهوم الاصطلاحي فإنّه لا يمكن أن تعدم أمم مشبعة بإرثها الشفاهي الذي صنعته الأساطير والقيم الميثولوجية، بل إنّ الرواية في الغرب رضعت الإرث الأوروبي الذي كان شفاهي هو الآخر أيضا، ومادامت الرواية جنسا تشبّع بذلك العالم وتلك القيم، ومادام أن الأساطير والخرافات كلية الوجود في العالم، فهذا يعني أنّ الرواية لا ترتبط بأمة واحدة ولو كانت متعلّمة، بل وقد تحقق نجاحات تساوي ما هو موجود من نتاج روائي في الغرب بالانغماس في الطابع المحلي.

۲/ إنّ الموروث الشفهي الإفريقي الغني والمتنوع وجد لنفسه مساحة تماس مع الرواية باعتبارها نوعا ماصًا. بل يمكن القول أنّ مستقبل الرواية عموما يكمن في إفريقيا بعد استنفاذها كل نشاط إنساني خيالي منذ تاريخه الطويل، وهذا ما يسهم في اغتناء الرواية وضخ دماء جديدة وروح جماعية تدفع فيها الرواية المحلية، والرواية بلغات المستعمِر إلى الأمام، وفهم أحسن للجوهر البشري، وهو ما سيكسبها جمهورا آخر في الغرب.

۳/ وجب على إفريقيا حسم مسألة النشر والهوية اللغوية وتدعيم الأقلام الجادة وإيجاد الحلول، بعيدا عن الرقابة وسياسة تكميم الأفواه.

٤/ إنّ إشكالية الهوية اللغوية التي أفرزت بعد استقلال بعض البلدان الإفريقية، تعدّ مشكلة حقيقية إن لم يتم فهمها واستيعابها تاريخيا، خصوصا مع ضعف وسائل النشر أمام المثقف الروائي الإفريقي بعيدا عن عقدة الكتابة للآخرين، بل قد تخدم الرواية في إفريقيا بجهمور واسع، وإن بقي الأدب إنسانيا لا حدّ له، ونتاج مخيلة إنسانية واحدة.

ختاما، إنّه من خلال الطروحات والقضايا التي أثيرت في بحثنا، يمكن القول أننا أمام نوعين من القضايا: منها ما يخص الرواية كنوع أدبي حديث الظهور في القارة السمراء من جهة، ومنها ما يخص الروائي الإفريقي سواء باعتباره مواطنا إفريقيا داخل القارة أو خارجها. ونعتقد جازمين أنّه لو تم إيجاد حلول لبعض القضايا المذكورة آنفا (إشكالية الهوية اللغوية وكذا علاقة المثقف الروائي بالسلطة)، أو تُجوزت، و أُدركت طبيعة الثقافة الإفريقية باعتبارها تقوم على الشفاهية وعلى الروح الجماعية، لاستطاعت إفريقيا أن تغتني من نفسها وتجلي شخصية هذا الكائن الإفريقي وحساسيته، وجوهره، وأن تخلق لنفسها

تقاليد تختلف عن التراكمات النظرية التي أنتجها الغرب، بصبر دؤوب وعمل متواصل. والحقيقة أنّ الرواية بدأت تسلك طريقها بثبات في كتابات هذا المبدع الإفريقي الذي ظنّه الغربي لقرون مضت تابعا لا ينهض.

قائمة المصادر والمراجع

١/ العربية

باختين، ميخائيل. (١٩٨٧). **الخطاب الروائي**. ترجمة برادة محمد. الطبعة الثانية. الرباط. دار الأمان للنشر والتوزيع.

باختين، ميخائيل. (١٩٨٢). **الملحمة والرواية، دراسة الرواية، مسائل في المنهجية**.ترجمة: شحيد جمال. الطبعة الثانية. بيروت. كتاب الفكر العربي. استرجعت من www.mediafire.com

بيام، ديل. (١٩٩٩). الفن والمنفى والمقاومة في حوار مع وول سوينكا. **مجلة الآداب الأجنبية**، **٩٩–١٠٠**، ١٨٩- ١٩٧. استرجعت من archive. Alsharekh.org

حمّود، محمد. (٢٠٠٨). **الأدب الإفريقي**.بيروت. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

سعيد، إدوارد. (٢٠١٤). **مقدمة الثقافة والإمبريالية**. ترجمة: أبوديب كمال. الطبعة الرابعة. بيروت. دار الآداب. استرجعت من Kotobati.com

شارتيه ، بيير . (٢٠٠١). **مدخل إلى نظريات الرواية**. ترجمة: الشرقاوي عبد الكبير. الطبعة الأولى. الدار البيضاء. دار توبقال للنشر.

شلش، علي. ((١٩٧٨). **الأدب الأفريقي**.في **سلسلة كتب ثقافية شهرية**. الكويت. يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. استرجعت من www.noor-book.com

شلش، علي. (١٩٨٤). أثر البيئة في الأدب الأفريقي. **مجلة الأقلام**، **١٠**، ٥٢- ٦٢. استرجعت من archive. Alsharekh.org

شلش، علي. (١٩٨١). من تراث الشعوب، الأدب الشعبي في أفريقيا. **مجلة التراث الشعبي**، **٨**، ١٩١- ٢٠٤ استرجعت من archive. Alsharekh.org

شوفرييه، جاك. (١٩٩٥). نظرة إلى التراث الشفهي في إفريقيا السوداء. ترجمة: أمين نورا. **مجلة التراث الشعبي**، **٨**، ٧٥- ٨٢. استرجعت من archive. Alsharekh.org

عاشور، رضوى. (١٩٨١). كتاب الشهر، التابع ينهض، محاولةلاستكشاف الأدب الإفريقي. **مجلة الدوحة**، ٣، ١١٠- ١١٤. استرجعت من archive. Alsharekh.org

كونديرا، ميلان. (٢٠٠٧). **ثلاثية حول الرواية. فن الرواية والوصايا المغدورة والستار**. ترجمة عرودكي بدر الدين. المشروع القومي للترجمة. إشراف: جابر عصفور.

كونديرا، ميلان. (٢٠١١). **لقاء**. ترجمة: ينعبود محمد. الدار البيضاء. بيروت. المركز الثقافي العربي. استرجعت من FabulaBook.com

كويتزي، ج. م. (٢٠٠٤). **الرواية في إفريقيا**.ترجمة: حسين عيد. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية.

وا ثيونغو ،نغوجي. (٢٠١١). **تصفية استعمار العقل**. ترجمة: سعدي يوسف، دمشق. دار التكوين. استرجعت من www.noor-book.com

٢/ الأجنبية

Kristeva. Julia. (١٩٧٠). **Le Texte du Roman. Approche Sémiologique d'une Structure discursive transformationelle.** The Hague. The Netherlands. Mouton Publishers.

Bakhtine. Mikhail. (١٩٨٤). **Esthétique de La Création Verbale.** Traduit du russe par Aucouturier Alfreda. Préface de Tzvetan Todorov. Ed Gallimard.

انفعال اللّغة الروائية في ظلّ المتغيّرات السياسيّة رواية (الرّعب) لأيمن العتوم أنموذجًا

د. أمل يونس محمد إرحيم

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معرفة العلوم الإسلامية والإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا

الملخص

في ظلّ متغيّرات الأحداث المتلاحقة في العالم، تحاول الرواية العربية أن تقوم بدورها الثقافي المجتمعي، فهي وسيلة تواصل بين المجتمعات، وبذلك فإنّ الرواية تسعى إلى مواكبة التطوّرات الواقعية ومنها الأحداث السياسية، الأمر الذي دفعها إلى تحسين جودة وسيلتها التواصلية، وذلك بالعمل على خلق انسجام بين المتغيّرات الحياتية ولغة السرد، وإنتاج حركة تعبيرية متناغمة مع الحدث، الأمر الذي يعزّز الفعالية اللغوية في الخطاب السردي، فاتّجهت نحو مزامنة الحدث، واستفادت من هذه المزامنة بتشكيل فضاء لغوي ذي كثافة تعبيرية أعمق أثرًا. في هذا البحث وقفت الباحثة على رواية "الرعب" لأيمن العتوم، والتي تناول فيها أحداث غزة في ظلّ متغيّرات السابع من أكتوبر؛ حيث رصدت الباحثة في بحثها انفعالات اللغة الروائية، وقد تناولت الموضوع من ثلاثة محاور: المحور الأول وقفت فيه عند مظاهر انفعال القالب السردي، فتناولته من بعدين: انفعال القالب الوصفي ونزعة التساؤل، أمّا المحور الثاني فوقفت فيه عند الانفعال اللفظي من جهتين: خصوصية المكان وخصوصية الحدث، لتنتقل للمحور الثالث، وتقف فيه على الحقول الخدماتية للموضوع، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في بحثها؛ لتصل إلى خلاصة مفادها أنّ الروائي استفاد من مزامنة النصّ للحدث في تشكيل فضاء لغة السرد، وقد تجلّى انفعال اللغة السردية في مواطن عدّة نتجت عن التأثر الشديد بالحدث السياسي، الأمر الذي يؤكد حالة المعايشة الشعورية للحدث عند الروائي، كما يؤكد على دور اللغة في التعبير عن التوتّرات السياسية وصراعاتها وانعكاساتها على الحالة المجتمعية.

الكلمات المفتاحيّة: رواية الرعب، السابع من أكتوبر، أيمن العتوم.

مقدّمة

شهدت الرواية العربية تحوّلات جذرية في لغتها، حيث اعتمدت أشكالًا تعبيرية جديدة بعيدًا عن نمطية السرد وطرقه الكلاسيكية، ف"الرواية العربية منذ انطلاق صيرورتها وهي تعرف تطوّرات وتحوّلات في الشكل والموضوع، بفضل تطوّر بنيات المجتمع ونمو بنياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية"،(١) فهي تقوم بدورها التوعوي والتثقيفي من خلال وقوفها عند المشهدين: الاجتماعي والسياسي، وذلك بمتابعتها التطوّرات السياسية والمجتمعية، فهي تعمل كوسيط أدبيّ قادر على اختزال الانفعالات المجتمعية التي تختص بالقضايا الإنسانية. من بين الروائيين الذي تميّزوا في هذا الجانب الروائي أيمن العتوم(٢)، والتي تميزت رواياته بقدرتها على استنطاق حالة الاضطراب السياسي، ورصد توتّراتها، فقد تناول الواقع المأزوم لحال الأمة العربية في روايات عدّة له. في روايته (الرعب) استطاع أن يكشف عن أبعاد الرعب الاجتماعي والنفسي الذي يعيشه أهل غزة منذ أحداث السابع من أكتوبر ، وقد استخدم لغة انفعالية عالية الكثافة، حاول من خلالها أن يسبر أغوار الواقع الإنساني في غزّة في ظلّ المتغيّرات السياسية التي طرأت على المنطقة، ويقف عند تأثير هذه التغيّرات على الحالة العامّة للمكان، مستخدمًا شبكة من التشكيلات اللغوية غير النمطية في خطّه السردي، فاستخدم الوصف كأداة للتعبير عن حالة الصراع الخارجي والداخلي، فلم تقتصر وظيفة الوصف على تأدية دور الناقل الصوري فحسب، بل كان يشحن تلك الصور بخصائصها الانفعالية؛ لتتناغم وحالة التشظّي التي يعيشها أهل المكان، كما استخدم نزعة التساؤل في محاولة لفهم علاقة الصراع بين الحقّ والباطل، وقد أولى عناية فائقة لمنتخباته اللغوية التي شكّلت ملمحًا أساسيًا من ملامح الانفعال اللغوي.

يهدف البحث إلى دراسة الحالة الانفعالية للغة النّص السردية في رواية (الرعب)، وذلك بتحليل نصوصها وتسليط الضوء على الكيفية التي وظّف فيها العتوم لغته الروائية التي جسّدت حالة التحوّل السياسي التي حدثت، في سعي منه لفهم العلاقة الجدلية بين اللغة وبين السياق السياسي، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لرصد حالة الانفعال للمتتالية اللغوية.

أولًا: انفعال القالب السردي

تتأثّر لغة السرد بما حولها من ظروف الواقع وطرق صياغته على الأرض، فتنفعل اللغة بانفعال صاحبها، فكلّ ما هو قابل للتأثر قابل للانفعال، ومن مظاهر الانفعال الصيغ التعبيرية، والتي تتأثّر بالمثيرات حولها؛ لتنعكس على الأديب، فتؤثر على شبكة الخيال لديه، ليتمثّل هذا الانعكاس سلوكيًا _فيما بعد_ كنتاج أدبي ذي صبغة خاصة.

الانفعال لغة: (فعل) الشيء فَعْلًا وفِعالًا: عمِله. (افتعل) الشيء: اختلَقَه وزَوَّرَه... (انفَعَلَ): مطاوع فَعله. فهو مُنفَعِل، انفعل بكذا: تأثّر به انبساطًا وانقباضًا.(٣)

الانفعال اصطلاحًا: في علم النفس، هو "استثارة وجدان الفرد وتهييج مشاعره، وهو أمر متعلّق بحاجات الكائن الحي ودوافعه... ويُستثار الانفعال عندما يُستثار الدافع، ويأخذ الشكل الذي يناسبه ويتّفق معه".(٤)

عُرّف على أنّه حالة من التوتر مصحوبة بتغيّرات فسيولوجية مدفوعة بالدوافع، غير مقتصر على العلامات الجسدية،(٥) فهو ردة فعل إدراكية، قد تتحوّل إلى عملية وعي مؤثرة على مدركات الشخص وعلى علاقته بالحياة. والانفعال له معنى "فهو يدل على شيء، وبهذا لا نعني فقط أنّه يأتي كصفة صرفه، بل يُلقي بنفسه كنوع من علاقة كياننا النفسي مع العالم، وهذه العلاقة أو بالأحرى الوعي الذي ندركه فيها... هي هيكل منتظم قابل للوصف".(٦) فهو شيء قابل لأن يتحدّد.

إنّ الأثر الذي تتركه الانفعالات في النفس البشرية قد يظهر عبر سلوك تعبيري، ليس بالضرورة أن يكون هذا التعبير فيسيولوجيًا، فقد يكون تعبيرًا إدراكيًا؛ إذ إنّ الانفعالات بمثابة الشاحن لأفضية الخيال عند الكاتب، واللغة الروائية المنفعلة هي نتاج تعبيري مؤثّر فرضته المزامنة الحدثية، ترعرع بين المرئي والمسموع للواقع الإنساني، إنّ "هذا الواقعَ الإنسانيَ نفسَه يتحقّق على شكل (انفعال)... من المستحيل اعتبار الانفعال بمثابة اضطراب نفسي فيزيولوجي، فإنّ له جوهرَه، وهياكلَه الخاصة، وقوانينَ ظهوره، ودالتَه، ولا يمكن أن يتأتّى من خارج الواقع الإنساني، بل بالعكس، إنّ الإنسانَ هو الذي يتحمّلُ انفعالَه، ويصبح الانفعالُ بالنتيجة شكلًا منتظمًا من أشكال الوجود الإنساني"،(٧) هذه الأشكال المنتظمة من الانفعال قد تتراءى لنا في شكل لوحة أو قصيدة شعرية أو أغنية، وقد كانت "الانفعالاتُ _دائمًا_ مصدرَ إلهام للأدباء، ومنبعًا لأعمالهم، ومحرّكًا للسلوك الإنساني في الروايات والأقاصيص والقصائد والمسرحيات. ألم يكن غضبُ أخيلَ لمصرع صديقِه باتريوكولس على يد الأمير الطروادي هكتور هو الشرارة التي أطلقت ملحمة هوميروس (إلالياذة) في القرن الثامن ق. م ... ألم يكن حزنُ الخنساء على مصرع أخيها صخر هو ما أسال دموعَها دمًا في مراثيها؟ ألم يكن غضبُ المتنبي على كافور الإخشيدي... علّةَ الصواعق التي رمى بها المتنبي كافورًا".(٨) إنّ الطاقة الناتجة عن الانفعال ليست بالضرورة طاقةً سلبيةً، فقد تمثّل محرّكًا ديناميًا على الصعيد الأدبي، فهي تثري التجربةَ الأدبية، وتَصبُغُها بالمصداقية، تنثرُ في أرجائها الدفقاتِ الشعوريةَ العاليةَ التي تعملُ على تناغم الاتساق اللّغوي، ف"الانفعاليةُ ليست في الواقع سوى طاقةٍ مخزونةٍ أو مكبوتةٍ يُحرّرُ منها كلُّ حادثٍ وكلُّ صدمةٍ مؤثرةٍ جزءًا يكبر أو يصغر تبعًا لأهمية الصدمة أو الحادث، ويمكن تشبيه الانفعالية بطاقة كهربائية تعطي جزءًا من إمكاناتها إذا عالجها محرّك".(٩) إنّ مقدار تفاعل اللغة الروائية وانفعالها يعتمد على نوع المثير وقوّته، فقد يرتدي النصُّ أرديةً لغويةً تتماهى

مع المثير، هذه الأرديةُ تتعالقُ فيما بينها لتتّخذَ أشكالًا وهّاجة، بحيثُ لا تدعُ مجالًا لركود النصّ، فهي تبثُّ حركيّةً فاعلةً في المسار السردي، هذه الحركيّة تحمل في طيّاتها تموّاجاتِ الكِيان اللُّغوي وحالتَه الانفعالية.

يتجلّى الانفعالُ اللغويُ في استبطانِ خصائصِ اللغة الروائية ذات الكثافة، فاللغةُ تعدُّ دالًّا ووسطًا تتحقّقُ فيه بنودُ الحكاية، وتترسّمُ في فضائِها حدودُها بكلّ فيضها الوجداني، تتكشّفُ حالتُها الانفعالية من خلال استبصار ملامحها عبر نوافذ التأويلِ ومدِّ جسورِ التحليل.

- **القالب الوصفي في المتتالية السردية**

من مظاهرِ انفعالِ لغةِ السّرد انفعالُ القالبِ الوصفي وكثافتُه عبرَ المدّ الحكائي، فقد اعتمد الروائيُ الأسلوبَ الوصفيَ إلى حدّ كبير في سرده، باعتبار حيثياتِ الحالةِ الانفعاليةِ الجماعية. ويعدّ الوصفُ هو الوسطُ الذي تعملُ فيه حاسةُ البصر، أي أنّها تشكّلُ المشاهدَ بناءً على الوصوف التي تتراءى لها عبرَ اللغةِ المنتخبة، فالوصف هو "نشاط فني يُمثِّلُ باللغةِ الأشياءَ والأشخاص والأمكنة وغيرَها وهو أسلوبٌ من أساليب القصة، يتّخذ أشكالًا لغويةً كالمفردات والمركب النحوي والمقطع، وأيّا كان شكلُه اللغويُ فهو يخضعُ لبنية أساسية"،(١٠) لا يمكنه التمرّدُ عليها، عرّفه (جيرالد برنس) على أنّه: "عرضُ وتقديمُ الأشياءِ والكائناتِ والوقائع والحوادث"،(١١) وبذا فالأشياءُ والأشخاصُ والحوادثُ هي مادةُ الوصف، تُبثُّ فيها روح البصرية ويُشحن ضدُّها الخيال، وقد عرّفته (سيزا قاسم) على أنّه: "أسلوبٌ إنشائي يتناول ذكرَ الأشياءِ في مظهرها الحسّيّ، ويقدّمُها للعين، فيمكن القولُ أنّه لونٌ من التصوير بمفهومه الضيقِ يخاطبُ العين، أيّ: النظر، ويمثّلُ الأشكالَ والألوانَ والظلال"،(١٢) فخطابُ الوصف موجّهٌ لحاسّة البصر التي تترجمُه إلى لغةٍ مدركة بالوعي، وقد "اقترن الوصفُ منذ البداية بتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها كما هي في العالم الخارجي وتقديمها في صور أمينة تعكس المشهدَ وتحرِصُ كلَّ الحِرص على نقلِ المنظورِ الخارجي أدقَّ نقل، وارتبط وصفُ الأشياء بمفهوم المحاكاة الحرفي أيّ: التصوير الفوتغرافي"،(١٣) وبهذا فإنّ الوصفَ تقنيّةُ نقل، أو وسيطٌ تتشكّلُ فيه الأشياء أو الحالات ليسهلَ تحديدُ ماهيتها، كما يحملُ معانيَ متعدّدة، تُسهم في تطوّرِ الأحداثِ كما تسهمُ في الكشف عن الأبعاد النفسية للشخصيات، وبهذا فهي تحوي طاقةً فاعلةً في حركيّة النصّ.

أكثرُ ما يكون فيه الوصفُ منفعلًا حين ينقلُ المعاناة، وحين يتتبّعُ مأساوية المشهد الإنساني، وحين يكون مخبرًا عن حالة الحزن. اعتمد الروائي تقنيّة الوصف بشكل كبير، باعتبارها القالب الأكثر اتساعًا لحالة الواقع السياسي المزري.

الوصف وارتجاف المعنى

عندما تتذبذبُ الأمورُ ويتعالى علينا وضوحُها، ويعجزُ التعبيرُ عن نقل حقيقة الشعور، وتكتنفه الضبابية؛ بحيث لا يعود بإمكاننا فرزُ شفافيةِ معانيه عن بعضها، فإنّ المشهد أمامنا مرتجفُ المعنى، يتنقّل بالقارئ بين محطّات شعورية عالية الحساسية؛ فيشعر بارتباك المعاني نتيجة الدفقة الإنسانية العالية التي ضُخّت في المشهد، وقد كان النصُّ سخيًا بهذا النوع من الوصف، ومن هذا الوصف:

"كانت هناك جثّةُ شهيد ممدّدٍ على الرماد، تحيط به موجودات البيت من خشب وبقايا أثاث، كانت تحترق، وكان شاب قريبٌ من عمره يضغط بكلتا يديه على صدر أخيه الشهيد دون أن يستجيب، وبين الرجاء والأمل واليأس والخوف واليقين والشك كان يصيح بكلّ ما فيه من فجيعة: (يا الله... يا الله) وجثة أخيه تهتزّ على إيقاع تحريكه".(١٤) جاء الوصف مذبذبًا بين وصف الشخصية ووصف الحالة للمشهد ككلّ، وقد ذهب الروائي إلى قلقة ثبات الحالة باستخدامه الألفاظ الضدّية

(الأمل واليأس، اليقين والشك)، الأمر الذي أدّى لارتحاف المعنى الوصفي، فلم يستقر المشهدُ على ضفاف اليأس ولا على ضفاف الأمل.

الوصف التّأملي

لم يقتصر الروائي على وصف المكان والحالة التي هو عليها وتوابع هذه الهيئة فحسب، بل أعطى المشهدَ استحقاقَه الوصفيَ الكاملَ عبر التعليق الختامي للمشهد الموصوف، ومن هذا: "عدد كبير من الجثث المتطايرة عقب الانفجار كان يستقرّ في هذه الحفر العملاقة، وكنّا ننتشلها كأنّنا ننتشل قطعة أثاث مهترئة، لقد فعل الموت كلّ شيء بها، كانت بعض الجثث بلا ملامح، ولا وجوه، وكنّا أحيانًا لا نعرف إن كانت الجثة لرجل أو امرأة أو طفل أو طفلة... إنّ الموت أصعبُ كائن مُتخيل، بحيث يُعييك أن تنعته أو تعطيه وصفًا مهما كانت براعتُك".(١٥) المشهد الوصفي يحاكي في هيئته وتعبيراته المشاهد الواقعية في غزة (انفجارات، حفر، جثث متطايرة بلا ملامح) إنما مكوّناتُ مشاهد الحياة اليومية في غزة، هذه المشاهد الوصفية منحت المحتوى الوصفي تأمّلاتٍ فلسفيةً، فكيف يمكن للغزي أن يتعاملَ مع الموت الذي يترصدُه من فوقه ومن تحته، يتفنّن في عمله. يعلّق البطلُ على هذا المشهد بنظرة تأملية وفلسفية عن الموت.

الوصف والمشهد التنبؤي

بعض المشاهد الوصفية تقدّم تلميحات للقارئ تعينه على التنبؤ بما سيؤول إليه المشهد فيما بعد، أو تفصح عن بعض التطوّرات التي ستطرأ على الحالة الآنية في الزمن المستقبلي، وقد تمنح القارئ إشارات مرتبطة بالتحوّلات السردية المستقبلية، إنّها تقدّم الأوصاف كدوالٍ متّسقة تصبّ في مجرى تطوّرات المسار السردي؛ بحيثُ تشحنُ القارئَ بشحنة اندفاعية التوقّعات، الأمر الذي يتركه على وضعية انتظار النبوءّة المشهدية، ممّا يدفعه نحو مواصلة القراءة في رغبة منه لاكتشاف قدراته التنبؤية، ومن هذا الوصف:

"قريبًا من الحمامة كان رجل سبعيني يئن، لم نكن قد وصلنا إليه بعد. كانت ذراعه مع نصف كتفه الأيمن تقريبًا مهروسًا تحت كتلة من الباطون الثقيلة ويبدو أنّها تهتّكت، وأنّ مسألة فقده لها محسومة".(١٦)

في هذا الوصف للرجل السبعيني يقدّم الروائي مشهدًا مستترًا خلف المشهد المرئي، تراءى للقارئ عبر إشارة وصفية مأساوية (كانت ذراعه مع نصف كتفه الأيمن تقريبًا مهروسًا...وأنّ مسألة فقده لها محسومة) فالوصف الجديد الذي سيكون عليه هذا السبعيني في ذهن القارئ، شخص سبعيني بذراع واحدة، نبتت ملامح فقد الثانية على وجهه، المشهد مليء بزخم المأساة الغزية التي تشير إلى الواقع الأليم، هذا المشهد يشير إلى الحالة المستقبلية التي سيكون عليها الكثير من شباب غزة وأطفالها ونسائها، بإمكانك أن ترى في غزة مستقبلًا بعد سنوات من هذه الحرب، شبابًا مبتوري الأطراف، نساء مبتورات الأحلام، لا يستطعن الاعتناء بأطفالهم ولا ضمّهن، بعد أن فقدن سياج الحضن (أذرعهن)، كيف سيكون مستقبلُ كلِّ هؤلاء؟ وما هو الثأرُ الذي يمكنه إخماد لهب الفجيعة في صدور أهل غزة؟ وما هو الحجم الذي سيكون عليه هذا الثأر؟

الوصف وعشوائية الحدث

الوصف لا يكون عشوائيًا وإلا فهو عبءٌ على السرد، لكنّ الوصف قد تتلبّسُه حالةُ العشوائية، وكأنّك تشاهد مشهدًا مختلّ التركيب، والحقيقةُ أنّ الحدثَ قد يكسبُ الوصفَ نوعًا من الجموح، فلا تراه منطقيًا، إنّما جاء ليخدمَ الحدث أو يعزّزَ من القيمةِ الرساليةِّ للنصّ، وتُبرّرُ عشوائيتُه بعشوائيةِ الواقع وجموحه، كما حدث في غزة، ومن هذا: " كنّا في المساحات التي يمكن

أن نقف عليها بين طابقٍ وطابقٍ من بناية مهدّمةٍ نُخرجُ الجثث، وكنّا لقلّة النقّالات نجعلُ الجثثَ تنزلقُ هاوية على الباطون، أو نقوم برميها على عدد من المسعفين الذين يكونون ينتظرون تلقّفها في الأسفل. كان هذا سيكون محرّمًا ومجرّمًا لو كان الوضع طبيعيًا، ولكنّها الحربُ لها أحكام، وأحكامُها تفسدُ الأخلاق والذوق، وإنّنا لمضطرون".(١٧)

في وصف أفعال المشهد دلالة على عشوائيته من جهتين: جهة اللامنطقية الإجرائية، وجهة الدلالة اللفظية للأفعال المستخدمة: (تنزلق هاوية)، فلا هدف محدّد للانزلاق وفعل الانزلاق عشوائي النتائج. (نقوم برميها) وفي فعل الرمي دلالة على عدم الاكتراث. (تلقُّفَها) فعل التلقّف يكون للشيء المرمي، أو لما يسقط من علوّ، وفي دلالة الفعل إشارة إلى احتمالية انحراف المرميّ وسقوطه بعيًدا عن المكان المراد له، وفي هذا كلّه جراحٌ عشوائية الوجع، لا تستطيعُ أن تميزّ صوتَ الآهِ فيها، هل هي آهُ الفقد، أم آهُ النزوح والتشرّد، أم آهُ الجوع، أم آهُ الحنين، أم آهُ المريض الذي لا يجدُ الدواء، أم آهُ الإصابة! يختم الروائيُ مشهدَه بتعليق يدلّلُ فيه على عدمِ منطقية الواقع (ولكنّها الحرب، لها أحكام، وأحكامها تفسد الأخلاق والذوق) لا تفسد الحرب الأخلاق والذوق فحسب، بل تفسد الضمير الإنساني بكلّه، هذا إن لم تهلكه بالموت، ففي فساده فرصةٌ للعلاج، لكنّ موتَه يعني انعدامُ فرصةِ علاجه وإحيائه من جديد، وقد أثبتت حربُ غزةَ أنّ العالمَ يكيل بمكيالين، تتقاذفُه يدُ ازدواجية المعايير.

الوصف وهذيان المشهد

وقد يحملُ الوصفُ على عاتقه تمثيلَ حالةِ الاضطرابِ بما فيها من شتات، وقد يسقطُ القارئُ تحت سطوةِ الذهول الذي يقمعُ فكرةَ وجودِ المشهد ولو في خياله، وكأنّه يمنحُ المشهدَ شيئًا من الهذيان، هذا الهذيانُ الذي يمنحُ القارئَ لذعةً قرائية، يتعاطى معها بمحاولته إعادة هيكلة التفكير في المنظومة الحياتية، مثل هذه المشاهد التي تعبّر عن ضياع المنظومة الأخلاقية، واضطراب الحالة الإنسانية؛ تدفع القارئ للتساؤل عن جدوى قوانين حقوق الإنسان، وعن جدوى حقوق الطفل وجدوى صراع الإنسان مع أخيه الإنسان، ومن هذا الوصف:

"أخرجنا طفلة من تحت الأنقاض، كانت نحيلة، وشعرها منكوشًا، وقد امتلأ بالغبار والرماد، وكانت إحدى عينيها مطفأة، فيما كانت تنظر برعب إلينا بعينها المفتوحة الأخرى".(١٨) المشهد يعبّر عن جنون الحدث، فالأوصاف بحدّ ذاتها تهذي، طفلةٌ تحت الأنقاض، بكلّ ما في هذا الوصف من رعب متخيّل، (طفلة نحيلة، منكوشة الشعر وقد امتلأ شعرها بالغبار والرماد) هذه الحالة نتاج فعل الحدث (القصف)، الغبار والرماد دلالة التيه والألم وضبابية المشهد. (إحدى عينيها مطفأة) يلتمع هذيان الوصف في هذه العبارة، فماذا ارتكبت طفلة كي يكون عقابها إطفاء نور عينها؟! الوصف يقذف بالقارئ نحو محيط الألم عبر إثارة عاطفته الإنسانية.

ب-نزعة التساؤل وكثافتها في مسار السرد

لقد أفرد الروائي لصيغة التساؤل مساحات كبيرة في نصّه السردي باعتبارها باب الولوج إلى الفهم ومحرّك البحث عن الحقيقة، وأيّ صيغة كلامية هي مكوّن من مكوّنات النسيج اللغوي، "وتحتلّ الصيغة في نسيج السرد أهميّة خاصّة، إذ تنصبّ فيها أصوات الماضي والحاضر، وتتراءى في هندستها تعاريج الوعي باللغة والحياة معًا".(١٩) شكّلت رواية (الرعب) أرضًا خصبة للتساؤلات، منها الوجودية ومنها ما يتعلّق بالبحث عن الحقيقة في ظلّ صراع الخير والشرّ، بوصفها رواية سياسية، يلتمع فيها الإبهام، وتختلط فيها الرؤى، وقد منح الروائي الشخصية الرئيسة مهمّة الاشتغال على هذه المساحة. "إنّ قيام المؤلف بجعل السارد هو منجم صياغة الأسئلة داخل النصّ سيجعل القارئ أكثر فاعلية من الناحية القرائية؛ تجاه استدلال أبعاد التساؤلات والوقوف على فحواها كما يكون أدنى قربًا من استحصال الإجابات لها، وأكثر استعدادًا لرصد ماهيتها عبر التأمل، الذي

يوجّه قراءاته توجيهًا مدرّبًا محنّكًا وبمداومة فكرية".(٢٠) حاول الروائي أن يقدّم للقارئ نصًا غزير المداخل؛ ليضطرّه إلى ولوج هذه المداخل والمشاركة في وضع قوانينها عبر مساحة التساؤل، تلك المساحة التي تذكي من جذوة الفكرة وتعمل على تطوّرها، وتصبّ في خدمة مركزية النصّ.

التساؤل طريق الفهم والإدراك والذي يتشكّل بموجبهما الوعي، وقد وظّفت "الرواية العربية الجديدة نزعة التساؤل في إطار جدلي إزاء العالم الروائي من خلال صناعة شخصية رئيسيّة لتكون فاعلة في توضيح المغلق واستنكاه الأسرار، لعلّها تتمكّن من الظفر بالفهم لما هو فوضوي أو غير مقنع أو ملتبس من الظواهر والمفاهيم والتصوّرات التي تحيط بواقعنا".(٢١) اختار الروائي شخصيته التي تدير برنامج التساؤلات في المسار السردي بناء على مكانتها في الرواية كشخصية رئيسة، وبناء على دورها بوصفها المراقب الذي يروي الأحداث ويعايشها في الوقت ذاته، وحتى تكون التساؤلات أكثر فاعلية في النصّ لا بدّ أن تتماهى مع الرسالة النصية، بل وتحرّض القارئ على المشاركة في فتح الأبواب المغلقة، لهذا كان لا بدّ من وجود شخصية تمنح النصّ جرعة من التساؤلات، ف "تتداعى على لسانها متدفّقة في وعيها بعفوية وربّما بقصدية، والهدف من وراء ذلك هو الرغبة في إعادة تشكيل الواقع المفكّك وترميم المحيط المهشّم وإنقاذه من السقوط والتدهور والشذوذ"،(٢٢) وفي رواية (الرعب) يتداعى الواقع أمام البطل بلامنطقية، وتتهاوى النظم الأخلاقية في ظلّ ما وصل إليه العالم من الانحطاط السياسي، ومن هذه التساؤلات:

"لم كلّ هذا السعي المحموم إلى البقاء؟! لم كلّ هذا اللهاث وراء رغبات لم تكن إلا فقاعات هواء تنفثئ بأقلّ نسمة عابرة؟!... عمّا قريب سنكون نحن وأنتم أيّها الطغاة تحت الأرض، ما الفرق بيننا؟!... ستموتون بالشيخوخة، سنموت بالراجمات... ما الفرق؟!".(٢٣) يطرح البطل تساؤلاته تجاه صراع الوجود، يتساءل عن جدوى الصراع إن كانت النهاية الحتمية الفناء لكلّ شيء! وفي هذا إشارة إلى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان عندما يحتلّ أرضه ويستبيح عرضه ويتغوّل في همجيته، لماذا لا يحترم الإنسان إنسانيته؟ لماذا يطغى ويتجبّر؟! وراء هذه التساؤلات انفعال داخلي، يترشح من باطن النفس البشرية المسحوقة، والمضطهدة، هذا الانفعال الشعوري يقابله انفعال لفظي، يتراءى من سلسلة التساؤلات التي شكّلت حركية تعبيرية متدفّقة، منبعها القهر والوجع، تستنكر الظلم وترفض التخلّي عن حقوقها الإنسانية. إنّها تعكس حجم الضغط النفسي الذي يعانيه أهل غزة في ظلّ هذا الصراع، هذه الانفعالات التي تظهر في قالب التساؤل تشكّل جزءًا من البناء النصيّ، بل وتمنحه دينامية فنية.

"لماذا نحن نقول هذا كلّه؟ لمن نروي هذه الحكاية؟ أيّ كبير فائدة أن نسرد حكايانا الملطّخة بالوجع، المعجونة بعار أشقائنا العرب، هل يمكن أن يشعروا بالندم حين يأتي جيل غير فاسد من الأجيال القادمة...؟ أيمكن أن يحدث هذا؟".(٢٤) يتّبع الروائي الأنموذج ذاته في معظم مساحات التساؤل، فهو يميل إلى فتح باب التساؤل ثمّ يطلق العنان لانبثاق تبعاته؛ لتحلّق في فضاء النصّ بتجاورات متتالية، تشكّل دفقة انفعالية عالية الوتيرة. بدأ تساؤلاته ب (لماذا) ثمّ (أيّ) ثمّ (هل) ثمّ (الهمزة) وقد منح التسلسل منطقية، يتساءل عن جدوى الحديث، عن المظلومية، ثم جدوى طرح الحديث على مجتمعات لا تسمع ولا تعي، ثم يقف عند عدمية الفائدة من سرد حكايات الوجع على مجتمع له اليد الطولى فيه، فالصمت عماد استمرار الجريمة، هذه التساؤلات تصبّ في خانة الشك، الشك في مصطلح (الأشقاء)، الشك في جدوى القوانين والأنظمة التي يختلقها العالم لصناعة النظام وحفظ الحقوق، كما يصبّ في خانة الرفض، رفض كلّ الادعاءات، فقد أثبتت فساد صحتها بفسادها.

" لا أدري حتّام سيستمرّ كلّ هذا؟! إلى متى سنبقى نقتل والعالم كلّه يتفرّج... كيف يكون صلح على دم؟! كيف لا يكون ثأر إذا كان دم؟!".(٢٥) هذه التساؤلات تمثّل الحالة التي تنتاب البطل أمام كلّ ما يجري، فهي تضعه في متاهات البحث عن الحقيقة، ليقدّم من خلال رحلة بحثه التساؤلية استهجانًا للواقع، ليطرح المنطقية الوحيدة التي تصلح للمشهد الواقعي القائم عبر

طرحه اللامنطقي (كيف لا يكون ثأر إذا كان دم؟) إنّه يتبرأ من فعل السياسة. وهنا يحاول الروائي أن يطرق نافذة العاطفة الإنسانية لدى القارئ، ليحشره في زاوية الاختيار (أنت مع من؟) تمثّل هذه التساؤلات قلقلة قرائية، تستجلب الصحوة التأمليّة عند القارئ، وقد نجح الروائي في إرباك الوصلة القرائية لدى القارئ لصالح دعم الأثر النفسي لرسالة النصّ الروائي لديه.

"من هنا يمكنك أن تنظر، فترى الساحة قد غطّتها الجثث المصفوفة عن بكرة أبيها. أين يمكن أن ندفن هذا العدد المهول من الشهداء؟!".(٢٦) تتزاحم الأسئلة في رأس البطل متدافعة كاندفاع شلال الدم في غزّة، لا تتوقف، إنّه يبرز قلقه تجاه ما يحدث، يحاول أن يبحث عن مخرج يمنطق من خلاله الأحداث، يفتّش عن حلّ، محاولًا لملمة شتات المشهد، لكنّه يواجه استحالة حصر حدوده، فيتعذّر الفهم الممكن في ظلّ هذه الاستحالة. إنّ ما تقوم به الآلة العسكرية الصهيونية على أرض غزة شيء من الوحشية، يفوق قدرة إدراك العقل البشري، إنها تسحق كرامة الإنسان، تقصي عنه الأمان، تلاحق أنفاسه، تمنع عنه الطعام والشراب والعلاج، وتمعن في قتله حرقًا بنيران الصواريخ في الخيام وتقطيعًا بقذائف المدفعيات، وسحقًا تحت جنازير الدبابات، ورميًا برصاص القناصة وخنقًا تحت الأنقاض، ونزفًا بالجراح، وإبعادًا عن معنى الحياة بالكمد والقهر.

"كيف يرتاح ذو همّ؟! كيف يهدأ قلب خائف؟!".(٢٧) يطرح البطل معادلة إنسانية، لا ينتظر إجابة بقدر ما ينتظر شيئًا من عدالة، إنّه يثير قضية الأمان، الأمان الذي يحقّق إمكانية الحفاظ على الوجود، الأمان الذي يعدّ شرطًا من شروط استمرارية الحياة الطبيعية لأيّ إنسان. "لماذا نكتب وقد رحلوا؟!(٢٨) تصارعه التساؤلات التي تتأرجح بين الأمل المخذول واليأس اليانع، يخذله الفهم، يبحث عن سقيا جواب تروي عطش تساؤلاته وسط واقع تصحّرت إنسانيته. "بالأسئلة تتولّد الرؤى والأفكار وتُختبر ويشكّك فيها، ومن خلال التساؤل يطرح الفكر مشاكلة، ولا أسئلة من دون وجود صراع معين من الأضداد يولّد طاقة... فإنّ هناك تصارعًا عقليًا دائمًا يطوّر العالم ويحفّز الوعي بالتنافر أو بالتناقض الذي هو المحتوى الداخلي للحقيقة".(٢٩) نجح الروائي في إكساب النصّ الروائي زخمًا إنسانيًا حين اعتلى صهوة الإمدادات الفكرية بتنظيمه حركة انفعالية لغوية عبر نزعة التساؤل، محاولًا إحراج ضمير الإنسانية أمام فداحة ما يحدث، مع وجه الصمت السافر التي ارتدته الأنظمة العربية والغربية.

ثانيًا: مظاهر الانفعال اللفظي (خصوصية مكان وخصوصية حدث)

ومن مظاهر انفعال اللغة الروائية في رواية (الرعب) هو الانفعال اللفظي، ويتمثّل في تأثّر لغة الرواية بخصوصية المكان وخصوصية الحدث، فتجلّت ألفاظ المكان الخاصة بارزة في متتالية الخطّ اللغوي، ما بين لغة ألفاظ المكان التي فرضتها الحالة القائمة وبين تعبيرات أهل المكان التي شكّلت لغتهم الانفعالية كردّ فعل على ما يحدث وهي أصوات شفوية متعلّقة بالحدث وتعبيرات كتابية كانت آخر ما كتبه الضحايا على صفحاتهم والذين قضوا في الحرب.

أ-الألفاظ وخصوصية المكان

لكلّ مكان خصوصية مناخية واجتماعية وثقافية، لا يمكن للقارئ الوصول إلى خصوصية المكان الروائي إلا عبر جسر اللغة، باعتبارها الأداة السردية التي تتقولب فيها عناصر السرد كافّة، فكيف يتشكّل المكان داخل إطار اللغة؟ يتكوّن ملمح المكان الأول في ذهن الأديب، ثم يبدأ الأديب بتحديد دلالاته الجغرافية والتاريخية والثقافية، "فالحدث الروائي لا يقدّم سوى مصحوب بجميع إحداثياته الزمانية والمكانية، من دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته المكانية"،(٣٠) فيفصح عنه عبر القيم اللغوية، تلك القيم التي تمنحه نوعًا من الخصوصية، ولا يمكن للروائي أن يستحضر تلك القيم بشكل اعتباطي، ففي ذلك هدم واضح لقيمة المسرود؛ لذا عليه تحديد المكان كخطوة أولى، "وذلك يستدعي وجود

المكان كعنصر يمتلك الحيوية الكامنة لتحفيز شهوة الكتابة لدى الكاتب، ذلك الإغواء تنبثق منه الخطوة الثانية، حيث تتحرّك عناصر الأمكنة في وعي الكاتب والذي يتولّى نقل تلك الحركة عبر ما يمتلكه من أدوات تعبيرية إلى ذهن القارئ"،(٣١) ومفهوم المكان في الأدب "لا يُفهم من خلال الوصف العادي فحسب وإنما في العلاقة الجدلية التي بين الإنسان (البطل/ الأديب) والمكان، وفي العلاقة الدافئة أو الحادة التي تستشعرها الذات الأدبية في علاقتها بالمكان"،(٣٢) فلا يمكن أن ينسلخ الأشخاص عن أماكنهم؛ لأنّها الوسط المؤثّر في شخصياتهم، والمثير الأول لانفعالاتهم.

الإيقاع اللغوي النفسي للمكان

للأمكنة طاقات متمايزة، تعدّ بمثابة شحنات تؤثر على نفسية الشخوص، وقد كان للطاقة المكانية في النصّ الروائي أثر على الإيقاع اللغوي في النصّ، فالأمكنة في الرواية تستظلّ بمظلّة الحرب، الأمر الذي استدعى تبنّي النصّ إيقاعًا لفظيًا مؤثرًا، فألفاظ المكان مثل (النزوح، الخيمة، الهدم، الأنقاض) فيها دلالة انفعالية عالية لطاقة المكان، هذه الطاقة تتسلّل بدورها إلى نفس القارئ، يستشعر برودها وقسوتها، ليتحول من حالة الخدر القرائي إلى حالة تماس مع الواقع، إنّه يتجوّل بين الخرائب، والخيام، والمدارس المكتظة بالبشر والأفواه الجائعة، إنها المشاهد ذاتها التي تحاول نشرات الأخبار اختصارها، ومن هذا:

"إنّه نزوح جديد"،(٣٣) "نزحت أوّل الأمر إلى مستشفى الشفاء... سأنزح للمرة الخامسة"(٣٤)، لقد وردت كلمة (نزوح) عشرات المرّات في النصّ، هذه الكلمة التي تصبغ المكان بصبغة الشتات، تشير إلى الترحيل القسري، كما تشير إلى الحالة التي يكون عليها النازح، هو الذي غادر مكان إقامته مرغمًا، يتّجه نحو المجهول، لا مكان آمن، لا وجهة محدّدة، نزوح يتلوه نزوح، لا يستطيع النازح أن يقيم علاقة ألفة مع المكان، فلا استقرار في ظلّ مطاردة آلة الحرب الدؤوبة. نزوح كلمة يملؤها الوجع، لفظة ما إن تذكر تُستدعى الذكريات الأليمة، فتُستدعى مشاهد التشرّد والفراق تحت زخات الرصاص، وتحت شظايا القذائف، تستحضر أصوات الانفجارات ومشاهد البيوت المعدمة والشوارع الخربة.

"المعتقلات كانت جحيمًا".(٣٥) لا يمكن أن تنفصل الحالة النفسية للأشخاص عن الحالة المكانية، وقد تعرّض الفلسطيني الغزي في هذه الحرب للاعتقال والتعذيب، فكان يعتقل من بيته من وسط أطفاله وزوجه، وكان يعتقل من مكان نزوحه في المدرسة أو المستشفى أو مكان عمله الإنساني، وكان يعتقل عند مروره عبر (الممر الآمن) في طريق نزوحه نحو الجنوب، أيّ أمان هذا؟ كلمة (المعتقل) تمثّل رعبًا بالنسبة للغزّي، فهو المكان الذي لا يرى النور. المكان الذي تُعصب فيه الأعين، وتُقيّد الأيدي، وتُشبح الأجساد، وتُشوّه القيم الإنسانية، إنّه مكان مليء بالطاقة السلبية، بمجرد ذكره تنتاب النفس حالة من الخوف والرعب، إنّه يشكّل مثيرًا سلبيًا.

"ومضت بنا السيارات وسط الركام والخرائب".(٣٦)"مربع سكني من حوالي أربعين بناية سوّى بالأرض... كتل منشطرة من الباطون والحديد".(٣٧) (الركام، الخراب، كتل الباطون) إنّها ألفاظ توحي بالخراب، توحي بانقلاب طبيعة المكان، ألفاظ تؤجّج ألم الصدور، فمن ذا الذي يقبل أن يعيش في الخرائب؟ كيف يمكن للشخص أن يتقبّل فكرة تحول بيته إلى كتل من الباطون المفتّت؟ إنّها قوالب لفظية لكبير ألم وعظيم مأساة، إنّها الرصاصات التي تصيب عين الرائي للمكان، والغصّة المؤبّدة التي توغر صدر صاحب المكان، هذا ما آلت إليه بيوت أهل غزة.

"لاحت لنا خيامها المبعثرة الحزينة".(٣٨) "النساء الكبيرات في السن يجلسن أمام الخيام".(٣٩)"من قوة الانفجار طارت خيمتنا".(٤٠) لا يمكن للمرء أن يتخيل أن يستحيل بيته خيمة. (الخيام) اللفظة التي تكرّرت على طول المدّ الحكائي، لفظة تعكس حالة الغزي المعيشية والنفسية. إنّ حالة النزوح تقضي بأن يكون بيتك عبارة عن أعمدة خشبية وأقمشة وبعض (النايلون) حتى تستطيع أن تفكّها إذا اقتضت الحاجة، إن أسعفك الوقت لتركض بها، كي تركض بأسرتك وبما تبقى من

حياتك، الخيمة التي لا تقي من برد ولا من حرّ، التي تُنتهك فيها خصوصيتك، الخيمة التي تذكّرك أنّك خسرت بيتك، وخسرت أمانه، وخسرت ذكرياتك فيه، وربّما خسرت من كانوا فيه معك.

إنّ الإيقاع اللغوي الذي اعتمده الروائي هو إيقاع مستوحى من الحالة الحدثية، وحالة المكان الطارئة، هذا الإيقاع الذي يترواح ما بين ألفاظ المكان القاتمة (الخيمة، الركام، النزوح) والأثر النفسي الواقع على القاطنين فيه، كما أنّ بعض الألفاظ حملت دلالات نفسية، لتكشف عن حالة الاضطراب النفسي التي يعيشها الغزّي، وبهذا فقد تناغمت لغة المكان النفسية مع الحالة العامة للحدث، وقد برع الروائي في إثارة عاطفة القارئ عبر لغته الوصفية، إنّه ينقل القارئ إلى مكان الحدث، يجبره على معايشة الحالة، فقد تنقّل به من مشاهد القصف إلى مشاهد النزوح إلى الخيام التي تمّ قصفها، إنّه يحاول الاستحواذ على مشاعره لاستثارة تصوّراته عن الحالة الإنسانية التي يعيشها الغزي.

تأثير الاحتلال على لغة المكان

لم يكن المكان مجرد جغرافيا فحسب، إنّه كيان، قائم، منتمٍ لأهله، تهينه الأيدي العابثة التي تحاول تخريب ملامح أصالته، وتحاول أن تفسد علاقته بأهله، من خلال العبث بمنظومته الجغرافية، وفرض بصمتها الآثمة التي لا دلالة لها إلا على جريمتها على تاريخ صفحاته، بصمة الإجرام. حين ينتزع من الوطن جوهره؛ ليتحوّل من موطن للأمان إلى معتقل أو مقبرة أو حقل تعذيب، فمن الطبيعي أن تجد مصطلحات دخيلة في قاموس هذا المكان، إنّه قاموس الاحتلال، لقد بسط لغته المقيتة التي أرهقت الوطن وأرهقت أهله، لقد شوّهت بصمة الاحتلال صفحة المكان، فنثرت فيه من لغتها التي لا تشي إلا بالقهر والظلم والتعسّف، حاول الروائي أن يقرّب الصورة للقارئ، فلم تغب عن ذهنه تلك التشوّهات اللغوية التي تعدّ منجز الاحتلال في قاموس المكان ومن هذا:

(**منطقة الشمال ومنطقة الجنوب**) تقسيم القطاع إلى شمال وجنوب هو تقسيم العدو الصهيوني في حرب غزة، حتى أصبح عبارة متداولة يعرف حيثياتها أهل الأرض، فقد قسّم قطاع غزّة إلى قسمين، فما بعد الوسطى (بعد وادي غزة) حتى معبر بيت حانون منطقة الشمال، وهي المنطقة التي انطلقت منها العمليات العسكرية ضدّ أهل غزّة بداية، وقد طُلب من أهلها الإخلاء، أمّا الجنوب فهي المنطقة ما بعد وادي غزة باتجاه الحدود مع مصر، والتي كان يسميها الاحتلال المنطقة الآمنة في بداية العمليات العسكرية، ليعلن بنفسه عن كذب ادعاءاته بما أحدثه فيها من قتل وتخريب واعتقال واحتلال فيما بعد.

(**هدنة**) هو لفظ فرضته الحالة القائمة، حالة الحرب التي تعيق الحياة الإنسانية والطبيعية، فكان من المنطقي أن تُطرح الحلول لإيقاف عجلة الحرب الطاحنة، فكانت (الهدنة) لا تدلّ هذه اللفظة على سلام كما يُتخيّل لها، إنها تدلّ على حالة الحرب، فالهدنة مجرد وقف وقتي لحالة الموت المتشظية، قد تنفجر لتعود لعفرتتها الطبيعية من جديد، وبهذا فإنّ لغة الاحتلال ليست لغة ودّية، إنها لغة المكر والتقسيم والتعذيب والمراوغة.

(**الممر الآمن**) هو ممرّ حدّده الاحتلال، يمتدّ ما بين الشمال والجنوب، وكما زعم أنّه ممرّ آمن يستطيع أهل غزة (الشمال) أن ينتقلوا عبره نحو الجنوب، هذا الممرّ الآمن ليس آمنًا على الإطلاق، فقد اعتقل الجيش الصهيوني الشباب الذين مرّوا عبره وبعض النساء والفتيات، كما تمّ إطلاق الرصاص على الكثيرين عند هذا الحاجز، فهو مجرد حاجز للتصفية، وكما أطلق عليه أهل غزة (الحلّابة) بمعنى آلة الحلب. كان لابدّ للروائي أن يسلّط الضوء على تأثير الاحتلال على المكان عبر اللغة، فاستدعى الألفاظ التي شوّهت معالم المكان وأربكت أمنه وأمانه، وبثّت فيه من طاقتها السلبية الآثمة، فلا يمكن للّغة الروائية ألا تنفعل مع كلّ الذي يجري على أرض غزة. لم يتسّع المقام لحصر كلّ الألفاظ والمصطلحات الاحتلالية.

الأثر النفسي للغة الأصوات الفردية على الذاكرة الجماعية

لقد تسلّط الحدث على لغة الرواية، فمال الروائي إلى تقديم مساحة توثيقية، توثّق بعض التفاصيل الحقيقية للحدث، في حركة تعزيزيّة لرسالة النّص، فاستدعى بعض أصوات الضحايا الموثّقة إعلاميًا، أولئك الذين نالت منهم يد العدوان إمّا باغتيال أجسادهم أو بطعن قلوبهم بسكين الفقد والوجع، وقد اختار بعض الأصوات الشفوية ليوّثقها، وهي عبارات حقيقة وُلدت في حناجر أصحابها في وسط فجائعي، في لحظة ألم فادحة، تداولتها شاشات التلفزة عبر نشرات الأخبار على القنوات الفضائية كشاشة (الجزيرة) كما اختار بعض الجمل التي تركها أصحابها على مواقع التواصل الاجتماعي كآخر أثر لأصواتهم غير المسموعة قبل أن يغادروا العالم بغير رجعة، إنّه يوثّق حالة الانفعال الجماعية لأهل غزة، ليرسخ الأصوات الفردية في الذاكرة الجماعية؛ لتبقى شاهدة على عذابات أهل غزة، وعلى خذلان العالم لهم، فهذه الأصوات تركت أثرًا نفسيًا على الذاكرة الجماعية، على صعيد ذاكرة المجتمع المحلي (أهل غزة) وعلى صعيد المجتمع الدولي، سيظلّ صداها محفورًا في ذاكرة الفلسطيني، صاحب الحقّ وصاحب الأرض، ستظلّ الوقود الذي يشعل ذاكرته على الدوام، فلا يرضخ لتهاون في حقوقه الإنسانية، هذه الأصوات دليل إدانة العالم، وتواطؤ الأنظمة.

أصوات الضحايا ما بين الألم والتحدي

منذ بدء الحرب الهمجية على غزة وأصوات أهل غزّة لم تتوقف، فلا العالم سمع ولا الصوت توقف، لكنّه صراع الوجود، فكان على الصوت أن يستمر، كلّما أخمدوا صوتًا علا آخر وحمل راية التعبير.

الألم والمعاناة

من الأصوات التي مثّلت حقيقة ما يحدث على أرض غزة صوت الشهيدة (هبة أبو ندى) الذي تمثّل في عبارة مكتوبة على صفحتها الفيسبوكية قبل استشهادها بأيام: "في الجنّة توجد غزّة جديدة بلا حصار، تتشكّل الآن"،(٤١) هذه العبارة كتبتها الشهيدة الشابة الكاتبة (هبة أبو ندى) صاحبة رواية (الأكسجين ليس للموتى) وهي صديقة عزيزة، شابة مليئة بالطموح والأحلام، نزحت في بدايات الحرب من الشمال إلى الجنوب، لتُستشهد في الجنوب. في تلك الجملة التي كتبتها هبة دلالات مظلومية غزة، فقد أذاقها الاحتلال مرارة الحصار، فانقطع تواصلها بالعالم الخارجي، توالت على أهلها نكبات الحروب المتكرّرة، لتُسحق غزة بعد السابع من أكتوبر أمام مرأى العالم. الشهداء يغادرون نحو الجنة جماعات، أطفال ونساء وشباب وشيوخ، كانت هبة على يقين أنّ حال أهل غزة في السماء سيكون أفضل، فلا حصار، ولا قتل، ولا دمار. في مقولتها يحتدم الرجاء. لقد أُخمد صوت هبة، وسكت قلمها إلى الأبد.

"بدّي شعره منه"(٤٢) هي عبارة قالها صبي، وهو يركض خلف من حملوا جثة أخيه في سيارة، كان يصرخ بهذه الجملة ويلهث، وهو يرجوهم أن يعطوه شعرة من رأسه ليحتفظ بها، شعرة واحدة فقط. كيف تحوّلت أحلام هذا الطفل من امتلاك الألعاب إلى امتلاك شعرة من رأس أخيه، تكون شاهدة على وفاء الحبّ واحتراق السنابل.

"هذه أمي أعرفها من شعرها ما أقدر أعيش من دونها... ورجوني إياها"،(٤٣) هذه العبارة صرخة إنسانية لطفلة لم تتجاوز العاشرة، وثّقتها نشرات الأخبار، طفلة نجت من القصف، كانت تجلس في ساح المشفى حينما لمحت شعر والدتها يتدلّى من أسفل الغطاء الذي تُغطّي به جثة على نقّالة، يحملها بعضهم، وقد حاول من بالمشفى أن يثنيها عن ركضها تجاه النقالة، ويطمئنها بأنّ الجثة ليست لأمّها كما تظن، لكنّها كانت تصرخ فيهم، وهي تردّد: (هذه أمي أعرفها من شعرها). كانت تحفظ تفاصيل جنّتها، لا يمكن أن تغفل عن جديلة شعرها، فنحن نستطيع أن نميّز رائحة أمهاتنا، فكيف بتفاصيلهن؟! (ورجوني

إياها)، رجاء طفلة كوى فؤداها جمر الرحيل، هي لا تفقه شيئًا في السياسة، ليس لها يد في صراعات الوجود، لم تحرم أحدهم الحياة لكنّ الاحتلال حرمها الحياة وحرمها المعين.

"أولادي تلاتة يا عالم... دوروا بلكي لقيتو واحد عايش... واحد عالأقل".(٤٤) صرخة أب تدوّي في فضاء ممسوخ الملامح بغبار البارود ورائحة الدخان، يقف على أطلال بيته الذي قصفته الطائرات الحربية (الإسرائيلية) فأحالته إلى فتات، صرخة قلب شقّته سكين الفقد، تداولتها شاشات التلفزة على الهواء مباشرة، إنّه يفقد أبناءه دفعة واحدة، يتعلّق بالرجاء: (دوروا بلكي لقيتو واحد عايش... واحد عالأقل) إنّه صوت أب مذبوح الأمان. ماذا جنت البيوت، وماذا جنى ساكنوها؟ لماذا يتذكّر العالم السابع من أكتوبر ولا يرى شيئًا من أهوال ما بعد السابع من أكتوبر؟! كيف تُضطهد الإنسانية بهذا الشكل الفاضح، ولا يتحرك العالم؟ لماذا ينكر العالم على أهل غزة بشريتهم؟! أمّا عن صوته المستغيث ب (يا عالم) فهذا كلّ ما استطاعته اللغة مع قلبه المفجوع، أن تمدّه بهذا النداء المشبع باللوم والعتاب. لقد انفعل قلبه، فانفعلت لغته، ولم ينفعل الضمير العالمي حتى لحظة إعداد هذا البحث.

"رايح أدفن أبويا بسيارتي"(٤٥) إجابة شاب غزيّ عن سؤال وجهّه له صحفي، وقد مدّد جثة والده في المقاعد الخلفية لسيارته، وقد حدث هذا المشهد في بداية الحرب، فبعد ذلك لم يعد الغزيون يملكون رفاهية دفن موتاهم، ولم تعد جثث الشهداء تحظى برفاهية الارتحال جثة كاملة دون أن تتفتّت أو تضيع معالمها، قبل أن تظلّ الجثث مفقودة تحت الأنقاض لشهور طويلة حتى تتحلّل، وقبل أن تصبح الجثث غذاء لكلاب الشوارع الضالة؛ لأنّها لا تجد من يهبّ لكرامتها، فمحاولة الاقتراب تعني مجاورتها في المكان وفي النهاية. كيف استطاعت اللغة أن تختصر انفعالات الوجه بداخل قلب هذا الشاب في جملة كهذه؟! لا يستطيع أهل غزة الحصول على وقت كافٍ يفترشون فيه أحزانهم، إنّ آلة الموت تلاحقهم في كلّ لحظة، إنّهم يقضون أوقاتهم في محاولة البحث عن فرصة حياة.

أصوات التحدّي والأمل واليقين

لقد ضمّن الروائي نصّه بعض العبارات التي دوّنها بعض ضحايا الحرب على صفحاتهم على (فيسبوك)، وتناقلها الغزيون فيما بعد على صفحاتهم، لتكون شاهدة على انفعالهم الداخلي، فكيف عبّروا عن هذا الانفعال؟! لم تكن لغة الألم والحزن هي الوحيدة في أصوات الغزيين، هي جزء من الانفعال اللغوي الذي يعكس حالتهم الداخلية، ولا يقتصر ردّ الفعل الانفعالي على الحزن والألم بل إنّ الحزن والألم يشكلان بداية لحالة جديدة من الوعي، ومن بين أصوات الضحايا المكتوبة:

"غدًا ستشرق شمسٌ جديدة"(٤٦) لم تفنِ سحب الظلام أمل أهل غزة في غد أجمل، إنّهم يداومون على الأمل، يتعاطونه كوقود لأيامهم الكئيبة، حتى لا يتمكّن منهم اليأس. فإشراق الشمس دلالة على اندحار الليل، فهي سنة الله في الكون، فلا أبدية للأحوال، فكرة الأبدية غير ممكنة، وهذا الأمر ينطوي على راحة نفسية، فتغيّر الأحوال وتبدّلها هو السّمة الأصيلة في الكون، ولا بدّ لليل الظلم أن ينجلي، ولا بدّ لشوكة الجبروت أن تنكسر.

"إذا انقطعنا عنكم فسنلتقي في القدس أو في الجنة".(٤٧) هذا الصوت مشحون باليقين، اليقين الذي يحدّد الهدف بدقة، ويثبّتك على الطريق، فالفلسطيني يعرف طريقه، فيه من لغة التحدّي ما فيه، فلا متاهة طالما رُسم الطريق.

"وإذا لم يكن من الموت بدّ... فمن العار أن تموت جبانًا".(٤٨) إنّه صوت الثورة، صوت المقاومة، إنّها دعوة للإقدام، فمن العار أن يجبن المرء عند مطالبته بحقوقه، فالموت يحصد الأرواح، فإن كان الموت واقع لا محالة فليكن موتًا شريفًا.

"لن نرحل. وسنخرج من غزة إلى السماء وإلى السماء فقط".(٤٩) صوت مفعم بلهجة التحدّي، لماذا يطالب الغزي بالرحيل من غزة؟! أليست أرضه؟! موطن مولده؟ الترحيل القسري جريمة، لكن من يكترث لغزة وأهلها؟! هذا الصوت الأخير الذي تركته الضحية قبل أن ترحل إلى السماء. هذه اللغة التي كانت تُتداول على ألسنة الشهداء.

"ألف سلامة للعالم الخارجي، إحنا بخير، إن شاء الله تكونوا بخير؟"(٥٠) جملة تردّدت عبر منشورات الغزيين على صفحات فيسبوك، يلمّحون فيها إلى موت الضمير العالمي، كتبها أحدهم على صفحته قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر، لتشهد هذه العبارة على صوته الأخير الذي وجّهه للعالم. سلامة أهل غزة تتمثّل في صبرهم، وصمودهم، والخير الذي هم عليه هو خير اليقين الذي يتغشّاهم وسط محيط الشرّ الذي أحال حياتهم إلى جحيم.

لقد تمكّن الروائي أن يحدث أثرًا كبيرًا في نفس القارئ، فهذه الأصوات الحقيقية المستخدمة في النصّ الروائي بمثابة الومضة السينمائية العارضة لمن تابع أخبار غزة، هذه الأصوات تعيد للقارئ المشاهد الحقيقية التي شاهدها على مواقع التواصل في مقاطع فيديو وعلى شاشة التلفزة، وكأنّ الروائي يذكّر القارئ بحقيقية الأحداث، فهي لم تكن محاكاة للواقع فقط، لقد تشرّب النصّ شيئًا من أنفاس الواقع بهيئته دون أي لمسة فنية، الواقع الذي تنفّس دخانه الجميع وإن كان الحريق من نصيب أهل غزة.

ثالثًا: الحقول الدلالية الخدماتية

من مظاهر الانفعال اللغوي الروائي في رواية الرعب كثافة الألفاظ ذات الحقل الخدماتي الواحد، فالنصّ الروائي ليس "شكلًا فارغًا أو مجرّد تشكيلات لا دلالة لها، بل هو أيضًا مجموعة من المضامين المتشابكة، يأخذ كلّ جزء معناه من الأجزاء الأخرى"،(٥١) وقد شهدت الرواية كثافة لفظية في كلّ من حقلي الحرب والألم باعتبار ما بينهم من ارتباط، بالإضافة إلى حقل الألوان، والحقل الديني. الحقل اللغوي هو "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عام"،(٥٢) وقد أحدثت هذه الحقول الدلالية حركة لغوية تناغمية بين الحالة والمعنى.

أ– الحرب وانعكاساتها اللفظية

حين نتكلم عن الحرب، فمن الطبيعي أن تستحضر أذهاننا وصوفها وآلاتها وأفعالها، أثرّ العدوان (الإسرائلي) على غزة على ففرض على المكان لغة الدمار، وقد استغرق الروائي جلّ ألفاظ حقلها عبر تدفّقه الكتابي، كيف لا وقد انتهكت كلّ القوانين والأعراف الدولية، وحصدت الأرواح بوحشيتها وبجموح حقدها، فلا تكاد تخلو صفحة من الرواية من ذكر أدواتها وأفعالها؛ لتشير إلى الحالة التسلّطية لمعاني الخوف والرعب والقهر، ومن هذا ما جاء من ألفاظ آلاتها: (كواد كابتر، دبابة الميركافا، الجنازير، الصواريخ، القصف، القذيفة، الطائرات، الرصاص، القناصة، الجيش، القوات الخاصة، فوّهات البنادق الآلية، الجيش الإسرائيلي) هذه بعض النماذج التي ذكرها الروائي، لم تكن حصرًا لكلّ الألفاظ المتدفّقة من حقل الحرب. ذكر الأدوات والآلات الحربية يستدعي ذكر أفعالها، فانفعال اللغة _هنا_ يكون برصد أفعال هذه الحرب: (انقصف، انفجرت، زحف، يطلقون النار، قنصوا، هجمت، استشهدوا) وهذه الأفعال تردّدت على مدار المسار السردي، فالقصف للطائرات، والانفجار للقذائف، وإطلاق النار للمسيرة والأسلحة الرشاشة، و القنص للقناصة، والهجوم للطائرات والأسلحة الثقيلة. والاستشهاد لأهل غزة. كلّ هذه الأفعال تتعلّق بحالة الحرب في غزة، لقد ألقت بحمولتها اللفظية في حجر النصّ، فأكسبته أصواتًا مختلفة مثل أصوات الآلات المجنونة التي لا ترحم، وأصوات البشر المسحوقين الذين يئنّون تحت وطأة العذابات والقهر.

أمّا عن مخلّفات هذه الحرب فقد برزت كمتتالية لفظية عنيفة، شقّت أمان النصّ: (قبضة الموت، جوعنا، جرح، عطش، الشلل، الشاش الممزق، مقبرة، جثث، الدماء، الرعب، حصار، الوداع، أشلاء)، لا يمكن أن تكون حرب دون أن يحضر

الموت بصحبة مشاهد الوداعات الأليمة، فلا يمكن لنزيف الجراحات المفتوحة أن يتوقّف، الخوف سيّد الدقائق والساعات، يعشّش في الصدور ككائن متطفّل يرفض الرحيل عنها، الحصار يطبق قبضته، فلا طعام ولا شراب ولا دواء، إنّها كارثة إنسانية بكلّ المعايير.

ب- حقل الألم وانفعالية اللفظ

يعدّ الألم من أقوى الانفعالات التي تنعكس على مكوّنات الشخصية، وبما أنّ وهج الحرب يضرب في فضاء الرواية السردي، كان لا بدّ لها من مخلّفات انفعالية تعكس حالة الرفض والاستنكار، وقد تمثّلت هذه المخلّفات برصيد كبير من ألفاظ الألم والوجع التي عبّرت عن الحالة التي يعيشها أهل غزّة بكلّ ما فيها من المعاناة، هذه الحالة الانفعالية اللفظية تعكس الواقع في غزة، رصدت الباحثة بعض الأفعال والعبارات، منها: (يتعذّب، يئن، نهرب، ارتعاش، يصرخ، يحترق، ترتعش، يمزّق، ترتطم، يهوي، تخلع، وجع، خوف، صوته المتهدج، أنفاسه اللاهثة، التشوهات، القلوب المرتجفة). بعض الألم يتعلّق بالجسد وبعضها يتعلّق بالقلب، فالحرب لا ترحم، إنّها تأتي على خضرة الروح ونضارة الجسد. (يتعذّب، يئن، يحترق، يمزّق، ترتطم، يهوي)، هذه الأفعال تقوم على الجسد لكنها تنحت الألم في النفس لتنتج خواصًا جديدة ك (الارتعاش، الخوف، القلوب المرتجفة، الأنفاس اللاهثة، الصوت المتهدج) لقد باتت الآلام سمة من سمات وجوه أهل غزة، إنّه الظلم الذي يورث الإنسان القهر الذي يفتك بملامحه؛ ليحوّله إلى بقايا إنسان عند النيل منه.

لقد تصدّرت بعض الصّور سطور النّص لتنطق باسم الوجع مثل: "بطونًا منتفخة، وعيونًا مرعوبة"(٥٣) "الأرجل المبتورة، والسيقان المكسّرة، والرؤوس المقطوعة، وتعبت من رائحة المحاليل واللحوم المشرشرة"،(٥٤) هذه الأمثلة لم تكن خيالًا، هي صور قائمة بالفعل على أرض غزّة. لقد جرّب أهل غزّة جلّ أنواع التعذيب. ترك الروائي للقارئ إرثًا قرائيًا محموم الوجع، يعصف بالمشاعر الإنسانية، ليستنطق ثورتها.

ت–حقل الدائرة اللونية

يحاول الروائي أن يذكي من حيوية مشاهده الرواية بمنحها طاقة بصرية عالية القيمة عبر القيم اللونية التي يطرحها في لغته، فأيّ "محلّل يعتبر الكلمات والعبارات التي تظهر في المدوّنة النصّية لخطاب ما دليلًا على محاولة المنتج توصيل رسالة إلى المتلقي". (٥٥) لم يأت توظيف الألوان في النصّ اعتباطيًا عند العتوم، بل كان استخدامًا ذكيًا منه، بوصفها رمزًا من رموز الانفعالات العميقة التي تعبّر عن الواقع المأساوي الحاصل، واستخدامه للألوان لم يكن استخدامًا وصفيًا فحسب، بل كان استخدامًا رمزيًا لحالة الاضطهاد والقمع التي يعيشها الفلسطيني في غزة. وقد تكرّرت الألفاظ اللونية بشكل كبير وملحوظ إمّا بلفظها الصريح أو بدلالتها، وقد كانت الدائرة اللونية تدور في فلك واحد تقريبًا، لم يفلت من مدارها الأساس سوى لونين (الأصفر والأخضر) في موضعين، أما بقية الألفاظ اللونية تراوحت ما بين (الأبيض، الأسود، الرمادي، الأحمر، الكحلي، الأزرق) والتي تشير في دلالتها إلى الحالة الانفعالية العامة، هذه الألفاظ اللونية شكّلت جزءًا من الحالة الانفعالية للغة الرواية، كثيرًا ما كانت تتجاور الألوان لتمنح المشهد زخمًا انفعاليًا، ومن هذا الزخم كان اللون الأبيض:

"الخطوط التي تتلوّى لتشكّل حصانًا أبيض رائعًا".(٥٦) " تشكّل النفاث الأبيض في السماء... تشكّل أعراف هذه الخيل، ما أجمل الأعراف البيضاء".(٥٧) "نشدّ على الجراح بالشاش الأبيض".(٥٨) "لماذا لون الكفن أبيض... أيّها البياض ارفق بنا، نحن نحبّك لأنّك تذكّرنا بالحياة. فلماذا تصرّ على أن تسوقنا للموت؟".(٥٩) "ولو كانت أرواح الشهداء تُرى لكانت حمامات بيضاء".(٦٠) "الصفّ الموشّح بالبياض لأربعة عشر قمرًا غُطّيت أجسادهم بأكملها".(٦١)

استعان الروائي باللون الأبيض في مواطن كثيرة، لم تحصها الباحثة، لكنّها حاولت الوقوف على عينة منها. لقد أُستخدم اللون الأبيض للدلالة على الجمال كما في أعراف الخيل، ثمّ استخدم للدلالة على الصفاء والنقاء كما في الشاش الأبيض، ولون الأكفان وأرواح الشهداء، إنّه اللون قبل أن يصطبغ بأيّ صبغة، اللون الذي يستطيع أن يحتوي بقية الألوان ويمنحها حقيقتها دون أيّ تزوير، فهو يعدّ القالب الذي يمكنه تحمّل تطفّل أيّ لون ببساطة دون أي مقاومة عنيدة، وفي هذا سمة لنصاعته، وسمة لنقائه واتساعه واحتوائه، إنّه يمثّل الخير والطهر. لم يغب هذا اللون عن تأدية مهمّته، فقد حضر في أكثر المشاهد انفعالية (الجراح، الموت) وبذا، فقد حضرت دلالته الانفعالية في مشاهد الأكفان والوداعات.

أمّا **اللون الأحمر**، فكادت صفحات الرواية أن ترشحه أمام القارئ، إنّه يغطي معظم المشاهد بصخبه، إمّا بوهجه الصريح، أو بدلالاته اللفظية ك (الدم، قاني، قاتم) ومن هذا: "نظرت إلينا بعينين احمرّتا".(٦٢) "حتى الماء صار قانيًا، اللقمة التي نأكلها مغموسة بالدم، كلمّا هممت بشرب الماء احمرّ، وكلّما هممت برفع لقمة الخبز سال.. منها الدم".(٦٣) استخدم الروائي اللون الأحمر في إشارة منه إلى أثر البكاء على العين، هذه الحالة الانفعالية للعين يسبقها حالة انفعالية داخلية ثمّ حالة تعبيرية لغوية سواء بالبكاء الصامت أو بالنحيب أو الكلام. في النموذج الثاني استفحلت القيمة اللونية حتى صبغت النصّ بصبغتها، فالماء يصبح قانيًا وفي هذا دلالة تحوّل من حالة الصفاء إلى حالة الكدر، واللقمة مغمّسة بالدم دلالة القهر، وقد تحقّقت الصورة على سبيل الحقيقة لا المجاز، فقد تمّ قصف الغزيين، وهم يقفون في طوابير الخبز والطحين، ومن ضمنهم أبناء عائلتي. (الماء احمر) دلالة على أنّ الحياة تحوّلت إلى جحيم، فالموت ينتشر في كلّ مكان، رائحته تفوح من الأزقة والشوارع والمخيّمات، الدماء طالت ماء الحياة ولقمة العيش، خبز أهل غزّة معجون بالعذابات، يدفع الغزّي عمره مقابل بضعة أرغفة، "صار لون الدم لون كلّ شيء".(٦٤)

أمّا عن **اللون الأسود**، فقد احتلّ مكانته في النصّ الروائي بناء على ظلامية الحدث، وقد حضر بلفظه الصريح أو بقالبه الدلالي، وكثيرًا ما اقترن باللون الأحمر، باعتبار العلاقة الحميمة بينهما، فالأفق يصبغ بالسواد حين تغوص ركب البشر في الدماء، حين يتفحّم الضمير الإنساني بالصمت، حين يصبح السواد ملمحًا حياتيًا وملمحًا نفسيًا عند أهل غزّة. "كان الدم الأحمر يختلط بسواد الشعر".(٦٥) "فجأة ضوء أحمر كبير كأنه بركان، ثمّ اسودّ كلّ شيء".(٦٦) "طار غراب أسود أبقع".(٦٧) "برك صغيرة تتجمع فيها السوائل السوداء".(٦٨) "جثث ذويهم متفحمة".(٦٩) لم يقصد الروائي بهذا اللون لغة تشاؤمية، بل قصد إبراز حقيقة المشهد وظلاميتة بما يحويه من القهر والعذاب. إنّ اختلاط الدم الأحمر بسواد الشعر يزيد من قتامة المشهد، إنّه قوام الحالة التي تسود. لقد تكرّر اقتران اللون الأحمر بالأسود، إنّها متلازمة الرعب. الضوء الأحمر الكبير الناتج عن الانفجارات يعقبه حالة من السواد، سواد الواقع الذي يسمح بتفحّم البشر على الهواء مباشرة دون أن يكترث أحد، إنّ قتامة الألوان تفصح عن قتامة المشهد.

أمّا عن **اللون الرمادي** فقد حجز لنفسه مقاعد متعدّدة في أفنية النصّ، فقد استخدمه الروائي للدلالة على ضبابية المشهد، وانزواء الحقائق خلف سرديات الزيف، وخلف سحب الادعاءات: " كانت نحيلة وشعرها منكوشًا امتلأ بالغبار والرماد".(٧٠) "دشداشته البيضاء صارت من الرماد رمادية".(٧١) قد عبّر الروائي عن حالة التحوّل، فلا يمكن للغبار والرماد أن يدلّلا على الصفاء، إنّها حالة انهيار القيم الأخلاقية، رماد يتولّد من الانفجارات ومن البارود، كيف له أن يسهم في اجتلاب الأمان؟ كيف يمكنه أن يعبّر عن صورة حقيقية ومنتمية دون حياد؟ كيف له أن يتبرّأ من تهمته الشهيرة تعكيره كلّ أبيض وإغراقه في الضبابية؟ إنّه اللون الذي تتخفّى خلفه مدلولات الحقائق، إنّه لون التمويه والمراوغة.

الصورة تتّضح بالأضداد، ولا يمكن أن تدوم هيمنة الحالة الواحدة، كان لا بدّ من أمل يقف قبالة كلّ هذا الألم المحشود في باطن النصّ وظاهره، ثمّة لجوء نفسي يحتاجه المرء كي يستطيع أن يداوم على حالة التنفّس، لقد استخدم الروائي

اللون الأزرق لما فيه من دلالة هدوء، كما استخدم قوالبه اللفظية مثل: (السماء) بشكل ملحوظ: "أكثر لون كانت تلبسه الأبيض والأزرق".(۷۲) جاء وصف الأزرق في هذا النصّ للحديث عن الألوان التي تفضلها (سلام) في الملبس، ففي الأزرق شيء من الأنوثة الناعمة والهدوء الطاغي والتجدّد. "كان يحمل جوالًا أزرق فيه هدايا كثيرة للأولاد لا أدري من أين جاء بها... إذا سألته من أين سقطت في يدك يقول: من السماء، وكان الأولاد ينظرون إلى السماء حقًا".(۷۳)

أغرق الروائي نصّه أملًا وفسحة، ورجاء، ووصولًا، بدءًا بذكره الجوال الأزرق الذي يحمل الهدايا، ولربّما تأثّر الروائي بمشاهد الأخبار عن غزة واستخدامهم اللون الأزرق في الجوالات والأكياس البلاستيكية، لكنّه وهب الأزرق الأمل والرجاء عبر قالبه الدلالي (السماء) وقد كرّره في النصّ في سياق داعم للفكرة، الجوال يحمل الهدايا، فهو يحمل الفرح، الهدايا أتت من السماء حسب الإجابة أي: كانت رزقًا، وكان الأولاد ينظرون إلى السماء، يطلبون الرجاء، ينشدون الفرح، ينشدون السعادة، فالسماء هي محطّة الوصول، فمن غير الله يعينهم على الأمل؟

لقد حضر **اللون الأخضر** على استحياء بدلالته المكثّفة في موطن واحد: "تحتضن ابنها الشهيد... دموعها تسيل على وجنتيه فتشعر أنهما اخضرتا".(٧٤) تخضر وجنتا الشهيد حين ترتويان من دمع أمه: والاخضرار هنا إشارة إلى الحياة، تلك الحياة التي تدبّ في الصحراء بمرور الماء فيها، فتحيلها إلى جنّة، والخضرة دلالة الحياة، فاللون الأخضر لون يعيد التوازن النفسي.

أمّا **اللون الأصفر** فقد كان له حضور باهت ووحيد: "شاحنات الماء تعبر المخيم... يحملون الجرادل الصفراء".(٧٥) استحضره الروائي في مشهد تدافع الأطفال حول شاحنة الماء، وهم يحملون الجرادل الصفراء للحصول على الماء، فكانوا يحاولون وضع الجرادل في أماكن تتسرّب منها بعض قطرات الماء؛ ليحصلوا على شربة ماء مخافة أن ينفد الماء، ولم يأتهم الدور بعد، المشهد برمّته باهت الإنسانية، إنّه اصفرار لحقول الحياة.

الملاحظ أنّ الدائرة اللونية اجتاحت النصّ بغزارة، وقد استخدمها الروائي بحنكة واحتراف، محاولًا الاستفادة من مدلولاتها النفسية؛ لتدعيم لغته الانفعالية في الرواية.

ث-الحقل الديني

إنّ أيديولوجية المكان تقضي بوجود حسابات عقدية لدى أهل المكان، حسابات تعيد إليهم توازنهم النفسي، وتحميهم من فرط جنون السياسة، وتمنحهم الأمل في الاستمرارية، كان لا بدّ من وجود لغة تفسيرية، تفسّر صبر أهل غزة، تفسّر قدرتهم على تحمّل ما لا يتحمّله بشر، فحضر المعجم الديني ليعبّر عن الحالة الإيمانية لأهل غزة، فوحده إيمان أهل البلاد يقف حاجزًا بينهم وبين شتات العقول، وحده يمنحهم القدرة على المواصلة، إنّه الأمل في الخلاص، إنّه الأمان الحقيقي: "أصبر على الانتظار... لنا الله"،(٧٦) "من يدري ما يصنع الله بنا"،(٧٧) إنّه التسليم لأقدار الله، فما حيلة الغزي أمام آلة الحرب غير المقاومة والصبر على ما لم يحط به خبرا.

"أفي الله شك"،(٧٨) هذا سياق اليقين، اليقين الذي يتعالى به الفلسطيني على جراحاته، قوته اليومي الذي يساير به الحياة ومعمعتها، "لا تقنط من رحمة الله"،(٧٩) هو أمر الله للمسلمين المؤمنين بعدم القنوط، القنوط يعني التسليم لليأس، الانسحاب من الحياة وموت على ذمة الحياة.

لقد تحمّل النصّ بسلسلة من معالم الإسلام العظيم، فذكر :(يوم القيامة، شهر رمضان، العيد، نداء الفجر، الملائكة، ليلة القدر، الصلاة) كان لابدّ للروائي أن يتقرّب من المكان بكافة السبل، كان لا بدّ أن يفتح للقارئ أفق البعد العقدي الذي يتكئ عليه الشعب الأسطوري كما يراه الجميع، والحقيقة أنّ أهل غزّة أناس عاديون بسطاء، بشر ككلّ البشر.

لديهم قلوب تتوجّع، ولديهم طاقات محدّدة قد تنفد، يشعرون كما يشعر البشر، يعانون عند المعاناة ويفرحون عند الفرح، ما يمدّهم بطاقة التحمّل التي يراها العالم هو إيمانهم بالله قبل كلّ شيء، والإيمان بالله يقتضي الرضا، إضافة إلى إيمانهم العميق بعدالة قضيتهم، وبحقّهم الطبيعي المشروع في العيش.

النتائج

- شكّلت اللغة عند (العتوم) في روايته الرعب أنموذجًا للّغة الانفعالية التي استطاعت تحليل المشهد السياسي، والوقوف على اضطراباته من خلال محاكاة المشاهد الحقيقية، وتحليل لغة المكان ورصد انفعالات الشخصيات.
- تميزت اللغة الوصفية بقدرتها على منح المشاهد دفقة عالية من الدينامية، فكان الوصف بمثابة الأداة البصرية التي تمكّن القارئ من معايشة الحدث والالتحام معه.
- تميّز الوصف بتعدديّة الغايات، فقد استطاع أن ينقل اضطرابات الحالة المكانية كما استطاع أن يربط هذه الحالة بالحالة الانفّعالية للشخصيات.
- جنح الروائي لتكثيف نزعة التساؤل في لغته الروائية في إشارة منه لما كانت عليه الشخصيات من الحيرة والقلق، إضافة إلى تدعيم سرديته الرسالية التي تبحث حقيقة الصراع الوجودي، وتناقش حالة التشظي التي يعيشها الفلسطيني في ظلّ غياب الضمير العالمي.
- حاول الروائي أن يخلق مساحة تفاعلية بين النصّ والقارئ عبر التساؤلات ليجعل منه شريكًا في البحث عن الإجابات المقنعة، ليقحمه فيما بعد في تحديد موقفه من إجابة هذه التساؤلات.
- تأثّرت لغة الروائي بالمكان بشكل كبير، فلم تخل صفحة من صفحات الرواية من ذكر الأمكنة، فجاءت اللغة مشحونة بالانفعالات المكانية التي عكست حالة الرعب السياسي والنفسي.
- التوتر اللغوي الذي تميزت به الرواية كان نتيجة الأحداث السياسية القائمة في غزة، الأمر الذي يدلّل على الحالة الانفعالية التي عاشها الروائي أثناء كتابته النصّ.
- رصد الروائي الخصوصية اللفظية للحدث من خلال رصد بعض الأصوات الشفوية والمكتوبة لضحايا الحرب كجزء توثيقي للحقائق، ومحاولة منه لشحن القارئ عاطفيًا.
- استخدم العتوم الحقول الدلالية الخدماتية بكثافة عالية، على رأسها حقلي الحرب والألم، وقد كان النصّ غنيًا بدلالات الخوف والرعب والقهر والظلم.

الخاتمة

- في ختام هذا البحث يتبيّن أن اللغة الروائية في رواية (الرعب) لأيمن العتوم قد شكّلت أنموذجًا لانفعالية اللغة الروائية باعتبارها رواية سياسية، استطاعت أن ترصد حركّة التوتّر القائمة على أرض غزة منذ السابع من أكتوبر عبر لغة دينامية فاعلة، تقيس ذبذبات الانفعال الواقعي برصدها أثر الاضطرابات السياسية على المكان وعلى أهله في قالب سردي متميز، حيث أثبتت قدرتها على المزج بين الحالة السياسية والمجتمعية باستكشافها حالة الصراع النفسي، كما أثبتت قدرتها على تفكيك المشهد السياسي المعقّد وتحليله إلى عوامله الإنسانية الحقوقية والسياسية، فقد استطاعت أن تحمل على عاتقها رسالة توعوية، فهي أداة التعبير التي يمكن من خلالها فك شيفرة العلاقة بين سلطة السياسة وآمال المجتمع

وتطلّعاته، ومحاولة فهم جدلية الصراع الوجودي. هذه الدراسة تثبت أنّ الرواية كفنٍ تستجيب بمرونة لمتطلبات تحوّلات الحالة الاجتماعية والسياسية.

الهوامش

(١) بو عزة، محمد، الدليل إلى تحليل النص السردي، تقنيات ومناهج، (ط١، (الجزائر: منشورات الاختلاف،٢٠١٠)، ص٢٠.

(٢) روائي أردني، مواليد مدينة جرش ١٩٧٢، له العديد من الروايات، منها يا صاحبي السجن ويسمعون حسيسها وغيرها من الروايات، بالإضافة إلى عدد من الدواوين الشعرية منها نبوءات الجائعين وخذني إلى المسجد الأقصى، يحمل شهادة الهندسة المدنية وشهادة الدكتوراه في اللغة العربية. (انظر: هندسة الكلمات، مهندسون شعراء، ص١١.

(٣) انظر: مجمع اللغة العربية في القاهرة، الوسيط، (ط٥)، (مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١١)، ص٧٢٠.

(٤) طه، فرج عبد القادر وآخرون، علم النفس والتحليل النفسي، (ط١)، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت) ص٧٣.

(٥) انظر: إبراهيم، عبد الستار، أسس علم النفس، (د.ط)، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٨)، ص٤١٠.

(٦) سارتر، جان بول، نظرية الانفعال، ترجمة، هاشم الحسيني، (د.ط،)، (بيروت لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت)، ص ٢٥.

(٧) المرجع السابق، ص١٨.

(٨) ديسكون، توماس، علاقة الانفعالات بالأدب، موقع إلكتروني https://aawsat.com

(٩) الحاج، لويس، دائرة المعارف السيكولوجية، المجلد الثاني، (د.ط)، (بيروت: دار صادر: بيروت، د.ت)، ص٧٣.

(١٠) الخبو، محمد، معجم السرديات، (ط١)، (تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠)، ص٤٧٢.

(١١) برنس، جيرالد، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، مراجعة محمد البربري (ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣)، ص٥٨.

(١٢) قاسم، سيزا أحمد، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، (د,ط)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٨) ص١١١.

(١٣) المرجع السابق، ص١١١.

(١٤) العتوم، أيمن، الرعب، (ط١)، (إسطنبول: دار الغوثاني، ٢٠٢٤) ص١٢٤.

(١٥) المصدر السابق، ص.١٢٠.

(١٦) السابق نفسه، ص١٢٠.

(١٧) السابق نفسه، ص١١٤

(١٨) نفسه، ص١١٤

(١٩) فضل، صلاح، أساليب السرد في الرواية العربية، (ط١)، (سوريا: دار الدى للثقافة والنشر: ٢٠٠٣)، ص١٢٩.

(٢٠) هناوي، نادية، الشك عبر السؤال في الرواية الحديثة موقع إلكتروني https://aawsat>com

(٢١) المرجع السابق.

(٢٢) السابق نفسه.

(٢٣) العتوم، أيمن، الرعب، (ط١)، (إسطنبول: دار الغوثاني، ٢٠٢٤) ص ١٠٢.

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٢٥) السابق نفسه، ص ١٢١.

(٢٦) نفسه، ص ١٠١.

(٢٧) نفسه، ص ١٢٣.

(٢٨) نفسه، ص ١٢٤.

(٢٩) هناوي، نادية، الشك عبر السؤال في الرواية الحديثة موقع إلكتروني https://aawsat>com

(٣٠) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (ط١، (بيروت: المركز العربي الثقافي، ١٩٩٠) ، ص٢٩.

(٣١) حميدة، بسام، من يؤثر على الآخر.. الكاتب أم المكان؟ (موقع إلكتروني) https://www.omandaily.oZ/

(٣٢) جمعة، مصطفى عطية مصطلح المكان.. المفهوم والسيموطيقا موقع إلكتروني https://www.alrimedia.com
(٣٣) العتوم، أيمن، الرعب، ط١، (إسطنبول: دار الغوثاني، ٢٠٢٤)، ص٣٨١.
(٣٤) انظر: المصدر السابق، ص٣٥٩.
(٣٥) نفسه، ص٢٩٠.
(٣٦) نفسه، ص١١٣.
(٣٧) نفسه، ص١١٣.
(٣٨) نفسه، ص٣٨٣.
(٣٩) نفسه، ص٣٥٦.
(٤٠) نفسه، ص٣٥٧.
(٤١) نفسه، ص١٢٢.
(٤٢) نفسه، ص١٢٢.
(٤٣) نفسه، ص١٢٣.
(٤٤) نفسه، ص١٢٣.
(٤٥) نفسه، ص١٢٣.
(٤٦) نفسه، ص١٢٢
(٤٧) نفسه، ص١٢٢.
(٤٨) نفسه، ص١٢٢.
(٤٩) نفسه، ص١٢٢.
(٥٠) نفسه، ص١٢٣.
(٥١) خمري، سرديات النقد، (ط١)، (الرباط: دار الأمان، د.ت)، ص٩٨.
(٥٢) مختار، أحمد، علم الدلالة، (ط٢)، (منشورات عالم الكتب، ١٩٨٨) ص٧٩.
(٥٣) العتوم، أيمن، الرعب، (ط١)، (إسطنبول: دار الغوثاني، ٢٠٢٤)، ص٢٣٨.
(٥٤) المصدر السابق، ص٣٨٧.
(٥٥) سعيد حسن، بحيري، علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات) (القاهرة: مكتبة ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٧م)، ص١١، ص١٢.
(٥٦) العتوم، أيمن، الرعب، (ط١)، (إسطنبول: دار الغوثاني، ٢٠٢٤)، ص١٣١
(٥٧) المصدر السابق، ص١٣١.
(٥٨) السابق نفسه، ص٨٧.
(٥٩) نفسه، ص٨٧.
(٦٠) نفسه، ص١٣٠
(٦١) نفسه، ص٩١
(٦٢) نفسه، ص١٣٨.
(٦٣) نفسه، ٨٦.
(٦٤) نفسه، ص٨٦.
(٦٥) نفسه، ص١٣٩.
(٦٦) نفسه، ص٩٠
(٦٧) نفسه، ص٨٨.
(٦٨) نفسه، ص٢٣٨.

(٦٩) نفسه، ص٢٢٨.

(٧٠) نفسه، ص١١٤

(٧١) نفسه، ١٢٠.

(٧٢) نفسه ص١٧٢.

(٧٣) نفسه، ص٣٨٤.

(٧٤) نفسه، ص١٣٧.

(٧٥) نفسه، ص٣٨٩.

(٧٦) نفسه، ص٣٩٢.

(٧٧) نفسه، ص٣٨٣.

(٧٨) نفسه، ص٣٩٢.

(٧٩) نفسه، ص٣٧٩.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الستار، **أسس علم النفس**، (د.ط)، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٨).
- بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، (ط١، (بيروت: المركز العربي الثقافي، ١٩٩٠).
- برنس، جيرالد، **المصطلح السردي**، تر: عابد خزندار، مراجعة محمد البربري (ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣).
- بو عزة، محمد، **الدليل إلى تحليل النص السردي، تقنيات ومناهج**، (ط١، (الجزائر: منشورات الاختلاف،٢٠١٠).
- جمعة، مصطفى عطية **مصطلح المكان.. المفهوم والسيموطيقا** موقع إلكتروني https://www.alrimedia.com
- الحاج، لويس، **دائرة المعارف السيكولوجية**، المجلد الثاني، (د.ط)، (بيروت: دار صادر: بيروت، د.ت).
- حميدة، بسام، **من يؤثر على الآخر.. الكاتب أم المكان؟** (موقع إلكتروني) https://www.omandaily.oZ/
- الخبو، محمد، **معجم السرديات**، (ط١)، (تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠).
- خمري، **سرديات النقد**، (ط١)، (الرباط: دار الأمان، د.ت).
- ديسكون، توماس، علاقة **الانفعالات بالأدب**، موقع إلكتروني https://aawsat.com
- سارتر، جان بول، **نظرية الانفعال**، ترجمة، هاشم الحسيني، (د.ط)، (بيروت لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت).
- سعيد حسن، بحيري، **علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات)** (القاهرة: مكتبة ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٧م).
- طه، فرج عبد القادر وآخرون، **علم النفس والتحليل النفسي**، (ط١)، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).
- العتوم، أيمن، **الرعب**، (ط١)، (إسطنبول: دار الغوثاني، ٢٠٢٤).
- فضل، صلاح، **أساليب السرد في الرواية العربية**، (ط١)، (سوريا: دار الدى للثقافة والنشر: ٢٠٠٣).
- قاسم، سيزا أحمد، **دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، (د,ط)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٨).
- مجمع اللغة العربية في القاهرة، **الوسيط**، (ط٥)، (مصر: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١١).
- مختار، أحمد، **علم الدلالة**، (ط٢)، (منشورات عالم الكتب، ١٩٨٨).
- هناوي، نادية، **الشك عبر السؤال في الرواية الحديثة** موقع إلكتروني https://aawsat>com

الأخطاء الشائعة في تعلم اللغة العربية عند الطلاب الأرمن في تركيب الإضافة

إبراهيم محمد نصير جعفر و ميري تشبلاخيان

كلية الاداب، جامعة الكويت، الكويت و معهد الاستشراق، الجامعة الأرمنية الروسية، أرمينيا

الملخص

الأخطاء الشائعة التي يرتكبها متعلمو اللغات الأجنبية تُعد ظاهرة لغوية طبيعية ، فالخطأ اللغوي ليس مرضا بل هو عرض ينشأ من تباين أنظمة لغوية بين لغتين أو أكثر فيلتبس على الطالب ويرتبك في كلامه أو كتابته. وقد كُتبت بحوث علمية ومقالات لغوية عديدة تناولت موضوع الأخطاء الشائعة لدى الطلاب الأجانب، وطرحت بعض المعالجات العلمية والعملية التي قد تصحح تلك الأخطاء. قد يبدو الخطأ اللغوي فادحا في نظر البعض غير أنه خطأ طبيعي كما أسلفنا كطبيعة خطأ الأطفال في أثناء تعلّمهم لغتهم الأم أو لغتهم الثانية .أخطاء الطلاب كثيرة ومتفاوتة في حجم الخطأ ونوعه ، و قد لحظنا لدى بعض الطلاب الأرمن بعض التشويش في صياغة تراكيب الإضافة القصيرة أو المطولة من جانب وأثر الصفة الداخلة على نظام تركيب الإضافة من جانب آخر، مستشهدين ببعض الأمثلة التحليلية .في هذه الورقة سنركز على أخطاء طلابنا الأرمن في المستوى الأول (الابتدائي) والمستوى الثاني (المتوسط) الخطأ أيكون سببه اللبس الذي يقع فيه الطالب بين الإضافة المرّكبة والصفة الداخلة عليه ، أو من تأثير الترجمة من اللغة الأرمنية إلى العربية أو من ترجمته من العربية إلى لغته الأم؟ ثم يلي ذلك بعض التوصيات والاقتراحات لمعالجة تلك الأخطاء كي لا تتكرر على لسان الطالب المبتدئ ، حيث لو تركت ستترك أثرا معيبا في لغة الطالب كالجرح الذي يندمل مع بقاء الأثر الذي لا ينمحي.

الكلمات المفتاحيّة: تركيب الإضافة، اللغة الأرمنية، اللغة العربية، الصفة.

تمهيد

إن الإضافة تركيب مشوش إلى حد ما في ذهن الطالب الأرمني.فعندما يستخدم الطالب الأرمني التركيب الإضافي في اللغة العربية عبارة كـ(باب البيت) كثير من الطلاب الأرمن يقدمون المضاف إليه (البيت) ويؤخرون المضاف (باب) فتصبح العبارة (بيت الباب) ؛ ولهذا الخطأ أكثر من سبب؛ فقد يرجع سببه أن الطالب قد ترجم — وهو الشائع — عبارة (باب البيت) إلى اللغة الأرمنية التي يختلف نظام إضافتها عن نظام الإضافة في اللغة العربية.

فالإضافة -كما نعلم - تدل على تركيب تقييدي بين اسمين لا فعل بينهما. أو هو إسناد اسم إلى آخر، يكون الأخر (الثاني) بمثابة التنوين من الأول و تعريف به. و يسمى الأول مضافا، و الثاني مضافا إليه (١).

أما الإضافة في اللغة الأرمنية فتركيبها الأصلي يكون بتقديم المضاف إليه و تأخير المضاف. و في هذه الحالة العبارة المذكورة أعلاه تصبح (بيت الباب). و لنفهم من أين تاتي مشكلة الأخطاء في تركيب الإضافة عند الطلاب الأرمن فيجدر بنا فهمها في اللغة الأرمنية.

فنظام الإضافة في اللغة الأرمنية يختلف عن نظيره في اللغة العربية من حيث بنية التركيب في الاستخدام. بينما يعتمد تركيب الإضافة في العربية على ترتيب الكلمات وتحديد الكلمة المضافة والمضافة إليها. فترتيب الكلمات في نظام الإضافة في اللغة الأرمنية عكس ترتيب الكلمات في اللغة العربية. ففي الأرمنية يقدمون المضاف إليه ويؤخرون المضاف(٢). إضافة إلى ذلك هناك جانب من التشابه في العلامة الإعرابية في اللغة الأرمنية و اللغة العربية. ففي حالة الإضافة في اللغة الأرمنية تُستخدم لواحق خاصة للإشارة إلى العلاقة بين المضاف و المضاف اليه. اللاحقة التي تشير إلى العلاقة الإضافية هي " ի" و تنطق (إ) مثل نطق الهمزة المكسورة، و هي تضاف الى الكلمة الأولى في التركيب الإضافي الأرمني(أي المضاف إليه) و تُبين أن الكلمة

الثانية (المضاف) مرتبطة بالمضاف اليه (٣). وهي (أي اللاحقة " ի") تعادل في وظيفتها حركة الجر (الكسرة) في اللغة العربية للإشارة إلى المضاف إليه. فمثلا إذا أردنا القول: (سيارة الطالب)، قلنا:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	طالب	ո ւ ս ան ո ղ	usanogh
المعنى	سيارة	մ ե ք ե ն ա	meqena
الإضافة	سيارة الطالب	ո ւ ս ան ո ղ ի մ ե ք ե ն ան	usanoghi meqenan

أي هذا المثال يكتب بالعربية هكذا : (طالب السيارة). واللاحقة " ի" (إ) تُضاف إلى "الطالب" (usanogh) لتشير إلى أن "السيارة" تعود إلى الطالب.

و قد تكبر مشكلة التركيب العكسي عند الإضافة المعقدة، إذا جاءت صفة مع المضاف أو المضاف إليه. ففي اللغة الأرمنية موقع الصفة يكون قبل الاسم، ومثال على ذلك؛

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	بيت	տո ւ ն	Tun
المعنى	كبير	մ ե ծ	Mec
الصفة	بيت كبير	մ ե ծ տո ւ ն	mec tun

أي هذا المثال يُكتب بالعربية هكذا : (كبير بيت).

مثال آخر : بنت جميلة

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	بنت	աղ ջ ի կ	Axjik
المعنى	جميلة	գ ե ղ ե ց ի կ	geghecik
الصفة	بنت جميلة	գ ե ղ ե ց ի կ աղ ջ ի կ	geghecik axjik

أي هذا المثال يُكتب بالعربية هكذا : (جميلة بنت).

و لا يهم إن كانت الصفة للمضاف أو للمضاف إليه، فموقعها دائما قبل الموصوف. فمثلا نقول في اللغة العربية (سيارة الطالب الجديدة) بينما في اللغة الأرمنية تصبح الجملة (طالب جديدة السيارة) ؛

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	طالب	ո ւ ս ա ն ո ղ	Usanogh
المعنى	سيارة	մ ե ք ե ն ա	Meqena
المعنى	جديدة	ն ո ր	Nor
الإضافة	سيارة الطالب الجديدة	ո ւ ս ա ն ո ղ ի ն ո ր մ ե ք ե ն ա ն	usanoghi nor meqenan

و عند النظر في الأمثلة السابقة نلحظ صعوبة الإضافة عند الطالب الأرمني الذي لا يستطيع فهم تبعيد الصفة عن موصوفها في الإضافة، لأن الصفة في لغته الأم (اللغة الأرمنية) تحتفظ بموقعها الطبيعي، أي بجانب الموصوف. و لتسهيل التدريس نقترح شرح الموضوع للطلاب الأرمن في البداية بإدخال لام بين المضاف و المضاف إليه؛ أي بدلا من قول (سيارة الطالب الجديدة) نقول (السيارة الجديدة للطالب). و بهذه الطريقة يكون قد حُلت مشكلة واحدة، أي تبعيد الصفة عن الموصوف. وتبقى مشكلة الترتيب العكسي للمضاف و المضاف إليه.

فالاختلاف القائم في تركيب الإضافة في اللغتين(اللغة الأرمنية و اللغة العربية) قد يكون السبب الرئيسي لأخطاء الطلاب الأرمن في فهم تركيب الإضافة. لكن هناك أسبابا أخرى جديرة بذكرها.

المضاف إليه في اللغة الأرمنية قد يكون اسما (كما في مثالنا السابق: سيارة الطالب) أو ضميرا: و الضمير قد يكون متصلا (سيارته) و أيضا قد يكون الضمير منفصلا كالضمبر في اللغة الإنجليزية (my book)، و هذا خلاف للمضاف إليه في اللغة العربية. في اللغة الأرمنية يتم استخدام الضمائر مع الأسماء المضافة للإشارة إلى علاقة الملكية كالمثال السابق (سيارته). فلو استخدمت ضمائر منفصلة لبقي تركيب الإضافة مشوشًا في ذهن الطالب الأرمني حيث إن الضمائر المنفصلة أو الأسماء تاتي دائما في الكلمة الأولى في تركيب الإضافة؛ أي تقديم المضاف إليه و تأخير المضاف.

مثال:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	سيارة	մ ե ք ե ն ա	meqena
الضمير	ي	ի մ	Im
الإضافة	سيارتي	ի մ մ ե ք ե ն ա ն	im meqenan

أي هذا المثال يُكتب بالعربية هكذا : (ي سيارة)

مثال أخر:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	كتاب	գ ի ր ք	Girq
الضمير	ك	ք ո	Qo
الإضافة	كتابك	ք ո գ ի ր ք ը	qo girqə

أي هذا المثال يُكتب بالعربية هكذا : (ك كتاب).

و في الوهلة الأولى يبدو أن التركيب العربي شوّش على الطالب الأرمني فهمَه تركيبَ الإضافة في لغته الأم. لكن عدما نبحث في الإضافة التي تعبّر عن الملكية في اللغة الأرمنية نجد أن ضمائر الملكية للمخاطب و المتكلم قد تكون متصلة (٤) كما هي في اللغة العربية ويكون موقعها متصلا بالاسم (المضاف) ؛ أي نستطيع أن نقول نفس المثال السابق بطريقة استخدام ضمائر متصلة ؛

المثال:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	سيارة	մ ե ք ե ն ա	meqena
الضمير	ي	-ս	-s
الإضافة	سيارتي	մ ե ք ե ն աս	meqenas

المثال الثاني:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	كتاب	գ ի ր ք	Girq
الضمير	ك	-դ	-d
الإضافة	كتابك	գ ի ր ք դ	Girqd

من الأمثلة السابقة نجد أن في اللغة الأرمنية هناك ضميرين آخرين للملكية، و هما: ضمير الملكية "**s** " للمتكلم في اللغة الأرمنية وهو يعادل في وظيفته ضمير ياء المتكلم في اللغة العربية، و ضمير الملكية " **d** " للمخاطب وهو يعادل في وظيفته ضمير كاف المخاطب في اللغة العربية. في هذه الحالة أصبح تركيب المضاف و المضاف إليه في اللغة الأرمنية كتركيبهما الإضافي في اللغة العربية.

و إذا تم شرح الإضافة الملكية للطلاب الأرمن بطريقة المقارنة بين الضمائر المتصلة في اللغتين (اللغة الأرمنية و اللغة العربية) قد يجنبنا الوقوع في أخطاء لغوية كثيرة. و لكن توجد صعوبة أخرى تقع مع تاء التانيث (ة) عند اتصالها بالضمير المتصل في تركيب الإضافة، حيث تُكتب تاء التانيث مفتوحة (مكتبتي) (٥). وهذا أمر يشوش على فهم الطالب في تركيب الإضافة

بسبب عدم وجود علامة تمييز بين الجنسين في الأسماء في اللغة الأرمنية. و بعبارة أخرى، الأسماء لا تتغير وفقا للجنس عند اتصالها بالضمائر المتصلة في اللغة الأرمنية ، و مثال على ذلك:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	مكتبة	գ ր ադ ար ան	gradaran
الإضافة	مكتبتي	գ ր ադ ար ան **ս**	gradaran**s**

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	مكتب	գ ր աս ե ղ ան	graseghan
الإضافة	مكتبي	գ ր աս ե ղ ան **ս**	graseghan**s**

نلاحظ في المثالين السابقين أنه في اللغة الأرمنية ليس هناك فرق في اتصال الضمائر المتصلة بالأسماء سواء كانت مذكرة أو مؤنثة، و بذلك يُعتبر هذا الأمر أحد أسباب الأخطاء التي يقع فيها الطلاب الأرمن في تركيب الإضافة، لأن في لغتهم الأم ليس هناك علامة لغوية للجنس (المذكر و المؤنث) في الأسماء.

و هناك أيضا موضوع مشوش في تركيب الإضافة في اللغة العربية يجعل فهمه صعبا على الطلاب الأرمن. المقصود هو الإضافة إلى المعرفة. ففي اللغة العربية المضاف لا يقترن ب"أل" التعريف، بل يكتسب التعريف من المضاف إليه. مثال: (كتاب الولد). حيث "كتاب " أُضيف إلى اسم معرَّف ب"أل" وهو " الولد "، فاكتسب التعريف . أو (نص الدرس) حيث " نص " أُضيف إلى اسم معرَّف ب"أل" وهو "الدرس"، فاكتسب التعريف، أي يتم تحويل الاسم النكرة إلى معرفة عند إضافته إلى معرفة. فهذا الأمر أيضا من الصعوبات التي يواجهها الطالب الأرمني ؛ لأن الإضافة إلى المعرفة في اللغة الأرمنية عكس تماما في اللغة العربية.

و إذا أردنا قول الأمثلة نفسها باللغة الأرمنية فستكون بهذه الصورة:

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	كتاب	գ ի ր ք	Girq
المعنى	ولد	տղ ա	Tgha
أل التعريف	ال	ը	ə
الإضافة	كتاب الولد	տղ այ ի գ ի ր ք ը	tghayi girqə

	العربية	الأرمنية	القراءة
المعنى	درس	դ աս	Das
المعنى	نص	տե ք ս տ	Teqst
أل التعريف	ال	ը	ə
الإضافة	نص الدرس	դ աս ի տե ք ս տը	dasi teqstə

و قد أصبح واضحا أنه في اللغة الأرمنية المضاف هو الذي يقترن ب"أل" التعريف، و يكتسب المضاف إليه التعريف من المضاف.

الخاتمة

إن هذه الورقة حاولت أن توضح بعض الأخطاء الشائعة في تعلم اللغة العربية التي يقع فيها الطلاب الأرمن خصوصا في تركيب الإضافة، و تلك الأخطاء تنشأ نتيجة احتلاف نظام اللغتين في العربية والأرمنية. و لقد انتهى بحثنا في إبراز الأخطاء المذكورة أعلاه و تشمل الجوانب الآتية :

- موضوع ترتيب المضاف والمضاف إليه: أي في اللغة الأرمنية يتم تقديم المضاف إليه وتأخير المضاف .
- موضوع إدخال الصفة على الإضافة: فالصفة في اللغة الأرمنية تسبق الموصوف دائمًا، بينما في العربية تتبع الموصوف.
- موضوع الإضافة إلى المعرفة: فالمضاف في اللغة العربية لا يُعرَّف ب"أل" ويكتسب تعريفه من المضاف إليه، وهذا خلاف اللغة الأرمنية حيث يُعرَّف المضافُ نفسَه.
- موضوع استخدام الضمائر: إن غياب علامة التمييز بين الجنسين في الأسماء الأرمنية يزيد من صعوبة فهم تركيب الإضافة بالضمائر المتصلة في العربية.

وبناء على ما سبق، يمكن لنا أن ننهي ورقتنا ببعض توصيات لتسهيل التدريس، ومنها استخدام أسلوب المقارنة و إدخال لام الملكية بين المضاف و المضاف إليه و شرح الإضافة الملكية باستخدام الضمائر المتصلة. وعليه يجدر بنا أن نشير إلى أن على المدرس أن يكتشف أخطاء طلبته الشائعة بدراستها وتحليلها عبر مقارنتها بين نظام لغته ونظام لغة الطالب . ولذلك – أيضا – يحبذ أن يكون من أعمال المدرس إجراء تحليل تقابلي لغوي كي يهتدي إلى أفضل الطرق في تدريس اللغة العربية بصورة بسيطة سليمة . فاكتشاف الأخطاء في حقيقته هو اكتشاف طرق ناجحة .

المصادر و المراجع

- معجمُ المصطلحاتِ النحويّةِ والصرفيّةِ، مروان العطية، دار البشائر.
- Լիակատար քերականություն հայոց լեզվի, Աճառյան Հ, Երևան, ԵՊՀ հրատ. ٢٠٠٥
- Armenian language and culture of speech, Y. Avetisyan, G. Nersesyan, S. Gorgyan, S. Gabrielyan, Yerevan, YSU Publishing House, ٢٠٢١
- Jasmine Dum-Tragut, Armenian Modern Eastern Armenian, Amsterdam/Philadelphia, ٢٠٠٩

المواقع الإلكترونية

- رضيه حسن وجيه باحميد، (الرسم الكتابي الهمزات، والتاء المفتوحة، والتاء المربوطة)، ٢٧\١٢\٢٠٢٤م، https://rbahmed.kau.edu.sa/Content-٠٠١١٠٢٠-AR-١٠٧٦٣٣

الهوامش

(١) معجمُ المصطلحاتِ النحويّةِ والصرفيّةِ، مروان العطية، دار البشائر، ص. ٤٨

(٢). Armenian language and culture of speech, Y. Avetisyan, G. Nersesyan, S. Gorgyan, S. Gabrielyan, Yerevan, YSU Publishing House, ٢٠٢١, p. ٩١-٩٥

(٣). Լիակատար քերականություն հայոց լեզվի, Աճառյան Հ, Երևան, ԵՊՀ հրատ. ٢٠٠٥, էջ ٢٣

(٤). Jasmine Dum-Tragut, Armenian Modern Eastern Armenian, Amsterdam/Philadelphia, ٢٠٠٩, p. ١١٢

(٥) رضيه حسن وجيه باحميد، (الرسم الكتابي الهمزات، والتاء المفتوحة، والتاء المربوطة)، https://rbahmed.kau.edu.sa/Content-٠٠١١٠٢٠-AR-١٠٧٦٣٣

التأثير اللغوي المتبادل بين العبرية واللادينو

حسين اسماعيل كاظم الكاكي

قسم اللغة العبرية، كلية اللغات، جامعة بغداد، العراق

الملخص

يتناول هذا البحث التأثير المتبادل بين اللغة العبرية واللادينو من مستويات لغوية عديدة، فقد أثرت اللغة العبرية بشكل ملحوظ على اللادينو (اليهودية-الإسبانية)، وذلك بحكم تعايش اليهود في إسبانيا. من بين هذه التأثيرات هي استعارة الأبنية النحوية والصرفية والصوتية والدلالية التي تكشف عن علاقة عميقة ومعقدة بين اللغتين. اللغة العبرية أثرت في اللادينو في تشكيل الجمل وبناء الأزمنة، حيث نُقل استخدام الأفعال في الأوزان المختلفة باللغة العبرية إلى اللادينو، ما أضاف عمقاً إلى التعبير عن الأفعال والحالات. فضلاً عن ذلك، قدمت العبرية العديد من المفردات التي تم استعارتها إلى اللادينو مع الحفاظ على صورتها الأصلية، التي تم تبنيها بالكامل في اللادينو دون تغيير يذكر. على المستوى الصوتي، ساعدت الأصوات المميزة للعبرية في إضافة طبقات من التمييز الصوتي للغة اللادينو، مما جعلها فريدة من نوعها. ومن الناحية الدلالية، نُقلت الكثير من المصطلحات والتعابير العبرية إلى اللادينو، مما أتاح للمتحدثين التعبير عن أفكار ومفاهيم دينية وثقافية بطرق متشابهة، التي تستخدم في السياق نفسه في اللادينو. بالمقابل فإن اللادينو أثرت في اللغة العبرية- وإن كان بشكل ضئيل- من حيث إدخال مفردات وتعابير معدودة، وهذا ما يعطي انطباعاً حول نقل الموروث الاجتماعي من تلك الدول التي كانت تتحدث باللادينو الى العبرية. النتيجة النهائية هي أن اللغة العبرية أثرت بشكل كبير على اللادينو، ليس فقط من خلال استيعاب المفردات، بل أيضاً من خلال تقديم أبنية نحوية وصرفية وصوتية ودلالية غنية، مما يجعلها جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي واللغوي للمتحدثين باللادينو. وتكمن أهمية البحث في إثراء المعرفة اللغوية، إذ يضيف معارف جديدة في مجال علم اللغة ويسلط الضوء على التفاعلات المعقدة بين اللغات المختلفة. وكذلك فهم الديناميكيات اللغوية، في كيفية تأثير بعضها على بعض وتشكلها معًا عبر التاريخ. وفهم طريقة التأثير المتبادل الذي يساهم في الحفاظ على التقاليد الثقافية لمختلف الطوائف اليهودية. ويساعد تحليل هذه المؤثرات على فهم التطور التاريخي للغتين والروابط الثقافية بينهما.

الكلمات المفتاحيّة: التأثير اللغوي، العبرية، اللادينو، اليهودية الإسبانية.

مقدمة

اللغة اليهودية الإسبانية أو الإسبانية اليهودية (djudeoespanyol، بالعبرية: ג̆ודֿיאו־איספאנייול) (Koen & Mordehaj, 1927) والمعروفة أيضًا باسم لادينو، هي لغة رومانسية مشتقة من الإسبانية القديمة، مثل: الكاتالونية، والغاليكية البرتغالية، والأراغونية، والأستورية، والموزارابيك، فضلاً عن بعض الكلمات العبرية والآرامية والعربية. (Jakub,219: 95-96) نصوص اللادينو الأصلية مكتوبة بالأبجدية العبرية. (Lewis, ٢٠١٨: ١٢١)

كانوا يتحدثون بها في الأصل في إسبانيا، ثم بعد مرسوم الطرد انتشرت في الإمبراطورية العثمانية (البلقان وتركيا وغرب آسيا وشمال إفريقيا) (Kahn & Rubin, ٢٠١٧: ٣٧٠-٣٧١) فضلاً عن فرنسا وإيطاليا وهولندا والمغرب وإنجلترا، وهي اليوم تتحدث بها بشكل أساسي الأقليات السفاردية في أكثر من ٣٠ دولة لذلك تسمى "la'az spārd" "לעז ספרד" (Kahn & Rubin, ٢٠١٧: ٣٧٠)، حيث يقيم معظم المتحدثين بها في الكيان. (Peim & Benjamin, 2017) (Jakub, 2019: 94) وعلى الرغم من عدم وجود وضع رسمي لها في أي بلد، فقد تم الاعتراف بها كلغة أقلية

في البوسنة والهرسك والكيان وفرنسا. (Katja, 2015: 1-2) في عام ٢٠١٧، تم الاعتراف بها رسميًا من قبل الأكاديمية الإسبانية الملكية. (Kucukler, ٢٠١٧)

قبل عمليات الطرد وبعدها، كان على اليهود الذين الموالين لليهودية سراً لكنهم تظاهروا بأنهم كاثوليك من أجل البقاء في شبه الجزيرة الأيبيرية أن يتحدثوا الإسبانية بنفس الطريقة التي يتحدث بها جيرانهم المسيحيون. وكان أولئك الذين يجرؤون على استخدام كلمات عبرية يتم إبلاغ السلطات التفتيشية باعتبارهم يهودًا مشتبه بهم، وفي أطروحة مناهضة لليهودية نُشرت لأول مرة حوالي عام ١٤٦٤، يتهم المؤلف اليهود باستخدام تعبيرات كثيرة من أصل عبري لتشويه سمعة الدين الكاثوليكي، على سبيل المثال، "timea" "טמאה" بمعنى (النجاسة) إشارة الى السيدة (مريم العذراء) (ع)، " queilderesim derasin" "קהלה דרשעים" بمعنى (طائفة الأشرار)، "yeliala" "ילילה" (النحيب)، و " mesumadim alcihi" "מושמדים אל תצילי" (لا تنقذوا المرتدين)، كانت مثل هذه التعبيرات تشكل جزءًا من الخطاب اليهودي يُزعم أن اليهود الإسبان يستخدمونها كما وثقها المؤلفون المسيحيون. (Kahn & Rubin, ٢٠١٧: ٣٧٠)

يشهد هذا التأثير على الارتباط العميق بين ثقافات ودين الجاليات اليهودية السفاردية وتراثها العبري.

نجد ثلاث فئات من الأدب اللادينو: ترجمات النصوص المقدسة (مثل الكتاب المقدس العبري، كتاب صلاة الأعياد الكبرى، وهاجاداه عيد الفصح)، والأدب الحاخامي، والحكايات الشعبية، والخرافات، والأمثال، والقصائد، والقصص القصيرة.

السيدوريم: كتب الصلاة التي تستخدمها الطائفة اليهودية في الصلوات اليومية والأعياد.

الهجاداه: كتاب هجادة الفصح، وهو يحكي قصة الخروج من مصر، وتظهر فيها كلمات وعبارات عبرية.

أما فيما يتعلق بالشعر، فهناك قصائد دينية مكتوبة باللادينو، تجمع بين الأنماط الدينية والعبرية. على سبيل المثال: أشعار شلومو أفنابي(١)، الذي كتب بعض أشعاره باللادينو مع استعارات من اللغة العبرية.

في البداية، كانت المحتويات تتناول بشكل أساسي أمورًا داخلية بحتة، وخاصة تلك المتعلقة بالدين اليهودي والمعتقدات والممارسات، أو التعليقات على النصوص المقدسة، أو الكتب المدرسية لدراسة اللغة العبرية. وفي وقت لاحق، انتقلت الأعمال المكتوبة باللادينو إلى أمور أكثر دنيوية. (Kucukler, ٢٠١٧: ٢٥)

أهداف البحث

١- تحديد وتحليل العناصر اللغوية المشتركة بين العبرية واللادينو، بما في ذلك المورفولوجيا والتركيب والنحو والصوت والدلالة.

٢- استكشاف تأثير التغيرات الثقافية بين العبرية واللادينو واستخدامها للغات مختلفة ودمجها مع بعض.

٣- توثيق دقيق لتأثيرات اللغة العبرية على اللادينو وبالعكس، من أجل الحفاظ على المعرفة للأجيال القادمة.

منهجية البحث

استند البحث على المنهج الوصفي- التحليلي، في جمع الكلمات والعبارات والتراكيب اللغوية من اللغتين باستخدام المصادر المكتوبة والشفوية والأكاديمية من الناحية الوصفية، والتحليل اللغوي المقارن للكلمات والتراكيب المختلفة للتعرف على التأثيرات اللغوية والأنماط من الناحية التحليلية، وقد اعتمد البحث أيضاً على الكتابة الصوتية والكلمات التي كانت قريبة لفظاً على العبرية.

خصائص لغة اللادينو

من أبرز سمات هذه اللغة التي كانت تسمى أيضاً (الحكيتية):

1- لغة ذات إطار مرجعي ديني وثقافي يهودي في المقام الأول.

2- استخدمت إملائياً الحروف العبرية حتى وقت قريب.

3- دمج الآرامية العبرية، وخاصة للإشارة إلى مفاهيم ذات أهمية ثقافية أو عاطفية خاصة، لغة ترجمة النصوص المقدسة تعكس إلى أقصى حد قواعد اللغة العبرية الأصلية والنصوص المصدرية الآرامية.

4- الدمج الانتقائي العميق المستوى- ولكن أيضًا الرفض الواعي العرضي- لعناصر من الثقافات المجاورة، ودمج التكوين اللغوي اليهودي الكلي في كيان جديد فريد من نوعه، إذ تميل مجموعة السمات البنيوية التي تمتلكها إلى أن تكون مشتركة بين جميع مستخدمي التوليف اللغوي اليهودي، ولكنها غائبة في الارتباطات التاريخية والإقليمية والأسلوبية التي يستخدمها غير اليهود (Kahn & Rubin, ٢٠١٧: ٣٧٠-٣٧١).

5- إن سمات هذه اللغة الحِرفية والترجمة الحرفية، وفقًا لبالوما دياز ماس، "تنتج لغة مصطنعة تمامًا، وهي لغة غالبًا ما تكون غير مفهومة إذا لم يكن القارئ يعرف المصدر العبري للمقطع "المحَمَّل". على سبيل المثال، نجد أن المصطلح الإسباني "Dios" (الرب) قد تم استبداله بـ "El Dio"، حيث تُستخدم اللاحقة الإسبانية "s-" عادةً للجمع، وقول "Dios" يشير إلى صيغة جمع تدل على المفرد، كما هو الحال بالعبرية في كلمة "אלוהים" التي تأتي بصيغة الجمع لكنها تعني المفرد (الرب). من ناحية أخرى، تُكتب الكلمتان "vidas" (حياة)، و "aguas" (ماء) بصيغة الجمع، نظرًا لأن هاتين الكلمتين في العبرية لها نهاية الجمع "חיים" "hayim" و"מים" "mayim"، فقد تُرجمتا إلى أسماء جمع، لكنهما تحملان دلالة المفرد.

6- أُستخدِمت العديد من الكلمات العربية، حيث تستخدم العبرية والعربية صوتيًا أصواتًا متشابهة لم تكن موجودة في الإسبانية في ذلك الوقت، على سبيل المثال، نجد الكلمة العربية "Alhát" بدلاً من "domingo" (الأحد) يوم الرب بالنسبة للمسيحيين، ولكن بالنسبة لليهود فإن اليوم المقدس هو "שבת" (السبت) بقيت على نفس اللفظ "Shabbath".

7- رغم أن اللادينو كانت تستخدم في القرنين السادس عشر والسابع عشر لترجمة النصوص الدينية من العبرية، إلا أن اللادينو اليوم مصطلح معتمد على نطاق واسع لتسمية اللغة التي يستخدمها السفارديم، وخاصة في الكيان. (Díaz, ١٩٩٢: ٧٦)

أولاً- تأثير اللغة العبرية في اللادينو

انقطعت اللغة اليهودية الإسبانية عن تأثير اللغة الإسبانية التي يتحدث بها الناس في إسبانيا، والتي أصبحت حديثة، واحتفظت بجذورها التي تعود إلى القرن الخامس عشر، وتطورت بطريقة مختلفة. فقد استعارت العديد من الكلمات من العبرية، مثل "anav" "חנף" (مطيع) أو "atakanear" "התקן" (يرتب)، والعربية، مثل "atemar" (يتم) أو "alforría" (حرية)، والتركية، مثل "kolay" (سهل) أو "parás" (مال)، والإيطالية، مثل "ma" (لكن) أو "libero" (حر)، والفرنسية، مثل "rolo" "دور". كما تضمنت مئات الكلمات الإسبانية القديمة التي لم تعد موجودة في اللغة الإسبانية الحالية. وقد تأثرت التغييرات المختلفة في اللغة بالدول والثقافات التي استقر فيها السفارديم. (Jakub, 219: 96)

لدى اللادينو لهجتان رئيسيتان مختلفتان، تتوافقان مع أصل المتحدثين بها:

۱- **اللادينو الشرقية**- يتم التحدث بها في تركيا وبرودوس، وتتأثر بالإسبانية القشتالية.

۲- **اللادينو الغربية**- تم التحدث بها في اليونان ومقدونيا والبوسنة وصربيا ورومانيا، واحتفظت باللهجات والتكوينات اللغوية لشمال إسبانيا والبرتغالية.

ويلاحظ الفرق بين هذه اللهجات صوتياً، إذ نجد على سبيل المثال اللاحقة في كلمة تارة "gordo" وتارة أخرى "godro" (نظر)، أي حدوث قلب مكاني في حرفي (dr) و (rd). (Quintana & Aldina, 2006)

تتضمن مفردات اللادينو مئات الكلمات الإسبانية القديمة التي اختفت من الإسبانية الحديثة، كلمات من أصل عبري، مثل "הסלחה" "הצלחה" (النجاح)، "ברכה" بركة، "עין הראה" "עין הרע" (العين الشريرة)، فضلاً عن كلمات من لغات مختلفة، والتي كانت بديلاً للكلمة الإسبانية الأصلية، والتي نشأت في مستعمرات اليهود المختلفة التي تحدثت بهذه اللغة. ومن بين ذلك أثرت اللغة العبرية على اللادينو خاصة في الكلمات الدينية والاحتفالية والعائلية. على سبيل المثال:

كلمات دينية: "אלוהים" "Elohim" (الرب)، "מצווה" "mitzvah" (وصية)

كلمات طُقسية: "בר מצווה" "bar mitzvah" (بالغ سن التكليف)، "חתונה" "chatuna" (عروس).

كلمات عائلية: "אבא" "aba" (أب) "אמא" "ama" (أم).

فضلاً عن ذلك، فإن بناء الجملة والتركيب في اللادينو يعكسان التأثير العبري بسبب اقتراضهما من بناء الجملة العبرية.

عبارات: "לא להראות פנים" "lo mostrar panim" بمعنى (لم يلق استحسان) أو أيضاً (لم يفضل)، "לקחת ללב" "tomar a lev" (حذ على محمل الجد).

البنى اللغوية: استخدام البناء العبري مثل "מקל" "makel" "מקל- כלי" استعير الى اللادينو "makél".

من أصولها الكارلية، تضمنت الأصناف اليهودية الأيبيرية الرومانسية أيضًا عناصر أصلية من العبرية والأنسانية، بما في ذلك السمات التي تحمل صلة بالدين والحضارة اليهودية، فضلاً عن غيرها، مثل: "tekana" "תקנה" (قانون) "afilu" "אפילו" (حتى). (Kahn & Rubin, ۲۰۱۷: ۳٦۹)

أ- الصرف

لقد انقطعت اللغة الإسبانية اليهودية عن تأثير اللغة الإسبانية التي يتحدث بها الناس في إسبانيا، والتي أصبحت حديثة، واحتفظت بجذورها التي تعود إلى القرن الخامس عشر، وتطورت بطريقة مختلفة. فقد استعارت العديد من الكلمات من العبرية مثل: "anav" (مطيع) أو "atakanear" (يرتب)، والعربية مثل: "atemar" (ينهي) أو "alforría" (حرية)، كما تضمنت مئات الكلمات الإسبانية القديمة التي لم تعد موجودة في اللغة الإسبانية الحالية. وقد تأثرت التغييرات المختلفة في اللغة بالدول والثقافات التي استقر فيها السفارديم. (Jakub, 2019: 97)

استخدام اللاحقة "-י" للدلالة على التملك، على سبيل المثال: "ביתי" "casaí" (منزلي).

استخدام اللاحقة "-ים" للدلالة على الجمع، على سبيل المثال: "אמיגוס" "amigos" (أصدقاء).

"פורים" "Purimlik" "البوريم"- "البوريم الحاضر" مشتقة من ("פורים" العبرية + اللاحقة التركية -lik).

استخدام اللاحقة "-ון" للتأكيد على المبالغة، وتُستخدم لواحق الجمع العبرية /-im/ و/-ot/ مع الكلمات العبرية المستعارة، وكذلك مع بعض الكلمات الإسبانية:

"מילון" "Melón" "פיתיון" "Pityón" "רימון" "Rimón"

على نحو مماثل، يمكن لبعض الأسماء المؤنثة المستعارة التي تنتهي بـ -á أن تأخذ إما صيغة الجمع الإسبانية أو العبرية: "קהילה" (طائفة): "quehilá/keilá" "quehilás/quehilot" "keilas/keilot" "קהילות" (طوائف). (Batzarov & Zdravko, 2016)

وكذلك جمع الكلمة العبرية بلاحقة الجمع الإسبانية (s)، مثل: "דיין" (قاضي) تجمع "dayanes" = "דיינים" "قضاة" (Kahn, Rubin, ٢٠١٧: ٣٦٨)

استخدام الافعال والأزمنة:

"מת" "Met" "توفي"، "נפטר" "Niftar" "توفي"

"Él met en su casa" "הוא מת בביתו" (هو توفي في منزله)

"Él niftar después de una larga enfermedad" "הוא נפטר אחרי מחלה ארוכה" (توفي بعد صراع طويل مع المرض)

"הוא ילך" "Él Irà"

"היא תלמידה" "Ella Estudiarà" "הלכה" "Halaká" "מצווה" "Mitsvá"

ب-التركيب

أبنية الاستفهام: هناك العديد من أدوات الاستفهام التي حافظت على نطقها باللغة العبرية حتى في اللادينو:

"כמה" (Kamma) (كم؟)، نحو:

"Kamma tiempo vas a esperar?" "כמה זמן אתה הולך לחכות?" (كم تنتظر من الوقت؟)

"Kähcn" (كيف، بأي طريقة)، على سبيل المثال: "i kahen ke se mantenga este gato?" (وكيف يمكن لهذه القطة أن تجد الطعام؟)، "no sahen kahen fazer de suz almas?" "إنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بأنفسهم". ربما جاءت من العبرية (כי + איכן). (Crews & Cynthia, 1995: 308) ومن وجهة نظر الباحث، يمكن أن يكون مصدر الكلمة هو "כי + היכן" أو "איכה + נא" العبرية.

أبنية النفي: استخدام أداة النفي مثل: "אל" نحو: "mesumadim alcihi" "מושמדים אל תצילי" (لا تنقذوا المرتدين) (Kahn & Rubin, ٢٠١٧: ٣٧٠)

استخدام البناء "אתה אומר" "tu dizes" (انت تقول).

أبنية الكينونة: "יש לך" "tienes tú" (لديك).

أبنية التملك: "זה שלי" "es mío" "התפילה שלי" "La Tefilá mía" "הספר שלי" "El Libro mío" "הספר הגדול" "El Gran Libro" "האישה החכמה" "La Mujer Sabia" "הספר של יוסף" " El Libro de Yosef" "הבית של דוד" "La Casa de David"

استخدام صيغة (ה') هاء التعريف العبرية: "המורה" "El Profesor" (זכר), "La Profesora" (נקבה)، "האוטובוס" "El Autobús" "הבית" "La Casa" "הספר" "El Libro"

ج- الصوت واللفظ

احتفظت اللادينو بنفس لفظ الكلمات من خلال الترجمة الصوتية لبعض الكلمات العبرية، مثل: "שבת" "Şabat" (السبت)، "חלה" "hala" (كعكة)، "שלום" "shalom" (مرحبا، سلام)، "תורה" "Torah" (توراة)، "מזוזה" "mezuzah" (عضادة)، "סדר" "seder" (فصل)، "מנורה" "menorah" (شمعدان)، "חנוכה" "Hanukkah" (حانوكا، عيد الأنوار)، "טלית" "talit" (طاليت/ شال الصلاة).

د- الدلالة

استخدمت اللادينو عبارات وكلمات عبرية، من حيث الدلالة يمكن تفسيرها بأنها بقيت محافظة على المعنى إلا أنها تغيرت صوتياً في بعض الحالات:

هذه العبارة "atamarales de umo" في اللادينو (أعمدة من الدخان). ترجمها سوباك خطأً بـ " tourbillons de fumee" وحاول ربطها بالتركية. "atim" تعني (أطلاق النار). ومع ذلك، فهي ترجمة للعبرية. "ותרומת העשן" (وأعمدة من الدخان)، والتي تُرجمت الى الإسبانية "y pilares de humo" في الكتاب المقدس. ولأن كلمتي "date-palm" "نخلة التمر" و "(of smoke) column" "عمود (من الدخان)" في العبرية مرتبطتان، فإن كلمة "atamarales de umo" في اللادينو لها شكل اليهودية الاسبانية. (a)tamaral "نخلة التمر". (Crews & Cynthia, 1995: 304)

"batäl" في اللادينو (عاطل، غير مشغول ، فارغ)، على سبيل المثال: " el patron del kafi stable ai asentado batälel patron del" "كان صاحب المقهى جالساً هناك لا يفعل شيئًا"، و " mucoz andares kedaron batdl" (العديد من الأماكن الشاغرة). إن عدم الاتفاق في المثال الأخير يجعل من المؤكد أن الكلمة تركية. وليست مشتقة مباشرة من الكلمة العربية. ناهيك عن الكلمة العبرية "bätel" (عاطل). لكن الكلمة "בטלנים" من "בטלן" (أثناء الجمع بالعبرية) مثل: "Batlanim los individuos que leen los yärtsait" (أغلب الأفراد عاطلون عن العمل)، هي كلمة من العبرية وتعني (العاطل- العاطلون عن العمل). (Crews & Cynthia, 1995: 304)

"gän ider" (جنة عدن، الجنة) باللادينو، على سبيل المثال: " la una ez de gän ider, la otra ez de giind" (أحدهما من الجنة والآخر من جهنم) من العبرية "גַּן עֵדֶן". ربما تكون الصورة قد تكونت من "gan ide" سابقاً. وبالجمع "ganedim" (الجنات)، والتفسير أنها جاءت بدمج الكلمتين بطريقة النحت وإضافة لاحقة الجمع العبرية (-ים (im) وحذف حرف (ה) من الكلمة الثانية. (Crews & Cynthia, 1995: 305)

وعكسها "giina" "geinan" (الجحيم، جهنم) من العبرية "gehinnäm" (الجحيم) "gehinnom" بالعبرية التوراتية "גֵּיהִנּוֹם"، والتفسير أنها أُشتقت من نفس كلمة "גן" العبرية واضيفت اللاحقة "a" الإسبانية.

"haftona" "الضرب، السحق"، على سبيل المثال: " deben de tener una espalda rezja para reyebar haftona" (يجب أن يكون لديهم ظهور قوي حتى يتمكنوا من تحمل الضرب) " ievavan haftona i no saviian ken los aharva" (لقد تعرضوا للضرب لكنهم لم يعرفوا من كان يضربهم) " los golpes en las manos llamäbase haftonä" "الضربات على اليدين كانت تسمى ركلات" "האפטונה". الجزء الأول من هذه

الكلمة، والذي يُكتب أحيانًا "האבטונה" "habhtona"، يجب أن تكون صورته من العبرية. "חָבַט" "häbhat" "للاستلقاء لتلقي الجلد، عموماً للعقاب، والتقييد". تحول (b+t) إلى (f+t)، يمكن تفسيره من المألوف، بسبب التشديد. ومثال على التغيير الصوتي كلمة "aftaha" (الثقة) في العبرية، "habhtähah" "הַבְטָחָה" من الفعل "mofto" (ثابت) "mobito".(Crews & Cynthia, 1995: 306)

"Kalhamira" (عشية الفصح)، على سبيل المثال: "dia de kalhamira". من العبرية هذه هي الكلمات الأولى (والعنوان) للإعلان الذي تم إجراؤه عشية الفصح، عندما يتم جمع كل الخبز والأطعمة المخمرة الأخرى، والتي يتم تكرارها في اليوم التالي عندما يتم حرق بقايا الطعام. تتكون الكلمة بالأصل من "כָּל" "kol" (كل) + "הַמִּירָא" الآرامية "hämirä" (خميرة) (خبز غير مخمر). أن مثل هذه المخالفات تحدث في اليديشية، مثل: "ktinfora" = "alkanfor".

"lasön d'a ködes" "اللغة العبرية"، على سبيل المثال: "?non konosez el lasön d'a ködes" (ألا تعرف اللغة العبرية؟) هذه الصورة الشائعة، لـ "lasön de a ködes"، حرفيًا "لسان القداسة"، يُظهر أن البناء العبري في "לְשׁוֹן הַקֹּדֶשׁ" "leson haq-qödhes" (لغة القداسة) قد تم استبداله بصيغة حالة الإضافة في الإسبانية. ومع ذلك، يستخدم المتحدثون الذين لديهم اطلاع بالعبرية صيغة "lesön a ködes". (Crews & Cynthia, 1995: 308)

"trefan"، "trifä" صفة "محرم" (الطعام غير المباح في الشريعة اليهودية). من العبرية "טְרֵפָה" (terifah).

"asidre" (الشطرنج)، على سبيل المثال (في قصيدة البلادة): (Crews & Cynthia, 1995: 308)

al konde alegorni'el su padre l'ai wadrado par

el su padre no la daba

ni por oro ni por aber f sinö al ke la gugaba al gugo del asidre

ومن وجهة نظر الباحث بما أن اللعبة قديمة، لعبها اليهود في اسبانيا، لذلك فإ الكلمة ليست تركية بل من الممكن أن تكون من العبرية وبعدة تفسيرات، مثل: "אסדיר" من الفعل "סידר"، وبما أن اللعبة تحتوي على فن وذكاء وتخطيط وتكتيك وسيطرة، وقد تحول صوت السين في العبرية الى شين في الاسبانية أصبحت الكلمة "asidre" "אשדיר".

أو التحليل الثاني، قد يكون أصل الكلمة هو "אדיר" لأن هذه اللعبة تصف القوة وهي لعبة الملوك والكبار والأذكياء، واضيف لها حرف الشين فأصبحت "אשדיר".

أو قد تكون الكلمة "שטר" التي هي بالأساس تعني فرض القوة والهيمنة فتطور اللفظ الى "אשדר"، وهذه الكلمات جميعها هي توراتية قديمة وليست حديثة.

"albisja" تظهر العديد من السمات الغربية واستخدام المفردات في اللادينو، قد يُعزى إلى هذه الحقيقة، نظرًا لأن الإنجيل يحتوي أيضاً على البشارات "albricias"، فمن المرجح أن المفردة ذي الصلة بالعبرية "בְּשׂוֹרָה" "besörah"، التي تُرجمت إلى "albricia" في حالة المفرد، ولا تزال تُستخدم بنفس الطريقة بشكل "albisja"، على سبيل المثال: " te dare bsora tova" (سأعطيك خبرًا جيدًا).

بقيت بعض المصطلحات الدينية في اللادينو بصورة مماثلة للعبرية، مثل: "פרשה" "parasha" (التلاوة الاسبوعية)، "קדוש" "kadoş" (مقدس)، "תלמוד" "Talmud" (تلمود)، "קבלה" "Kabbalah" (القبالا)، "מגילה" "megila" (لفافة)، "סידור" "sidur" (صلاة)، "רב" "Rav" (رابي، حاخام)، "שחרית" "Shaharit" (صلاة

المغرب)، "תפילין" "tefilin" (تفيلين)، "צדקה" "Sedaka" (صدقة). "Arón" "ארון" (الخزانة المقدسة)، "Din" "דין" (حكم)، "ḥaḥam" "חכם" (حاخام).

مفردات

"זהות" "Zahut" (هوية)، "סוכר" "azukar" (سكر)، "מערב" "Maaráv" (غرب)، "פנים" "panyo" (وجه)، "הבדלה" "havdala" (الهافدلاه)، "קידוש" "kidush" (تقديس)، "שבועות" "Shavuot" (عيد الأسابيع) "שמחת תורה" "Simhat Torah" (فرحة التوراة)، "מזל" "mazal" "حظ، برج"، "תפילה" "Tefilá" (صلاة)، "שבעה" "sheva" (سبعة)، "כיפה" "kipa" (قبعة)، "גנב" "ganav" (سرق) "ספר" "sefar" (كتاب)، "פסח" "pesah" (فصح)، "שופר" "shofar" (شوفار، بوق)، "קדיש" "kadish" (قاديش، صلاة يهودية تُتلي خلال الطقس الديني الذي يستمر لمدة ثلاثة أيام وهؤلاء الذين يكون على موت اقاربهم)، "חלה" "hala" (كعكة)، "ברכה" "Beraxa" (بركة)، "סוכה" "sukah" (عريشة)، "לולב" "lulav" (عسلوج)، "מצה" "matza" (وجد)، "מנחה" "minha" (صلاة الظهر)، "תודה" "Toda" "חכמה" "Jojmá" "ברוך הבא" "Baruj Habá" "מצווה" "Mitsvá"، "תרגום התנ"ך" "Traduksión del Tenaj" "בית כנסת" "Bet Keneset"، "אלמונה" "almohada" "כר" (وسادة) وهنا تقابل الكلمة المعروفة بالعربية (المخدة)، "ángel" (ملاك)، "Badkar" "בדק" (أعاد النظر)، "Maabe" "מבול" (طوفان). "catan" "שטן" (شيطان).

التأثر بالثقافة والعلم، اللغة الدينية اليهودية والتأثر الأدبي:

"פילוסופיה" "Filosofía" "מדע" "Mada" "אוניברסיטה" "Universidad" "פילוסוף" "Filósofo".

"סידור" "Sidur" "מזוזה" "Mezuza" "כשר" "Kosher" "תפילין" "Tefilin" "רב" "Rabi" "ישיבה" "Yeshiva" "קהל" "Kaál" "סוכה" "Suka".

"תנ"ך" "Tanaj"، "תלמוד" "Talmud"، "משל" "Mashal"، "מעשה" "Maasé" (قصة)، "מעשיה" "Maasia" (قصة، أقصوصة)، "מדרש" "Midrash" (مدراش)، "אגדה" "Hagadá" (هجادا-اسطورة).

ثانياً- تأثير اللادينو في العبرية

كان اليهود السفارديم الذين شكلوا المجتمع اليهودي في القدس في الجزء الأول من القرن العشرين يستخدمون لغة اللادينو كلغة مجتمعهم، ولكنهم كانوا يجيدون اللغة العربية المنطوقة وكان العديد منهم قادرين أيضًا على قراءة وكتابة اللغة العربية الكلاسيكية. (Spolsky & Shohamy , ۱۹۹۹: ۱۳۸)

كانت فلسطين العثمانية مأهولة إلى حد كبير بالعرب الناطقين بالعربية، واليهود السفارديم الناطقين بالعربية واللادينو (اليهود الذين ينحدرون من أولئك الذين عاشوا في إسبانيا قبل الطرد- يُستخدم المصطلح أيضًا للإشارة إلى أولئك الذين قدموا إلى الكيان من البلدان الشرقية والناطقة بالعربية، على الرغم من أن هذه المجموعة يشار إليها الآن غالبًا باسم مزراحيم)، واليهود الأشكناز الناطقين باللغة اليديشية (ينحدرون من أولئك الذين عاشوا في الأصل في ألمانيا). كانت لغة الحكومة هي

التركية، وكانت تستخدم العديد من اللغات الأخرى، لكن النسيج العام كان العربية أو اليديشية أو اللادينو. (٦ :١٩٩٩ , Spolsky & Shohamy)

هناك أنشودة يرددها الأطفال عندما يريدون تحديد من يبدأ دوره:

"אנ-דן-דינו-סוף-על-הקָטינו סוף-על-הקָטי-קָטוֹ-אֶליק-בֶּליק-בּוֹם".

"Ententino savaracatino, savara caticataca elem belem bus tisi mali rus"

الأنشودة عبارة عن صيغة جميلة لأغنية للأطفال من سراييفو في يوغوسلافيا، لكن يبدو أن الأنشودة جاءت إلى الكيان مع متحدثي اللادينو (على الرغم من أن الأنشودة نفسها ليست بلغة اللادينو).

ومن بين الكلمات والعبارات الأخرى التي دخلت للعبرية من اللادينو

"קלבסה": "kalabasa" تعني اليقطين بالإسبانية، وكذلك هي باللادينو "kalavasa".

وفي العامية العبرية تعني (الغبي، الأبله، الرأس، الدماغ) نحو:

"יש לו ראש קלבסה" "لديه رأس اليقطينة"

"בכל מקרה, כדאי לקחת אותו לווטרינר לבדוק מה שלום הקלבסה אחרי הצניחה על האופנוע." (דורה, 10/07/2010)

"على أية حال، يجب عليك اصطحابه إلى الطبيب البيطري للتحقق من حالة رأسه بعد سقوطه من على الدراجة النارية."

"החידות בחדר מעולות. דורשות הפעלת הקלבסה ויש הרבה אלמנטים שלא ראינו בחדרים אחרים." (שרביט , 2018).

"الألغاز في الغرفة رائعة. مطلوب تفعيل الدماغ ويوجد العديد من العناصر التي لم نراها في الغرف الأخرى."

"דֶּבִּיל": بمعنى (أحمق، ضعيف الذكاء) في العبرية العامية، مصدرها من الاسبانية، وكذلك في اللادينو "debil"، (רוזנטל, 2007: 73) نحو:

"אתה ממש דביל!" "أنت حقاً أحمق!"

"עשית לי בושות ליד חבירים/ יצאתי דביל ליד אנשים" (קוקו מחרוזת להיטים, גורי ואסי)

"لقد أحرجتني أمام أصدقائي/ كنت أحمقاً أمام ناسي"

"דְמִיקוּלוֹ": في العامية العبرية بمعنى (فاشل، سيء، بائس، غير نافع) مصدر الكلمة باللادينو "de mi culo" تعني (من مؤخرتي)، (רוזנטל, 2007: ٨١)، نحو:

"איך יכול להיות שרק לפני שנה היינו המשטרה הכי טובה בעולם ועכשיו הפכנו למשטרה דמיקולו?"

"كيف يمكن أن نكون قبل عام واحد فقط أفضل شرطة في العالم والآن أصبحنا شرطة فاشلة؟"

"לפחות היא עושה משהו, בניגוד ליתר הדמיקולויים כאן שרק מדברים".

"على الأقل هي تفعل شيئًا ما، على عكس بقية الفاشلين هنا الذين يتحدثون فقط."

"נוכלים דמיקולו כמו ר. מסתובבים מתחת לכל פנס רחוב" (שי 18.7.2004)

"المحتالون البائسين ر. يتجولون تحت كل مصباح في الشارع"

"עיניים שלי": في العبرية العامية بمعنى (مخاطبة أو عبارة تودد وحرص) (وعد مطلق) في الأصل من اللادينو " mi ojos" أو "ojos de mi cara" تقابل في العربية (عيوني)، (רוזנטל, 2018: ٥٣٤)، نحو:

"אל תכעסי, עיניים שלי/ קמתי ממך ללכת" (יהודה פוליקר, עיניים שלי, יעקב גלעד)

"لا تغضبي يا عيناي/ قمت منك لأذهب"

"עיניים שלי, אני אוהב אותך" "يا عيناي، أحبكِ"

"מבטיח שאגיע למפגש, בעיניים שלי" "أعدك بأنني سأحضر اللقاء، من عيناي"

ويبدو أن هذه العبارة قد انتقلت من خلال ظاهرة اقتراض المعنى، أي أخذ الدلالة والمعنى من اللادينو وترجمته بما يقابله في اللغة العبرية بكلمات عبرية. (ניר, 1993: 38)

"פּוּסְטֶמָה": في العامية العبرية بمعنى (تافه) أو لفظ ازدرائي كان يطلق على الجنسين لكن في العبرية المعاصرة اصبح للمرأة فقط بمعنى (قبيحة)، ومعناه بالأصل من اللادينو "postma" (قرحة، جرح متقيح)، (רוזנטל, 2018: ٥٦٩)، نحو:

"היום אישה אחת ברחוב קראה לי פוסטמה מכוערת" (גלבץ, 86)

"اليوم وصفتني امرأة في الشارع بالقيح القبيح"

"כולם הסתכלו עלי כמו על פוסטמה למה לא הבאתי עמי מזוודה לכבס" (פנשושה, 1979: ٢٤٠)

"نظر إلي الجميع وكأنني قبيحة، لماذا لم أحضر حقيبة إلى المغسلة؟"

"אל תהיי כזאת פוסטמה, אל תהיי כל כך רעה" (הצילו את המציל)

"لا تكوني كالقبيحة، لا تكوني لئيمة جدًا"

"פִּתָּה": جاءت هذه الكلمة من اليونانية اللادينو "petta"، ومنها الى العبرية بمعنى (معجنات مسطحة) (رغيف مدور)، وكتابتها بحرف (ת) التاء بالعبرية كما يبدو بسبب التشابه بينها وبين الكلمة العبرية "פת" بمعنى (قطعة)، (רוזנטל, 2018: 5٨٤) نحو:

"אחת המנות המיוחדות בדוכן הפיתות החדש של השף אייל שני היא פיתה עם שוקולד השחר ובננות" (נענע 10- 2011)

"أحد الأطباق الخاصة في جناح المعجنات الجديد للشيف إيال شاني هو كعكة بالشوكولاتة المحلاة والموز"

"פָלָפֶל בפיתה עם טחינה נחשבת היום למאכל ישראלי"

"تعد الفلافل بالرغيف المدور مع الطحينة اليوم طبقًا إسرائيليًا"

"שנַת תָרַפָּפּוּ": بالمعنى الحقيقي باللغة العبرية "שנַת תָרַפַּפּ"ו" (عام ١٩٢٦)، ولكنها بالمعنى المجازي (فترة ماضية بعيدة ومثير للسخرية)، بالأصل من اللادينو "Deal tiempo di mi tarapapo" تعني (منذ زمن طويل) (רוזנטל, 2018: ٧١٥)، نحو:

"בעודנו מלגלגים... על שנת תרפפ"ו הקומית, שלא לדבר על 'חשכת ימי הביניים' " (הארץ, 31.12.99)

"بينما نحن نسخر... الزمن السحيق الكوميدي، ناهيك عن «ظلام العصور الوسطى"

وتفسير العبارة (بحسب أورا شورزولد). "منذ زمن جد جدي"، "منذ زمن طويل"، في اللادينو اليونانية: تيريا- ثلاثة، بابو- جد.

"**בורקס**": تعني بالعبرية (بورك) نوع من المخبوزات بنية على ثقافة الفلكلور المنطقة المتوسطية، حيث أخذت التسمية للعجينة المقرمشة المحشوة، من أصل تركي، من اللغة اليهودية-السفاردية "bórax" إلى اللغة العبرية دون تغيير جوهري في الشكل، (רוזנטל, 2018: ١٠٥)، نحو:

"מתגלה כעמוקה יותר ושנונה יותר מאשר מעטה ה'בורקאס' בו היא עטופה" (הבמה, 2004)

"تبين أنها أعمق وأذكى من غطاء 'البورك' الملفوفة به"

"**סְפּוֹנְגָ'ה**": بالعبرية تعني (غسل الأرضية)، وأصل الكلمة من اللادينو "esponja"، وهناك كلمة أقل شهرة "ספונג'אדור" "espongador" تعني (خرقة الأرضية). ولها علاقة بكلمة الإسفنج، (רוזנטל, 2018: ٥١٧)، نحو:

"הבוקר עשיתי ספונג'ה. ממש ממש ספונג'ה. עם מגב" (גלבץ, 57)

"هذا الصباح عملنا غسيلاً للأرضية. حقًا غسيل. مع ممسحة"

"כבס את הבגדים/ תן אוכל לילדים/ ושטוף כלים לפני הספונג'ה" (זינגר ובן סירא, ١٩٧٥)

"اغسل الملابس/ قدم الطعام للأطفال/ واغسل الصحون قبل غسيل الأرضية"

"**חמינדוס**": تعني بالعبرية (بيض مسلوق)، يتم طهي البيض بالليل في حساء، وأصلها من اللادينو "**אוּאֶבוֹס, גוּאֶיב'וֹס, חָאמִינָאדוֹס**" "huevos duros" بمعنى (بيض مسلوق) (רוזנטל, 2018: ٢٨٥)، نحو:

"כבר נכרכה מגבת על ראשי, עם ריח שהזכיר את הסיר-חמינדוס של החותנת" (שחף, 2004)

"**בקלה**" تعني بالعبرية (ذئب البحر) (سمك القد)

"העברתי את רוב חופשתי בדיג דגי בקלה ברציף המספנה"

"أقضي معظم إجازتي في صيد سمك القد في حوض بناء السفن"

"**צַ'פָּצוּלָה**": بالعبرية تعني لفظ ازدرائي للمرأة بمعنى (قذرة)، جاءت من اللادينو والتركية "**צָ'אפָּאצ'וּלוֹ**" للمذكر و"**צָ'אפָּאצ'וּלָה**" للمؤنث "chapachul" بمعنى (قذر)، (רוזנטל, 2018: ٦٢٥)، نحو:

"טוב תחכי לי צ'פצ'ולה" (אלוני, 1975)

"حسنا انتظريني يا قذرة"

"אישה זו צ'פצ'ולה וקשה להיות בחברתה"

"هذه المرأة عاهرة ومن الصعب أن تكون بصحبتها"

"**פִינְגָ'אן**": بالعبرية تعني (فنجان، وعاء القهوة)، جاءت من اللادينو "pinjan" بمعنى (وعاء القهوة)، (רוזנטל, 2018: ٥٨٠)، نحو:

"פלמ"ח, פינג'אן, קפה שחור וכוכבים/ אנגלים, מחתרת וילקוט הכזבים" (אריק איינשטיין, יכול להיות שזה נגמר, יהונתן גפן)

"البلماخ، فنجان، القهوة الداكنة والنجوم/ الإنجليزية، حقيبة الأكاذيب تحت الأرض"

"האש מהבהבת/ שירה מלבלבת/ סובב לו, סובב הפינג'אן" (יפה ירקוני, שיר הפינג'אן, חיים חפר)

"النار تومض/ الشعر محير/ يدور حوله، يدور الفنجان"

"**פֵּיילָה**": تعني بالعبرية (حوض)، أصل الكلمة من اللادينو، (רוזנטל, 2018: ٥٧٧)، نحو:

"ממלא את הפיילות האלה של הקפטריה מים ונוסע" (אלוני, 1975)

"يملأ أحواض الكافتيريا بالماء ويغادر"

"אחר כך שם אותם בפיילה מים ובודק מאיפה בורח אויר" (החמישייה הקאמרית)

"ثم وضعهم في حوض من الماء وتحقق من مكان خروج الهواء"

"קוֹמְבִּינָה": تعني بالعبرية (الخداع، المؤامرات، التحرك، التلاعب)، جاءت من اللادينو "Komina" بنفس المعنى، (רוזנטל, 2018: ٦٣٣)، نحو:

"אמרתי לשץ לעשות קומבינה כדי לקרב אותו" (שמעיה, 16.7.04)

"لقد طلبت من شاتس أن يقوم بعمل حيلة لتقريبه"

"העשירים חיפשו קומבינה לעשות עוד מכה/ על גב העניים שלא הבינו שהם הרוב" (הדג נחש, בראשית)

"كان الأغنياء يبحثون عن مؤامرة ليحققوا ضربة أخرى/ على ظهور الفقراء الذين لم يدركوا أنهم الأغلبية"

ترافق اللادينو عالم الطعام الغني في منطقة البلقان والأسبان الأصيلين، مما جعلها تنقل بعض المفردات والتعابير الى العبرية، على النحو الآتي:

"בּוּגָצָ'ה"– "בוגאצ'ס": بالعبرية تعني (بوغاشة بالعامية المصرية) معجنات فطائر محشوة، من اللادينو بالأصل "Boreka" أو "Bureka"، (רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"במטבח של פיני: בורקס פרימיום בכיכובם של עלי מנגולד וגבינה צפתית: לרגל יום ירושלים פיני נזכר בילדותו בבירה, ובמאפה הבוגצ'ה המסורתי שאחותו הכינה לאביו"

"في مطبخ فيني: البوراك الممتاز مع أوراق السلق والجبنة الصفدية: بمناسبة يوم القدس، يتذكر فيني طفولته في العاصمة، والبغاشة التقليدية التي صنعتها شقيقته لوالده" (פיני לוי: 06.05.21)

"יפרקס": تعني بالعبرية (المحشي) محشو ورق العنب والكرنب والخ، أصل الكلمة من اللادينو، (רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"יאפרקס של סבתא שולה" "محشي الجدة شولا"

"שמיזיקוס": تعني بالعبرية (الزلابية) المحشوة، بالأصل من اللادينو، (רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"פצ'ה": تعني بالعبرية (الپاچة) مرق كوارع العجل، وبالصيغة البلغارية مرق كرشة البقر، وأصلها من اللادينو، (רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"אלבונדיגס": تعني بالعبرية (الكفتة) كرات اللحم، (רוזנטל, 2007: 112).

"קיופס די קרנה": تعني بالعبرية (الكفتة) كرات اللحم، (רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"גִּיבֶץ' ": بالعبرية تعن (يخنة خضار مشكل)، بالأصل من الرومانية "ghivetch" (רוזנטל, 2007: 112)، (רוזנטל, 2018: ٥٧٧)، نحو:

"הכינו ארוחות מראש לכמה ימים... גיבץ' ירקות כמו חצילים, פלפלים, גזר, קישואים" (טבע, 2005)

"أعددنا وجبات لطعام مسبقاً لبضعة أيام... يخنة خضار مشكل مثل الباذنجان، الفلفل، الجزر، الكوسا"

"יַחְנִי": تعني بالعبرية (يخني)، بالأصل من التركية "yahni" وانتقلت الى الرومانية "ahnie"، ويعتقد بالأصل انها كلمة فارسية كما وأنها ذات جذور يونانية "γιαχνί"، (רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"١٣ רעיונות של יחני לבנוני" "13 فكرة لليخني اللبناني" .

"טרושי": تعني بالعبرية (المخلل، الطرشي) (רוביק רוזנטל, 2007: 112)، نحو:

"ירקות כבושים מהמטבח העיראקי הנקראים גם "טורשי"- תמיד טוב שיש במקרר בבית!, 29 קלוריות למנה, 24 קלוריות ל-100 גרם".

"خضروات مخللة من المطبخ العراقي، تسمى أيضًا "الطرشي"- من الجيد دائمًا تناولها في الثلاجة في المنزل!، ٢٩ سعرة حرارية لكل وجبة، ٢٤ سعرة حرارية لكل ١٠٠ جرام"

وهناك العديد من المفردات التي دخلت الى العبرية عن طريق اللادينو، تخص الطعام مثل: "פריטס" (شرائح البرجر)، "סופירטו" (شرائح اللحم)، "מוסקה" (فطائر الخضار واللحم)، "פיניונס" (صنوبر)، "פפיטס" (لب البطيخ)، "אינצ'וסה" (فطير)، "מרצ'נוס" (كعك لوز مخبوز)، "סָלָטָה" (سلطة)، "מירנדג'נס" (باذنجان)، "פיפיריצס" (فلفل)، "קלווסיקס" (كوسة)، "דומטס" (طماطم)، "פיפנו" (خيار)، "פשקדו" (سمك)، "פויו" (دجاج)، "קרנה" (لحم)، (רוביק רוזנטל, הלקסיקון של החיים, 2007, עמ' 112) (زكريا و عثمان، ٢٠١٦: ١٧-١٨).

النتائج

١- هناك كلمات عديدة في اللادينو قد حافظت على النطق العبري من الناحية الصوتية، وقد استعارت اللادينو بعض الأصوات الخاصة مثل "ח" (ح) و"ע" (ع) التي مصدرها العبرية.

٢- ساهمت اللغة العبرية بالعديد من الكلمات والعبارات في معجم اللادينو، فضلاً عن استخدام بعض اللواحق العبرية، ذوات الدلالات المختلفة.

٣- هناك أبنية تركيبة-نحوية في اللادينو بقيت محافظة على نفس الصيغة للمصدر العبري، كالاستفهام والتملك. وغالباً ما نلاحظ ترتيب الكلمات في جملة اللادينو، يعكس بناء الجملة العبرية.

٤- إن العديد من المصطلحات التي تخص العائلة والدين والثقافة والأدب في اللادينو، مصدرها اللغة العبرية.

٥- يبدو من خلال الدراسة بأن تأثير اللادينو على العبرية قد جاء في جانبين:

أ- الدلالة الايجابية: وهي كانت في نقل مفردات وتعابير تخص الطعام، وهي قليلة نسبياً.

ب- الدلالة السلبية: وهي كانت في نقل مفردات وتعابير ازدرائية ذوات مدلولات سلبية، وهي كثيرة نسبياً بالمقارنة مع المفردات ذوات الدلالة الإيجابية.

٦- حافظت بعض الكلمات العبرية المستعارة من اللادينو على شكلها ونطقها ودلالتها في اللغة الأصل، أو عن طريق اقتراض المعنى.

الهوامش

(١) كان شلومو أفنابي شاعرًا وفيلسوفًا يهوديًا إسبانيًا عاش في القرن الحادي عشر، ويعد أحد أهم شعراء العصر الذهبي للثقافة اليهودية في إسبانيا. يتميز شعره باستخدام الاستعارات الغنية والتعبيرات العميقة عن المشاعر واستكشاف الموضوعات الدينية والفلسفية. يجمع شعره بين عناصر من التقليد العبري والثقافة العربية الأندلسية.

قائمة المصادر والمراجع

العربية

١- زكريا. عمرو وعثمان. عبدالحميد، معجم الحياة، ط ١، أمدكو، القاهرة، ٢٠١٦.

العبرية

١- אורן שרביט, קארטו רעננה, חדרי בריחה, 2018.
٢- אלוני. נסים, הגשש, קפטריה טבריה, 1975.
٣- זינגר. גדעון ובן סירא. ענקל'ה, טוויסט הבעלים בסינור, מילים: דוד פאיאנס.
٤- ניר. רפאל, דרכי היצירה המילונית בעברית בת-זמננו, בית ההוצאה לאור של האוניברסיטה הפתוחה, תל אביב, 1993.
٥- פנשושה. איילה, ירוק בעיניים, 1979.
٦- רוזנטל. רוביק, הלקסיקון של החיים- שפות במרחב הישראלי, כתר, 2007.
٧- רוזנטל. רוביק, מילון הסלנג המקיף, מהדורה מעודכנת, בהוצאת עברית וכתר-מודן, 2018.
٨- שחף. זאב, אירוס, 2004.

الأجنبية

1- Lily Kahn, Handbook of Jewish Languages: Revised and Updated ،Aaron D. Rubin Edition, Brill, 2017.
2- Ali Kucukler,Huseyin Icen. The Studies on the Hebrew Language, Cambridge Scholars Publisher, ٢٠١٨.
3- Batzarov, Zdravko. "Judeo-Spanish: Noun". orbilat.com. Retrieved ٩ November ٢٠١٦.
4- Bernard Spolsky, Elana Goldberg Shohamy, The Languages of Israel: Policy, Ideology, and Practice, Multilingual Matters, ١٩٩٩.
5- Crews. Cynthia, Some Arabic and Hebrew words in Oriental Judæo-Spanish, Zeitschrift: Vox Romanica, Band: ١٤ (١٩٥٥).
6- Díaz-Mas P, Sephardim: the Jews from Spain, The University of Chicago Press, LTD, London, ١٩٩٢.
7- Judeo-Spanish or Ladino, Touro :Jakub de Chyży, Sephardim and their language Akademia Humanistyczna im. A. Gieysztora ,University College, Freie Universitat ٢٠١٩. (doktorant), JĘZYKOZNAWSTWO nr ١ (١٣)/
8- Jones, Sam. "Spain honours Ladino language of Jewish exiles". The Guardian. (١ August ٢٠١٧)
9- Katja Šmid, LADINO RABBINIC WORKS PUBLISHED IN BELGRADE: A RICH JEWISH PAST ON ITS WAY TO OBLIVION, BALKANIA (٦/٢٠١٥).
10- Koen, Hajim Mordehaj. ЛЕКУТЕ ТЕФИЛОТ (ОРАСЈОНИС ЕСКУЖИДАС) (in Ladino), Belgrade, (١٩٢٧).
11- Lewis Glinert, The Story of Hebrew, Princeton University Press, ٢٠١٨.
12- Peim, Benjamin (١٦ April ٢٠٠٩). "Ladino Lingers on in Brooklyn – Barely". The Jerusalem Post. Retrieved ١٢ August ٢٠١٧.
13- Quintana, Aldina. Geografía lingüística del judeoespañol. Estudio sincrónico y (January ٢٠٠٦).,diacrónico

الانترنت

1- https://batyam.mynet.co.il/food_leisure/article/rkH8m6AwO פיני לוי: 06.05.21,
2- https://www.haaretz.co.il/ הארץ, 31.12.99
3- (https://www.maariv.co.il/שמעיה אנג'ל, מעריב, 16.7.04) שי גולדן, מעריב), 18.7.2004)
4- https://13tv.co.il/writer/tentv_writer_1570024541/ נענע 10- 2011
5- דורה, "פורום פוריות חברתי - תמיכה". זאפ רופאים, 10/07/2010

دَوْرُ الذَّكَاءِ الْاصْطِنَاعِيِّ فِي تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا

د. يسرى علي زريقة و د. فائق نعمة هنيدي

قسم اللغة العربية، كلية مزايا الجامعة، الناصرية، العراق

الملخص

إنّ مشكلة تعليم اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها، مضى عليها زمن، بيد أنها لاتزال تحتاج إلى طرائق تربويّة حديثة تشجّع المتعلّمين أو الدّارسين على الإقبال لتعلمها بطريقة جذّابة وشائقة؛ وهذا ما يفرضه واقعُ العصر الحديث بسبب التغيّرات الضّروريّة المتلاحقة في العالم باستعمال تقنية التكنولوجيا في مختلف مجالات الحياة بما في ذلك التّعليم، وهذا يستوجبُ منّا التّكيّف مع تحديات الواقع ، وتطوّر العلوم، والعولمة، والاستفادة منها في تعليم لغتنا العربية للأجانب من الأمم الأخرى. إنما يهدف إليه هذا البحث هو تقديم تصوّرات وتوصيات وتطبيقات كي نطوّر أساليب تدريس اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها باستخدام تقنيات الذّكاء الاصطناعي من خلال الإجابة عن السّؤال الأساسي كيف يُمْكِنُ لِلذَّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِيِّ أَنْ يُسَاهِمَ بِفَاعِلِيَّةٍ فِي تَطْوِيرِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا ؟ وخطّة البحث تستدعي منّا تناول مشكلة تطوّر تعليم اللّغة العربيّة لغير الناطقين بها، كونها لغة تدرّسُ في المدارس، و المعاهد، والجامعات الخاصة، وكذلك في الحكومية، مع بيان مفهوم التعليم الاصطناعي وأهميته، والمشكلات والتحديات التي تواجه استعمال هذه التقنية في تعليم اللّغة، التي أبرزها حاجتنا إلى بنية رقميّة فعّالة، وعدم وجود الكفاءة في استخدام التقنيات الرقميّة ، واللامبالاة، والتهميش للغة العربيّة عامّة، وكذلك أهميّة تطوير المحتوى التّعليمي في المناهج الدّراسيّة، وضعف العناية بتطبيق طرائق تربوية حديثة في تعليم اللغة، ثم استعراض بعض الأساليب المهمة المستخدمة في تطوّر تعليم اللغة العربيّة، والتقنيات، والبرامج في هذا المجال وفي الأخير الخاتمة والتّوصيات.

الكلمات المفتاحيّة: الذكاء الاصطناعي، الغير الناطقين، اللغة العربية.

مقدمة

يتطلبُ النهوضُ بتدريس اللّغة العربيّة وتطويرها لغير الناطقينَ بها، استخدام طرائق تعليميّة مُتنوّعة ومُتقدّمة خاصّة إلى الأجانب؛ لأنّ هناك قصورًا كبيرًا في وضع الاستراتيجية الصّحيحة لهذه الأساليب؛ فنحنُ في حاجة إلى مناهج، وبرامج ومُوضوعات مُميّزة لتعليم العربيّة لغير النّاطقينَ بها.

لقد أدّى التقدّم العلميّ والتكنولوجي في عصر العولمة إلى تطوّر مجالات استعمال وسائطه المتقدّمة في مجالات حياتنا كافّة، وسيطرت تلك الوسائلُ على التّعليم والتّدريس فتم استخدام الحاسوب، وبرامجه، والمختبرات اللّغويّة، والشّرح المرئي والصّوتي، والتّمارين التفاعليّة، والشّبكة المعلوماتيّة العالميّة(الإنترنت)، وسواها. والسّؤال الذي يطرح نفسه. هل ستساعد هذه الوسائلُ مُعلّم اللّغة العربيّة في تعليم العربيّة لغير النّاطقينَ بها ؟

والجواب : طبعًا ستساعده، وتحسّن من جودة أدائه؛ لأنّ توظيف الذكاء الاصطناعيّ في تعليم اللّغة العربيّة يمثل تطوّراً مهمّاً في مجال التّعليم والتّعلم؛ حيث يوفر أدوات وتقنيات مبتكرة؛ لتحسين وتسهيل عمليّة تعلّم اللّغات؛ لأنّها تتيح فرصاً جديدة لتخصيص التعليم، وتعزيز تفاعل الطّلبة مع المادّة التّعليميّة، ويتيح مرونة كبيرة تسمح للمعلّمين بالتواصل مع طلّاب حول العالم بثقافات متعددة، بالإضافة إلى أنّ التّعلّم بهذه التقنيّة تناسب أوقات الطلاب ؛ فهم غير مضطرينَ لمغادرة منازلهم، وتعريض أنفسهم إلى زحمة الطريق ومخاطرها؛ لهذه الأسباب كلّها وغيرها وددتُ تناول هذا المحور؛ لبيان طرائق تطوّر تعليم اللّغة العربيّة لغير النّاطقينَ بها.

أوّلاً: مَفْهُومُ الذَّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِيّ(١) فِي التَّعْلِيمِ

يُشيرُ هذا المصطلحُ في التّعليم إلى استعمال أجهزة الحاسوب التي تعمل بهذه التقنيّة، و تحاكي الإدراك الإنسانيّ، واتخاذ القرارات لإكمال مهمّة في الفصول الدّراسيّة، من أجل إدارة العمليّة التّعليميّة في الفصل والدّورات التّدريبيّة. ويُعد ميدان التّعليم من أبرز الميادينَ التي تستعينُ بتقنيّة الذكاء الاصطناعي منذ سنوات، بهدف تحسين تعلّم الطلبة؛ إذ تساعدُ الأدواتُ والتقنياتُ التي تعمل بهذا النّظام على تعزيز تجربة التعلّم للطلاب بطرائق لم يكن يعتقدُ أنّها يمكن توظيفها في المواقف التّعليميّة.

ثانيًا : أَهَمِّيَّةُ الذَّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِيِّ وَدَوْرُهُ فِي مَجَالِ التَّعْلِيمِ (٢)

بعد دمج الذكاء الاصطناعي في حقل التّعليم بشكلٍ كبيرٍ في الموقف التّعليمي أدّى ذلك الدمج إلى تحوّل نماذج التدريس والتّعلّم التّقليديّة بطرائق غير مسبوقة، ويمتدُّ دوره في التّعليم من المهام الإداريّة مثل: تسجيل الحضور، والغياب، والدّرجات إلى تقديم تجارب تعلّم شخصيّة، مما يسمح للمعلمينَ بالتركيز أكثر على تسهيل عمليّة التّعلّم، و لديه القدرة على توفير مجموعةٍ واسعةٍ من الفوائد للتعليم؛ واحدة من أهمّها هي القدرة على تخصيص تجربة التعلّم لكلّ طالب ؛ حيث يمكن للمعلمينَ تحليل بيانات أداء الطلبة وتفضيلاتهم لإعداد خطط دروس وتقييمات مُخصصة تتوافق مع نقاط القوّة والضّعف لكلّ طالب، واقتراح الدّورات التدريبيّة المناسبة لتحسين أدائه.

وأيضًا من خلال الأدواتِ والتقنياتِ التي تعملُ بالذكاء الاصطناعي يمكن تعزيز تجربة التعلم للطلّاب بعدّة أساليب، على سبيل المثال يمكنُ للواقع الافتراضي والمعزّز أنْ يجعلَ التعلّم أكثر تفاعليةً وإثارةً ، بينما يمكنُ أن توفر روبوتات الدّردشة وغيرها من الأدوات التي تعملُ بهذه الأنظمة القائمة على الذكاء الاصطناعي دعم الطلّاب، وتحديد الاتجاهات والأنماط في سلوكيات تعلّمها عبر تحليلها بشكل كامل، مما يزود المعلّمينَ برؤى قابلة للتنفيذ لتحسين استراتيجيات التدريس، وتحقيق نتائج التعلّم، وتعزيز السّلوكيات المرغوبة بالمكافآت، ونبذ السّلوكيات غير المرغوبة عن طريق العقاب، وكذلك يمكن استخدامُه لإنشاء اختبارات، وألعاب مخصصة تساعدُ الطلّاب على التفاعل مع المواد بطريقة ممتعة وتفاعلية

علاوة على ذلك، يُسهّلُ الذكاء الاصطناعي إمكانية الوصول، ويجعلُ التعليم أكثر شمولاً للطلّاب ذوي الإعاقة من خلال التقنيّات المساعدة التي تناسب تجارب التعلّم لاحتياجاتهم الفرديّة؛ وخصوصًا ذوي الاحتياجات الخاصّة.

ثَالثًا: دَوْرُ الذَّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِيِّ فِي تَطْوِيرِ طَرَائِقِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا

في السّنوات الأخيرة من القرن الحادي والعشرينَ، هناك اتجاه مُتزايد في التعليم لدمج التقنيات والممارسات الحديثة من أجل تحسين التجربة التّعليميّة الشاملة؛ إذ تُعدّ أنظمة إدارة التعلّم ، والتعلّم بمساعدة الفيديو ، والواقع الافتراضي والمعزز؛ لذلك يؤكّد الكثير من الباحثينَ والدّارسينَ أنّ الذكاء الاصطناعي، والتعلّم الآلي يُمكنهما رفْع مستوى التعليم؛ حيث تغيّر طرائق تعلّم الطلبة وتعليمهم باستمرار؛ حيث نرى أثر هذه التقنيّة من خلال الإشارة إلى هذه الخصائص:

١- تُوفر تطبيقاتُ الذّكاء الاصطناعي للطلّاب الوصول العالمي إلى التعلّم على مدار السّاعة، وطوال أيّام الأسبوع، و يمكن لأيّ طالب أنْ يتعلّم كلّ شيءٍ وفقًا لسرعته، وقدرته الخاصّة؛ وذلك دون الرجوع إلى المعلّم، كما يُمكن للمتعلمينّ من جميع أنحاء العالم الوصول إلى تعليم عالي الجودة من دون تحمّل نفقات السّفر والمعيشة.

٢- يُمكن لمدرّسي الذكاء الاصطناعي وروبوتات الدّردشة القيام بعمل متميّز وخلّاق في مساعدة الطلاب على التعامل مع مختلف جوانب التّعلّم خارج الفصل الدّراسي، وعلى الرّغم من الحاجة المستمرة للمعلّمينَ، إلاّ أنّه يُمكن لأدوات الذّكاء وتقنيّاته مساعدة الطلّاب في العمل على معالجة نقاط ضعفهم.

٣- إتاحة خيارات متنوّعة للطلّاب؛ إذ يحتاج الكثير منهم إلى مُساعدة إضافية خارج الفصل، سواء كان ذلك في حل الواجبات المنزليّة، أو التحضير للاختبار، فقد يكون من الصّعب الحصول على مدرّسين لديهم وقت فراغ كافٍ؛ لتلبية هذه الاحتياجات، وهذا ما توفره تطبيقات الذكاء الاصطناعي للطلّاب؛ أي أنّه يتمّ تقديم المساعدة للطالب بحسب حاجته الخاصّة.

٤- توفر التطبيقات المستندة إلى الذكاء الاصطناعي المرونة في وقت الدّراسة، وتوفير فرصة الدّراسة للمتعلّمينَ في الأوقات التي تناسبُهم، كما يُمكنهم الحصول على تعليقات من المعلّمينَ في أوقات الدّراسة النظاميّة.

٥- يُمكن للتطبيقات التي تعمل بالذكاء الاصطناعي تحليل تاريخ التعلّم السّابق للطلّاب، وتحديد الجوانب الضّعيفة، وتقديم الدّورات بناءً على هذه المعلومات.

٦- يوفر الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته خياراتٍ متنوعةً تبعًا لاحتياجات الطالب؛ إذ يُمكن أنْ تتكيّف الحلول القائمة على هذه التقنيّة؛ لتمكين مساعدة الطلّاب من جوانب ضعفهم، وتقديم مَواد تعليميّة بناءً على نقاط ضعفهم(٣)، كأن يقوم الطالبُ بإجراء الاختبار قبل البدء في استخدام التطبيق؛ فيقوم التطبيق بتحليلها وتقديم المهام والدّورات المناسبة له.

٧- يُوفر الذكاء الاصطناعي فرصًا للطلّاب الذين يتحدّثون لغاتٍ مختلفةً أو يعانون من مشكلات بصريّة أو سمعيّة، على سبيل المثال ؛ حيث يُعدّ تطبيق Presentation Translator حلاً مستندًا إلى الذكاء الاصطناعي الذي يقوم بإنشاء ترجماتٍ فوريّة، وبالتالي يُمكّن الطلّاب من الاستماع، أو القراءة بلغتهم الأم.

٨- توفر المنصات القائمة على الذكاء الاصطناعي مرشدينَ افتراضيين؛ لتتبع تقدّم الطلّاب، وعلى الرّغم من أنّ المعلّمينَ البشر فقط يُمكنهم فهم احتياجات طلّابهم بشكل أفضل، إلاّ أنّه من الجيّد الحصول على تعليقاتٍ فوريّةٍ من المعلّم الافتراضي.

٩- حصول الطلّاب على إجاباتٍ سريعةٍ هي أحد أهم الامتيازات التي تمنحها التطبيقاتُ المستندة إلى الذكاءّ على الإطلاق، فليس هناك ما هو أكثر إحباطًا من حصول الطّالب على إجابة سؤاله بعد ثلاثة أيّام، كما يُمكن أنْ يساعد الذكاء الطلّاب في العثور على إجابات لأسئلة الطلّاب الأكثر شيوعًا في ثوانٍ من خلال دعم التشغيل الآلي، وذكاء المحادثة.

١٠- مثلما يُمكن للذكاء الاصطناعيّ تخصيص الدّورات التّعليميّة للطلّاب، يُمكن فِعْل الشّيء نفسه للمعلّمينَ من خلال تحليل قدرات الطلّاب وتاريخ تعلّمهم، كما يُمكّن الذكاء الاصطناعي المعلّمينَ من أخذ صورة واضحة عن المواد والدّروس التي يجب إعادة تقييمها.

١١- يُشار إلى أنّ هذا التحليل يُمكّن للمعلمينَ إنشاء أفضل برنامج تعليمي لجميع الطلّاب من خلال تحليل الاحتياجات المحددة لكلّ طالب، فيُمكن للمدرّسين والأساتذة تعديل دوراتهم لمعالجة الفجوات المعرفيّة الأكثر شيوعًا أو مجالات التحدّي قَبل أنْ يتخلّف الطالب كثيرًا عن أقرانه وأترابه.

رَابعًا: طَرَائِقُ فَعَالَةٌ لِتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا(٤)

تحديد هدف التّعلّم : من المهم جدًا معرفة ما يتطلّع المتعلمّ للوصول إليه بمجرد انتهاء الدّورة التدريبيّة؛ حيث يتعلّم الاشخاص العربيّة لأسباب مُختلفة، إذًا يجب تحديد الهدف من تعلّمها أوّلًا، والحرصُ على ألّا يتم دراسة أيّ شيء ليس له

علاقة بالهدف الأساس، فعلى سبيل المثال، إذا كان المتعلّم من غير الناطقينَ باللّغة العربيّة يُريد أن يتعلّمها للتحدّث مع شريكه في السّكن الذي يتحدّث اللّغة العربيّة كلغته الأم، فمن الأفضل والأجدى هو التركيز على مهارات اللّغة المنطوقة كتكوين الجمل، ونطق الحروف بشكل صحيح، واستخدام المفردات الشّائعة في سياقها، وتطوير مهارة الاستماع لفهم ما قد يقوله الشّخصُ العربيُّ في المحادثة. و إذا كان المتعلّم يُريد تعلّم اللّغة العربيّة؛ لتكون لغته الثانية، فينبغي الحرصُ على وضع خطة تعليميّة مناسبة لمستواه، وتمكّنه من تعلّم فروع اللّغة من الأسهل إلى الأكثر تعقيدًا. فإذًا تحديد الهدف من البداية، من أهم الخطوات في ذلك.

١- **الاهتمام بفعاليات التّعلّم**: قد تكون فعاليات التعلّم عبارة عن فعالية سؤال وجواب، أو ألعاب تعليميّة، او أحاجٍ يمكن حلّها في غرفة الفصل. هذه الفعالياتُ تحوّل تجربة التعلمّ التي قد تكون مُعقدة أحيانًا إلى تجربة أكثر متعة واستفادة؛ حيثُ تعمل هذه النشاطاتُ والفعالياتُ على تحفيز مخ الطّالب للانتباه إلى المعلومات التي تقدّم إليه من خلالها، ونتيجة لذلك، يتعلّم بشكل أفضل وأسرع، ومنْ ضمن هذه النّشاطات التي تساعد في التعلّم بشكل أحسن:

-قراءة وإلقاء نصوص عربيّة بسيطة.

-الاستماع إلى بودكاست (منشور) تفاعلي.

-إجراء مُحادثة بالعربيّة مع طلّاب الفصل من دون استخدام أيّة لغة أخرى.

-تمكين الطّالب من تسجيل صوته؛ وهو يقرأ نصًا ثمّ الاستماع له، وتدوين الملاحظات.

-التّواصل مع ناطقين باللّغة العربيّة.

-قراءة قصص عربيّة وتلخيصها بلغة سليمة.

-مشاهدة فيلم عربيّ مع مُراعاة وجود ترجمة.

٢- **تجنب التعقيد والغموض**: اللّغة العربيّة ليست من اللّغات السّهلة التي قد يتعلّمها أيُّ شخص؛ لذلك، على المعلمّ تجنب التعقيد عندما يبدأ في تعليم الطلّاب اللّغة العربيّة لغة ثانية؛ فيبدأ بالنصوص التي تتميّز ببنية الجملة الأساسيّة، وترتيب الكلمات وأزمنة الأفعال، والحرص على استخدام مفردات بسيطة، ولا يتقدم إلى قواعد نحوية أكثر تعقيدًا حتّى يتأكّد من فهم الطلّاب للأساسيّات، وأن يخلق مساحة آمنة لطلابه كي يشعروا بالارتياح، وإعادة درس ما، أو قاعدة معيّنة لم يفهمها الطلّاب بشكل جيّد، فهذا أفضل من التقدّم بسرعة من دون التأكّد من فهمهم التام لما تمّ شرحه من قبل.

٣-الابتعاد عن الحصص الطويلة : يُواجه غيرُ النّاطقينَ بالعربيّة عدّة صعوبات ومشكلات في تعلّمهم للغة، فطول مدّة الحصص لن يفيد في تخطي هذه الصّعوبات؛ لذا على المعلم تبني طريقة تدريس بسيطة، ويمكنه تقديم تجربة تدريس أفضل من خلال حصص قصيرة، وبسيطة تتضمن الكثير من النّشاطات والفعاليات والتدريبات بدلًا من الطرائق التقليديّة.

٤- استخدام الصّور والوسائل البصريّة: في الأوقات التي يتعيّن فيها على المعلّم إلقاء حصة أو محاضرة طويلة اونلاين ، عليه استخدام الوسائل البصريّة المرئية؛ لتحسين فهم طلابه؛ فهو يحتاج فقط لتجهيز هذه الوسائل قبل بداية الدرس واستخدامها بكل سهولة أثنائه، من خلال الحرص على وضع الخطوط العريضة لما سيقوله ليراه الطلاب أثناء الدرس، كما أن استخدام الصّور ومقاطع الفيديو والرسوم البيانيّة التي تساعدهم على تصور ما يتحدث عنه ستساعدهم أيضًا في تحسين فهمهم واستيعابهم بكل سهولة؛ لأن المتحدثين غير الناطقينَ بالعربيّة ليس لديهم النقاط المرجعية نفسها، مثل المتحدّثين الأصليين. كلما زاد عدد الصّور والرّسوم البيانيّة وعروض شرائح PowerPoint ومقاطع الفيديو التي يمكنك استخدامها لربط المفاهيم بالكلمات، كان أداء الطلاب أفضل.

٥-ضرورة إعطاء أكبر فرصة لممارسة اللّغة سواء أكانت هذه الممارسة شفهيّة أم مكتوبة، فمن المهم والجيّد أن يستخدم الطّلاب اللّغة العربيّة بشكل فعّال في حياتهم اليوميّة عن طريق ممارستها بشكل مستمر، فعلى المعلّم تشجيع طلابه على التواصل معه بالعربيّة، وإيجاد طلّاب آخرين في المستوى نفسه؛ لممارسة مهارات اللغة في محادثاتهم ورسائلهم.

خَامسًا: أَهمُ تَطْبِيقَات الذَّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِيِّ فِي تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (٥)

تُعدّ هذه التطبيقاتُ والبرامجُ تمثل قناة حديثة تربط بين التّراث اللغويّ القديم وتكنولوجيا المستقبل؛ إذ تقدّم تجربة تعلّم مُثيرة ومُمتعة، تجمعُ بين جمال الّلغة العربيّة، وقوّة الذكاء الاصطناعي، مما يساهم في تعزيز مهارات المتعلّمين، وتعميق فهمهم للثقافة والتواصل العربيّ. ويمكن ذلك من خلال الآتي:

١- **برامج تعليم الّلغة العربيّة عبر الإنترنت**؛ إذ توفر هذه البرامج بيئة تعليميّة تفاعلية تسمح للطلّاب بتعلم الّلغة العربيّة في أي وقت ومن أي مكان، وستقدم محتوى تعليميًا غنيًا ومتنوعًا، مثل: الدروس والاختبارات والألعاب التعليميّة،

٢- **تطبيقات الهاتف المحمول لتعلم الّلغة العربيّة**: تقدّم هذه التطبيقات تجارب تعليمية تفاعلية وجذابة للطلاب، تساعد الطلاب على تعلم الّلغة العربيّة في أيّ وقت ومن أيّ مكان، وهذه بعض الأمثلة على هذه التطبيقات تطبيق رحلة، تطبيق: Duolingo، Rosetta Stone.

٣- **ألعاب الفيديو لتعلم الّلغة العربيّة**: تساعد هذه الألعاب الطلاب على تعلّم الّلغة العربيّة بشكلٍ ممتعٍ وسهلٍ؛ إذ تعزز هذه الألعاب مهارات القراءة والكتابة والتحدّث لدى الطّلاب؛ وهذه بعض الأمثلة على هذه الألعاب: لعبة ألف باء، لعبة رحلة المعرفة، لعبة تحدي الّلغة العربيّة.

٤- **أنظمة التعرّف على النّطق**: تساعد هذه الأنظمة الطلّاب على نطق الّلغة العربيّة بشكلٍ صحيحٍ؛ حيث تقدم هذه ملاحظاتٍ فوريةٍ للطلاب على نطقهم. بعض الأمثلة على هذه الأنظمة: نظام Google Translate ، نظام Siri نظامAlexa .

٥- **أنظمة التّرجمة الآلية**: تساعد هذه الأنظمة الطّلّاب على فهم النّصوص العربيّة بشكلٍ أفضلٍ؛ إذ تقدمّ هذه ترجماتٍ دقيقةٍ للنصوص العربيّة إلى لغاتٍ أخرى. بعض الأمثلة على هذه الأنظمة: نظام Google Translate ،نظام Deeply ، نظام Microsoft Translator.

٦- **برامج التّدقيق اللّغويّ**: تساعد هذه البرامج الطّلّاب على كتابة الّلغة العربيّة بشكلٍ صحيحٍ؛ إذ تقدّم هذه ملاحظاتٍ فوريةٍ للطلّاب على أخطائهم الّلغويّة. بعض الأمثلة على هذه البرامج: برنامج Grammarly، برنامج Language Tool ، برنامجGinger

٧- **برامج تصحيح الأخطاء النّحويّة والإملائية**: تُساعد هذه البرامج الطلّاب على تصحيح أخطائهم النحويّة والإملائيّة؛ حيث تُقدم هذه شرحًا لقواعد اللغة العربيّة بشكلٍ مبسطٍ. بعض الأمثلة عليها: برنامج Microsoft Word برنامج Google Docs برنامج Grammarly.

٨-**برامج توليد النّصوص**: تُساعد هذه البرامج الطلاب على كتابة النصوص العربيّة بشكلٍ أسرعٍ وأسهلٍ؛ إذ تُقدم هذه اقتراحاتٍ للكلمات والعبارات العربيّة، وهذه بعض الأمثلة عليها : برنامج Gemini، برنامج ChatGPT-٣ برنامج Jasper AI.

٩- **برامج تلخيص النّصوص**: تُساعد هذه البرامج الطّلّاب على فهم النصوص العربيّة بشكلٍ أفضلٍ، تُقدم هذه ملخصًا دقيقًا للنصوص العربية، وهذه بعض الأمثلة عليها برنامج Summarizer ، برنامج TLDR.

١٠- **برامج الكتابة الإبداعيّة**: مع هذه البرامج، يمكن للطّلّاب أنْ يطلقوا العنان لخيالهم، ويبدعوا بمحتوى يتحدث بلغة الروح والإبداع؛ حيث تساهم هذه البرامج في تنمية قدرات الطلاب على صياغة الجمل بأسلوب متقن واستخدام العبارات العربيّة بطريقة جذابة وملهمة، وهذه بعض الأمثلة: Gemini ''و ''ChatGPT-٣''و.''Jasper AI''

١١- **برامج تحسين مهارات التحدّث**: إنّ القدرة على التحدّث بثقة ووضوح لغوي هي مهارة أساسيّة يجب أن يكتسبها الطلاب في تعلم اللغة العربية؛ حيث تقدم برامج تحسين مهارات التحدث تمارين فعّالة وتفاعلية تساعد الطلاب على تطوير نطقهم وتحسين قدرتهم على التعبير بسلاسة ودقة، وهي أدوات تمنح الطلاب الفرصة للتحدّث بثقة واستمتاع بتبادل الأفكار والآراء باللّغة العربيّة: ''italki "و ''Preply''و ''Verbling''

١٢-**برامج المُحادثة التفاعليّة**: لا شيء يضاهي تعلم اللّغة مع متحدّثين أصليين، وهذا ما توفره لنا برامج المحادثة التفاعلية؛ فهي تجعل تعلم اللّغة تجربة مليئة بالمرح والتفاعل، حيث يمكن للطّلّاب التواصل مع أشخاص يتحدّثون اللّغة العربيّة بطلاقة ويشاركونهم الحياة اليومية والثقافة، وأشهرها:''HelloTalk و ''Tandem''و ''Bilingo''.

سادسًا: التَّحَدِّيَاتُ فِي اسْتِخْدَامِ الذَّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِيِّ فِي تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (٦)

رغم الكثير من الفوائد لاستخدام الذكاء الاصطناعيّ في التعليم التي ذكرناها، إلاّ أنّ هناك تحدياتٍ تواجه استخدامه في تعليم اللّغة العربيّة لغير الناطقين، مثل: الحاجة إلى بنية تحتية رقميّة قويّة، والتكلفة المالية؛ إذ تعد من التّحديات الرئيسية التي تواجه استخدام التكنولوجيا في التعليم، فاستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي مكلفة جدّاً، وقلّة الكفاءات، إذ يحتاج الطاقم التعليمي والمطوّرين إلى مهارات متقدّمة لاستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي بشكل فعّال، مما يتطلب استثمارات إضافية في التدريب والتطوير، ومدى ضمان وصول جميع الطّلّاب إلى الأدوات والمنصات التي تعمل بنظام الذكاء الاصطناعي ، بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي أو موقعهم. بالإضافة إلى وجود مخاوف بشأن شعور كثير من المعلّمين بالقلق من أنّ الأدواتِ والتقنياتِ التي تعمل بنظام الذكاء الاصطناعي قد تحل محل التفاعل البشري وتؤثر على جودة التّدريس في الفصول الدّراسيّة.

سابعًا: النَّتَائِجُ وَالتَّوْصِيَاتُ :نَخْلُصُ مِمَّا تَقَدّم إِلَى النَّتَائِجِ وَالتَّوْصِيَاتِ الْآتِيَةِ:

١- إنّ الذكاء الاصطناعي يُعدّ أداةً قويةً يمكنها تحسين تعليم اللّغة العربيّة بشكلٍ كبيرٍ؛ لذلك، فإنّ على جميع الأطراف المعنيّة، من مؤسساتٍ تعليميةٍ، ومعلّمين، ومطورين، العمل معًا للاستفادة من هذه التكنولوجيا بشكلٍ فعّالٍ لتحسين تعليم اللّغة العربيّة ونشرها بين الأجيال القادمة.

٢- بفضل الذكاء الاصطناعي، يمكن للطلاب الاستمرار في تعلم اللّغة العربيّة على مدار السّاعة وفي أيّ مكان، من خلال الوصول إلى مصادر تعليميّة متنوّعة ومتاحة بسهولة.

٣- الأدوات التكنولوجية تجعل التعلم أكثر تفاعلاً وإثارة، حيث يمكن استخدام الألعاب والتطبيقات التفاعلية لتشجيع الطّلّاب على المشاركة وتعزيز تجربتهم التّعليميّة.

ومن أهم **التوصيات** التي أدعو لها في ختام الورقة الآتي :

١- إعادة النظر في إعداد مُعلّم الّلغة العربيّة للناطقين بغيرها تخصصيًا بكفاءة عالية، ومراجعة برامج استعمال الحاسوب، والشّبكة المعلوماتية، وتبصيره بفنيات التدريس الحديثة وإدارة غرف مصادر التعلم.

٢- إعداد مناهج تعليميّة خاصّة بلغتنا العربيّة لتعليمها لغير النّاطقين بها مرتبطة بالبرامج الحاسوبية، والشّبكات المعلوماتية العالمية.

٣-أصبح تحديد الكفايات اللازمة لمعلّم اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها ضرورة تستدعي تضافر جهود المختصين بتأهيل وإعداد المعلّم مهنيا وثقافيًا.

الهوامش

(١) يرتبط مفهوم الذكاء الاصطناعي بالإنجليزية (Artificial Intelligence) بالذكاء المرتبط بالأجهزة الرقمية أو الإلكترونية، مثل: الكمبيوتر، الأجهزة الخلوية أو الروبوتات، ويعبّر عن قدرة هذه الأجهزة الرقمية على أداء المهمات المرتبطة بالكائنات الذكية، كما ينطبق هذا المصطلح على الأنظمة التي تتمتع بالعمليات الفكرية للإنسان مثل: القدرة على التفكير، واكتشاف المعنى، والتعلم من التجارب السابقة، وغيرها من السماتٍ المرتبطةً بالعقل البشري مثل: التعلم، وحل المشكلات. انظر للتوسّع : موقع النجاح نت [موقع بالإنترنت]،عنوان المقال: الذكاء الاصطناعي: تعريفه، وأهميته، وأنواعه، وأهم تطبيقاته(الرابط : https://ila.io/٣a٤٩rf)

(٢) راجع للاستزادة: الذكاء الاصطناعي في التعليم وأهميته في تطوير مُخرجات التعلّم، منصة كوركت الإلكترونية (مقال) بتاريخ١٠/٣/٢٠٢٢- بتصرّف -

(٣) متخصصون تربويون: الذكاء الاصطناعي يحدث طفرة في تعليم الّلغة العربيّة بالمدارس"، مجلة البيان الإماراتيّة، تاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠٢٣[لقاء صحفي]_ -بتصرف-

(٤) انظر للتوسّع : أساليب وطرق تدريس الّلغة العربيّة وإعداد دروسها اليومية ، فؤاد حسن أبو الهيجا ، الطبعة ٣ ، الأردن (عمّان) دار المناهج للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ.

(٥) يوسف أمين ، تعلم الذكاء الاصطناعي واستخداماته(مقال) بتاريخ ١٤/٢/ ٢٠٢٤[شبكة الانترنت]- بتصرّف-

(٦) انظر: وسام شاهين، الذكاء الاصطناعي واللغة العربيّة أهم التحديات وتقنيات معالجتها، [مقالة] بتاريخ ١٨/١٢/٢٠٢٠ (شبكة الانترنت) -بتصرّف-

المصادر والمراجع

الكتب

- فؤاد حسن أبو الهيجا, أساليب وطرق تدريس الّلغة العربيّة وإعداد دروسها اليومية، ، الطبعة ٣ ، الأردن (عمّان) دار المناهج للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ

- عباس محجوب , مشكلات تعليم الّلغة العربيّة : حلول نظرية وتطبيقية، ، الطبعة الأولى، قطر : دار الثقافة ، ١٩٨٥/ ١٤٠٦

المجلات

-متخصصون تربويون: الذكاء الاصطناعي يحدث طفرة في تعليم الّلغة العربيّة بالمدارس"، مجلة البيان الإماراتية، تاريخ ١٢ نوفمبر ٢٠٢٣ [لقاء صحفي]

مواقع النت

- الذكاء الاصطناعي في التّعليم وأهميته في تطوير مخرجات التعلم، منصة كوركت الإلكترونية (مقال) بتاريخ١٠/٣/٢٠٢٢- [شبكة الانترنت]

- موقع النجاح نت [موقع بالإنترنت]،عنوان المقال: الذكاء الاصطناعي: تعريفه، وأهميته، وأنواعه، وأهم تطبيقاته(الرابط : https://ila.io/٣a٤٩rf)

- وسام شاهين، الذكاء الاصطناعي والّلغة العربيّة أهم التّحديات وتقنيات معالجتها، [مقالة] بتاريخ ١٨/١٢/٢٠٢٠ (شبكة الإنترنت)

- يوسف أمين، تعلّم الذكاء الاصطناعي واستخداماته(مقال) بتاريخ ١٤/٢/ ٢٠٢٤[شبكة الإنترنت]

السريالية والأزمة الإنسانيَّة: الشعر في مواجهة الحرب

كريم نعيم كطان صياد و وسام محمد خضير جواد

مركز التعليم المستمر، الجامعة المستنصرية، العراق

الملخص

ظهرت الحركة السريالية كرد فعلٍ على الواقع المرير الذي خلفته الحروب والنزاعات العبثيّة، بدءاً من الحرب العالمية الأولى ومروراً بالثانية وما بينهما من فترة مرّت عصيبة على العالم وجعلته منهاراً ومفككاً، فقد قُتل وهجّر وفقد العشرات من الملايين، وترك هذا كلّهُ واقعاً مأزوماً على الصعد الاقتصادية والاجتماعية والإنسانيَّة. والإنسان عادةً إذا واجه واقعاً مأزوماً وعنيفاً وفوق مستوى تحمله فلا شكّ أنه سيحاول أن يعبّرَ عنه بطريقة ما، وتختلف هذه الطرق بين شخص وآخر، كلّ حسب إدراكه ومستوى فهمه، لذلك نرى الفنان والأديب يفرغ ما بداخله ويتخذ موقفاً من خلال ما يملكه من أدوات فنيّة، فهو يحارب العالم أجمع من خلال القصيدة والصورة واللوحة، ويرفض بشكلٍ واضح العبث بمصير الشعوب وحاضرها ومستقبلها. لذلك برزت في تلك الفترة حركات ثقافية أعضاؤها من الفنانين والأدباء الذين رفضوا كلّ أشكال الحرب وعبروا عن أفكارهم بهذا الشأن بصورة لا تقبل الشك أو التأويل، ومثال ذلك الحركة الدادائيّة، والسريالية، التي تعدّ من الحركات البارزة والمؤثرة في كلّ ما له علاقة بالفنّ آنذاك، سواء كان ذلك أدباً أو شعراً أو رسماً، وحتى فيما يتعلق بالفنّ الفوتغرافي ونظريات الفن والمسرح. إنّ الحركة السريالية ومنذ ظهورها في فرنسا وحتى اليوم ظلّتَ حركةً تستقطب الكثير من الشعراء والأدباء لأنهم وجدوا فيها الملاذ الذي يعبر عن رؤيتهم اتجاه الفنّ والأدب والحياة، فلا شك أن أصدق تعبير إنسانيّ عن الذات والمجتمع، هو الأدب والفنّ، وكلّ المحن التي مرّ الإنسان قديماً وحديثاً كان الأدب والفن أصدق الأشكال في التعبير الإنساني عنها وعن الأفكار والهواجس التي تمسّه بأكثر الطرق تأثيراً وفعالية، بما يمتلكه الأدب والفنّ من سلطة على الإنسان وتأثير عميق، وسنتعرف في هذا البحث عن ماهية الحركة السريالية وتأثيراتها وظروف نشأتها، وإبراز دور الشعر في الوقوف ضد الحرب ورفض عبثيتها وآثارها المدمرة على الإنسان والمجتمع ككل.

الكلمات المفتاحيّة: السريالية، الحرب، الشعر، إنسانية، أزمة.

المبحث الأول – السريالية– قراءة في المصطلح والمفهوم

تُعرّفُ الحركةُ السرياليّة بأنها اتجاه معاصر في الفن والأدب يذهب إلى ما فوق الواقع ويعول خاصة على إبراز الأحوال اللاشعورية (خياط، ١٩٧٤، صفحة ١٥)، وتعني الكلمة حرفيّاً " فوق الواقع "، وقد عرفها اندريه بريتون بأنها (آلية نفسانيّة خالصة تُعتمد إما كتابياً أو بأي طريقة أخرى، للتعبير عن الاشتغال الفعلي للتفكير في غياب كلّ رقابة يمارسها العقل، وخارج أي اشتغال جمالي أو أخلاقي) (بريتون، ٢٠٢٢، صفحة ٦)، فالحركة السريالية بعيدة تماماً عن أي اهتمام بالطرق والأساليب التقليدية التي تهتمُّ بشكلٍ كبير بمضمونها الأخلاقي أو رسالتها الأدبية وتحاول إظهاره جاهدة بطرق جمالية معينة متعارف عليها، فالأدب السريالي يقع بعيداً عن كلّ هذه الرقابات التي يرى السريالي أنّها ترف برجوازي ينبغي الوقوف ضدّه وتغييره تغييراً شاملاً وأكيداً.

إذ ترفض السريالية بشكل قاطع أي تحكم خارجي بل وأيّ رقابة يمارسها العقل تقع ضمن الاشتغال الجمالي أو الأخلاقي، وتركز على كلّ ما هو متناقض ولاشعوري وصولاً إلى ما فوق الواقع، فالسرياليّة بعيدةٌ تماماً عن القوالب التقليدية المتعارفة.

بدايات النشأة

لا يمكن أن نحيط بثورة أو حركة أو مذهب اجتماعي أو أدبي دون أن ننظر إلى الظروف المحيطة به، أو الأوضاع التي شكلته أو تشكل بها، فلا شكّ أنها أسهمت في نشوئه بشكل مباشر أو بطريقة ما، فإذا ما اطلعنا تاريخيًّاً على كلّ الأشكال التي مرّت نجد أن البيئة المحيطة كانت عاملاً فاعلاً ومسهماً مباشراً في ظهوره، فالصدمات التي يمرّ بها المجتمعُ سياسيةً أو اجتماعية أو اقتصاديّة تحدث هزّات عنيفة في داخل المجتمع، وتشكل منعطفاً كبيراً لا يشبه ما بعده قبله ، وتطفو بسبب ذلك إلى الواقع حركات ومذاهب وتضمحل أخرى وكلّ ذلك بسبب معطيات مختلفة .

وقد أدى بروز الفلسفة الفرويدية في تلك الفترة وانتشارها تزامناً مع ما مرّ على العالم أجمع من محنٍ إنسانية، فضلاً عن الواقع المؤلم والويلات التي خلفتها الحروب إلى اهتزاز القيم وتخلخلها والاستخفاف بالحياة بعد انتشار الفساد في كل مكان، وأعقب ذلك كلّه رغبات قوية للانحلال والبعد عن الأخلاق والميل إلى الاستمتاع باللذات، وسادت نزعات ورغبات لتحرير النفس البشرية وغرائزها وإشباعها دونما قيد وبحرية تامة دون أي أهمية لأي اعتبارات اجتماعية، لم تقتصر هذه النزعات على الحياة فقط، بل امتدت إلى الفن والأدب. (مندور، ١٩٧٠، صفحة ١٤٧)

ولا شكّ أنَّ أيّ إنسان بطبعه، إذا واجه واقعًا فوق مستوى تحمله، يتصف بالعنف والقسوة، فإنه يلجأ للتعبير عنه بمستويات مختلفة حسب إدراكه ومستوى فهمه، لذلك نرى الأديب أو الفنان يعبّرُ عن مواقفه بأدواته الفنية، ليحارب بذلك الواقع المأزوم بالقصيدة أو الصورة أو اللوحة، ويعلن رفضه العبث بمصائر الشعوب ومستقبلها.

وقد ظهرت العديد من الحركات الثقافية في تلك الفترة ، ضمّت فنانين وأدباء والأدباء قد رفضوا الحرب بشكل مطلق، مثل الدادائية، وتعدّ من الحركات المؤثرة جداً ، فالحرب العالمية لم يقتصر تأثيرها على بروز حركات فنية جديدة إلى السطح فقط، بل تسببت أيضًا وبشكل مباشر بتفكك عدة حركات فنية مثل حركة الفارس الأزرق، حيث تحول أعضاؤها بين ليلة وضحاها إلى أعداء بسبب تغير الظروف، فبعد أن جمعهم الفن بوصفه مظهراً يتعدى الحدود واللغات والمعتقدات، تفرقت هذه الحركة وتشتت أعضاؤها بسبب الحرب، كان من بين هؤلاء الأعضاء ثلاثة فنانين روس هم: ماريانه فون فرفكين، وأليكسى فون يافلنسكي، وفاسيلي كاندينسكي. يذكر مؤرخ الفن شنيده أنهم استقروا في ميونيخ وعملوا مع الفنانين الألمان فرانز مارك، وأوغوست ماكه، وغابريله مينتر، ولكن عند اندلاع الحرب، اضطروا إلى الفرار ومغادرة ألمانيا، مما أدى إلى تفكك المجموعة، لاحقاً لقي أوغوست ماكه حتفه في شمال فرنسا عام ١٩١٤، بينما توفي فرانز مارك عام ١٩١٦ قرب فردان في شمال فرنسا .(بيرغيت غيرتس، ٢٠١٣)

ولا شكّ أنَّ تأثيرات الحروب والنزاعات تكون شمولية ومدمرة، تتعدى كل الحدود، حيث يعلو صوت المدفع أمام صوت العقل، وترتفع رايات الدم والتمييز على أساس اللغة والدين والمذهب والحدود، التي طالما عمل الفن والأدب على إذابتها وجعل هوية الفرد الإنسانية فوق كل اعتبار.

ومنذ ظهور الحركة السريالية في فرنسا وحتى اليوم، استمرت في جذب العديد من الأدباء والفنانين، وأصبح لها مريدون من بقاع العالم كافة، فقد وجدوا فيها ملاذًا يعبر عن رؤيتهم تجاه الفن والأدب والحياة، حين ضاقت بهم السبل، واختلت الموازين، وأطبقت عليهم الظروف الاقتصادية والاجتماعيّة جرّاء الحروب وكثرة النزاعات، فما كان منهم إلا أن ينتموا لهذه الحركة ويجسدوها في نتاجاتهم وأعمالهم، على الرغم من كلّ المؤاخذات عليها ، إلا أنه لم يكن أمامهم من مذهب يعبّر عن تصوراتهم بشكل حرّ ويحاكي آثار تلك المعاناة الإنسانية إلا السريالية بكلّ ما تمتلكه من تفرّدٍ وتأثير.

البواعث والتداعيات

بيّنّا فيما سبق الإرهاصات الأولى لبوادر ظهور السريالية إلى الواقع، الان نشير إلى البدايات الحقيقة لهذه الحركة، كيف نشأت وكيف تشكلت، ومن هم أبرز أقطابها المؤسسين؟

إنّ السريالية لم تنشأ عن فراغ، ولم تكن فصلاً زائداً في فصول الحركات والمدارس الأدبية، بل كانت لها مبررات ودوافع أدت بالنهاية إلى ظهورها على السطح لتأثر فيما بعد بقطاعٍ واسع من المبدعين في الفنّ والأدب، وإذا أردنا أن نفهم تلك البدايات لا بدّ أن نكون ملمين بالخلفية التاريخية التي سبقت بداية الحركة لأنها أسهمت بشكل مباشر بتشكيل انطلاقتها وظهورها إلى حيز الوجود، فالسريالية ظهرت نتيجة واقع دموي وعصيب مرّ على العالم أجمع في ذلك الوقت؛ حيث الحرب العالمية الأولى مروراً بالثانية وما بينهما من نزاعات وصراعات أثرت سلباً على واقع الإنسان وغيّرته بصورة مختلفة عمّا سبق، ففي الحرب يبدأ تاريخ جديد، ويمرّ المجتمع بتحولات كُبرى تمسُّ مختلفة المجالات سياسيةً كانت أو اجتماعيةً أو اقتصادية أو أدبية وفنيّة أيضاً، فالتغيير يلقي بظلاله على الميادين كافة، ويُحْدث انقلابات فكريّة عميقة في ذات المجتمعات وتكوينها الثقافي.

ونظراً لكلّ المآسي التي خلفتها الحروب ظهرت عدة حركات معادية للحرب قبل بزوغ فجر السريالية كان من أبرزها الحركة الدادائيّة، التي ظهرت عام ١٩١٦م أثناء الحرب العالمية الأولى في مدينة زيوريخ بسويسرا على يد الكاتب تريستان تزارا، وأعلنت رفضها العنيف لكلّ الصراعات الجارية، وحاربت بشكل غير مسبوق كلّ الأطر التقليدية، ودعت إلى هدم الطرق المعتادة في التعبير عن الفن والأدب، بل وحاربت كلّ ما يسمّى فنّاً في ذلك الوقت، وسعت إلى تهشيم علم الجمال التقليدي، وبناء صورة جديدة في كلّ ما له علاقة بالفنون البصرية، كالأدب والفن، الشعر، والفن الفوتوغرافي، المسرح وغيره.

ففي كبريه فولتير تُلي أول بيان ضد الحرب جاء فيه (لقد فقدنا الثقة في ثقافتنا، كل شيء يجب أن يهدم، سنبدأ من جديد بعد أن نمحي كل شيء، في كبريه فولتير سيبدأ صدام المنطق، الرأي العام، التعليم، المؤسسات، المتاحف، الذوق الجيد، باختصار كل شيء قائم)، فالدادائيّة أعلنت منذ بداية بزوغها أنها حركة هدم لكل المعايير والمثِل والأديان والذوق العام، داعية إلى فنّ جديد، وأدبٍ مختلف، ومقاييس أخرى في كلّ المجالات، ولم تنحصر الحركة الدادائيّة في دائرة الأدب والفنّ، بل أخذت تتجه بعيداً في الدخول نحو قضايا سياسية واجتماعية وذلك عبّر تنظيم مظاهرات ووقفات احتجاجية على الواقع والمجتمع والظروف السياسية والاقتصادية التي خلفتها الحروب، ومما قرأ في أحد بياناتهم ، وهو مقطع يلخص أفكار الدادائيّة (من الآن فصاعداً، لا رسامون ولا أدباء، ولا موسيقيون، ولا نحاتون، ولا أديان، ولا فلكيون، ولا امبراطوريون، ولا فوضويون، ولا اشتراكيون، ولا بولشفيك، ولا سياسيون، ولا بورليتاريون، ولا ديمقراطيون، ولا جيوش، ، ولا شرطة، ولا أوطان، وأخيراً كفانا من هذه الحماقات كلها، لا شيء ، لا شيء، لا شيء) (نادو، ١٩٩٢، صفحة ٣٥).

إنّ العنف الذي نجده في رؤية الدادائيين تجاه الأدب والفنّ والحياة والمجتمع ما كان إلا نتيجة للظروف القاسية التي مرّ بها العالم آنذاك ، حيث الحرب العالمية تستعر نيرانها في أغلب أرجاء العالم، والخنادق تلتهم ملايين من البشر، ومع ذلك يلهجون بالأناشيد القومية التي تذْكر غليوم وقيصر وصاحب الجلالة، ويبنون لذكراهم قوسا للنصر مزيناً بشعلة من نار، فكل هذا التناقض العجيب كان يستحق أن يقابل ويسفّه على الطريقة الدادائيّة، كما فعل جان دوبريه؛ حيث بال على شعلة النار تحت قوس النصر بباريس وأطفأها! (الشوك، صفحة ٦).

فالدادائية انبثقت من قاع مجتمع تنهشه الحرب لذلك عملت على أن تهاجم هذا المجتمع وتفضحه وتفضح الأعمال المخزية التي ارتكبت في ظله، فقد اعتقد الدادائيون أن المجتمع الذي ينتج حرباً بهذه البشاعة وبهذه الوحشيّة لا يستحقُ فنّا

وأدباً بالمعايير المعروفة، لذلك عملوا بكلّ ما يمتلكون من قدرة على أن يكونوا ضدّ الفنّ، وذلك عن طريق محاربة الفن بالفن، وتجاهل علم الجمال التقليدي، ليعطوا للمجتمع الصورة الحقيقية التي يستحقها.

فالفنّ عندهم جاء ليدمر كل شيء، فهو عبارة عن إحساس بالعبث واللاجدوى، وذلك تعبيراً عن رفضهم المطلق لما سببته الحرب العالمية الأولى وما رافقها من قتل للملايين وتهديم مدن بكاملها، فضلاً عن شيوع روح الهزيمة واليأس في المجتمعات، لتظهر عدميتهم بأشكال مأساوية جاءت في أعمالهم بصور مختلفة، بل وحتى بالسخرية والوقاحة والازدراء لهذا الواقع السخيف الذي أنتجه المجتمع، فقد أهانوا كلّ شيء ونقدوا كل شيء نقداً لاذعاً لتنقلب المعادلة ويصبحُ " ما كان ضد الفن أن يكون فنا"! (الكنجي، ٢٠١٦) .

إن حركة دادا على الرغم من كونها فوضوية إلا أنها لا تخلو من الثورية، فقد دعت لنزع الهالة الإيقونية في الفن، وجعله شيئا معاشا يستطيع الجميع أن يمارسه، مع تحريره من طابعه السلعي "دور الأوبرا.. المسارح ... المتاحف.. " والنزول به إلى الخارج إلى الشارع، كما سعت إلى إذابة الفوارق ورفع الحدود بين الفنون وتخطي طبيعتها النوعيّة (الشوك، صفحة ٧).

ولكنَّ الذروة التي وصلت إليها حركة دادا في فرنسا وباقي الأقطار الأخرى سرعان ما تلاشت وأخذت تخبو نتيجة الصراعات الداخليّة المتعددة والحادة، ونتيجة لموقفها الرافض لكلّ شيء، فقد دعت لممارسة الهدم على مختلف الاتجاهات، فدعوا إلى إلغاء كلّ التقاليد وكل المدارس الأدبية، القديمة والحديثة، ووقفوا ضدّ المنطق لأنه رأوا فيه أساس كلّ المأساة التي عاشوها، لذلك الطريق الوحيد للخلاص هو رفض المنطق والقبول باللاعقلانية والفوضى، كما وقفوا ضدّ الفن الذي لا يحرك ساكناً وهو يرى العالم من حوله ينهار ويتداعى ويتفكك، لقد كانت الدادائيّة حالة من الاحتجاج الحاد والعنيف ضد المجتمع وما فيه؛ ضد قيمه الأخلاقية والدينية ولغته وأيديولوجيته وثقافته، فضلاً عن أنظمته التي أسهمت فيما ما أحدثته الحرب من فوضى وتدمير شمل مختلف الاتجاهات (صالح، ٢٠١٠، صفحة ١٤- ١٥) ، وبسبب هذه الحالة الاحتجاجية ضدّ كلّ شيء وأيّ شيء غير المنطقيّة فوّتت دادا فرصة ثمينة في التطور والمضي قدماً نحو مصير واعد.

وفي ظلّ تلك الأجواء المضطربة بدأت الانشقاقات تضرب بالحركة الدادائيّة، وذلك لأسباب شتّى، ذكرنا قسماً منها أعلاه، وقد أشار بريتون " مؤسس السريالية" والذي كان أحد أعضاء حركة دادا وانشق لاحقاً إلى أنّها أصبحت لا تُحتمل، وغدت ديكتاتوريّة بشكلٍ لا يطاق، ومستبدة إلى أبعد حدّ، وبسبب هذا وأيضاً إثر فشل المؤتمر الذي عقد خلال عام ١٩٢٢ لوضع توجهات وركائز الفكر الحديث؛ قطع بريتون، فضلاً عن آخرين، مثل أراغون، ايلوار، بيريه، علاقتهم بالدادائيّة بسبب التباين في وجهات النظر والفوضى التي عاشتها دادا منهجاً وسلوكاً (نادو، ١٩٩٢).

إننا لن نستطيع فهم السريالية بشكل عميق إلا إذا فهمنا الحركة الدادائية التي جاءت السريالية على أنقاضها، فقد أخذ الأدباء والفنانون يغادرونها الواحد تلو الآخر لشعورهم بلا جدواها وعبثيتها ويأسها.

لقد بدأ نشاط الحركة السريالية الفعلي عام ١٩١٩وامتدّ إلى عام ١٩٣٩، وقد بدت خلال هذه السنوات حركة منظمة وثوريّة ، لها قادة ومريدون، وبيانات ومنشورات، فضلاً عن معارضها ومظاهراتها، حتى أصبحت حركة عالمية اشترك في معرضها الذي أقيم في باريس ١٤ عشراً بلداً عام ١٩٣٨، والذي يعتبرُ أكبر تظاهرة قام بها السرياليون على الإطلاق (فاولي، ١٩٨١، صفحة ٧).

إنّ السرياليّة كانت الوريث الشرعي لحركة دادا، لذلك ظهرت خلال السنوات الفاصلة ما بين الحربين العالميتين بصورة ثوريّة وكأنها معنية وقائمة على الرفض بكلّ أشكاله وصورهِ، فدعت إلى هدم المثل والمعايير، والوقوف ضد الشعر بصورة خاصة والأدب عامةً، وحاربوا بلا هوادة النظرة التي ترى أن الأدب تعبير عن المجتمع، واعتبروا هذا هدفاً للأدب البرجوازي القانع بنفسه، بل وكانوا لا يرضون إلا بتغيير الحياة تغييراً شاملاً وتاماً، وقد تولد لديهم شعورٌ قويّ بالحاجة إلى الصدق في

التعبير الأدبي، فحالات الوعي كما يعتقدون لم تعد كافية، وبأن اللاشعور يتضمن جانباً أكثر أصالة ودقة ، فما يصدر عادة في حالة الوعي والسلوك اليومي المعتاد نجده متناقضاً مع ذواتنا الحقيقة ورغباتنا الأعمق، فالقواعد التي يسيرُ بها الواقع والتي يسير ضمن نطاقها السلوك البشري قد كوّنته عوامل اجتماعية، لا رغباتنا وذواتنا الداخلية أو أمزجتنا الخاصة وقد لخص بريتون هذا الشيء بعبارة موجزة (الدافع الخفي لأفعالنا يفلتُ منّا) (فاولي، ١٩٨١، صفحة ١٢- ١٣).

إنَّ الأدب الجديد هو أدب لا يمثل الواقع بل يهرب منه، فالسريالية هدفت إلى خلق عالم يعوض نقص العالم الواقعي، لذلك يصحُّ أن نسميه أدب التملص والهروب إلى الأمام بعيداً عن رتابة الواقع وتقليديته وزيفه، لا يقوم به البطل بالتجوال في العالم الذي يعرفه جيداً، بل يغامر في أرض جديدة وغريبة كليّاً، أو بالولوج واستسقاء عالم الأحلام من أوسع أبوابه، لذلك يعدُّ البطل الجديد هو الإنسان غير المنسجم ، هو مقترف الأفعال اللامنطقية والحالم، أو كما يدعوه علماء النفس بالمزاج الانفصامي، لذا من يريد فهم نفسه عليه أن يبدأ بها ويبحر في عوالمها الشاسعة.

ولا شكَّ أنَّ السرياليَّة بكلّ ما تمتلكه من غرابة في أفكارها ما انتشرت في ذلك الوقت إلا لوجود خلل كبير عاشه المجتمع، فالحرب والهزيمة التي سادت بعد هدنة ١٩١٨ م وما تلاها من قتلى ومشردين جعلت الفرد ضائعاً وتائهاً، وهذا يفسر سبب هذا التأثير العميق الذي خلفته هذه الحركة في الفنانين والأدباء الذين كانوا يشعرون في ذلك الوقت بالعبثية التي وجدوا لها ملاذاً في مبادئ السريالية وتباشيرها، لذلك دعا بريتون رائد الزمّرة السريالية بعد(عملية الهدم، إلى عملية بناءٍ متفاعل مع المذاهب الفكرية الثورية والسياسية الجديدة، بغية معالجة هذا الإنسان المريض الذي خلّفته الحرب بعد أن فشلتْ في تخليصه وإسعاده كل الأديان والنظم والثقافات) (الأصفر، ١٩٩١، صفحة ١٧١).

لقد أخذت الحركة السريالية تنتشر وتشقّ طريقها وتأثر في الأجواء الأدبية والفنية خصوصاً في مدينة باريس خلال فترة العشرينيّات وما بعدها، بل وأصبحت ضرورة لا غنى عنها، وقلّما يوجد عمل فني أو ديوان شعر أو كتابة أدبية يخلو منها، فنرى بيكاسو في مجال الفن التشكيلي سرياليا أو تأثر فيها لفترة حتى انتقل لمدارس فنية أخرى، وأيضاً سلفادور دالي الذي جسّد جنوناً كاملاً في الرسم والفن، وأنتج لوحات سرياليّة غاية في الإبداع ما زالت تدهشنا حتى الآن كلّما نظرنا لها، والواقع أن السريالية تريد تحرير الطاقات الدفينة الكامنة في أعماق الإنسان والمقموعة من قبل المجتمع أو أي سلطة كانت، فالمجتمع في كثير من الأحيان يمنع الفرد من التعبير عما يجول بداخله بحريّة وصراحة ووضوح بحجج عديدة؛ أنه نجس أو شاذ أو مجنون أو غير طاهر أو لا أخلاقي، لذلك تريد السريالية أن تقول: تحرروا من كل ذلك، عبروا عن أنفسكم، انطلقوا، لا تترددوا في كتابة حتى الأشياء المخجلة التي قد تخطر على ذهنكم حتى ولو صدمت المجتمع، فالسريالية في تحدّ مستمر مع المجتمع ومع كل السلطات والرقابات التي تفرض على الإنسان أو تتحكم فيما يريد أن يعبّر عنه بشكل جليّ وبيْن (هاشم، ٢٠١٧).

خصائص السرياليّة

تتمتع السريالية بسمات عديدة، جذبت من خلالها العديد من الفنانين والأدباء الهاربين من الواقع والأنماط التقليديّة في الأدب والفنّ والحياة، لتكون بذلك قبلة لمن يبحثون عن كسر الرتابة وتشكيل أدب مضاد وفنّ مغاير غير معتاد، لذلك انتمى لها الكثير من الطامحين للتغيير والتمرد والثورة ضد الواقع المأساوي، لما تتمتع به من ميزات تلبي طموحهم ونزقهم لتكون بذلك قبلة لمن يبحثون عن الخلاص مما هم فيه، وإذا أردنا أن نوجز هذه السمات بنقاط فهي كما يلي (بيرقدار، ٢٠١٠):

١. الاغتراف من سحر اللاوعي، والغوص عميقاً في أعماق الذات.

٢. عدم إيلاء أهمية لكلّ الرقابات الذاتيّة، وتحطيم كلّ القيود المنطقية والدينية والأخلاقية والاجتماعية، والأدبية والفنيّة التي تنشأ مع الفرد بتأثير المجتمع الذي يعيش فيه.

٣. السفر بعيداً نحو عالم الأحلام والهذيان، والاغتراف منهما، فمن خلال هذا السفر يبحر الفنان بعيداً عن عالم الواقع.

٤. التشديد على عدم إيلاء أية أهمية لقواعد اللغة أو الخضوع لأطرها السابقة، بل جعل التداعيات تنساب من اللاشعور بكلّ حرية، يقول بيير روفيردي أحد أعضاء الحركة السريالية في ذلك "دع الكلمات تتكلّم وتقول ما تريد قوله، متناسياً ما كانت تحمله من المعاني في الآداب السابقة، دعها تعمل وتؤثر مستقلةً، تتزواج فيما بينها أو تتنافر، مؤلفة صوراً، وكاشفةً عن واقعٍ لم يقُلْه أحدٌ بالضرورة ".

٥. التركيز على الأشياء الغرائبيّة، والابتعاد عن المألوف.

تقنيات السريالية

اعتمدت الحركة السرياليَّة تقنيات عديدة للوصول إلى طموحها في تحطيم كلّ الأنظمة التقليدية المعتادة وابتداع طريقة جديدة في الفن وطرح أدب مغاير، وذلك عن طريق طرق عديدة وفعالة (الأصفر، ١٩٩١، صفحة ١٧٣- ١٧٦):

١. الكتابة الآلية: يراد بها الكتابة دون تصميم سابق، أو أفكار معدة سلفاً، وذلك من خلال الابتعاد عن كل الرقابات والانسياب مع التداعي الحرّ.

٢. لعبة الجيفة الشهيرة: وهي من الأنشطة التي كان يمارسها السرياليون، إذ يتناول واحد منهم ورقةً يتناوبها مع زملائه، ويدون كل فرد منهم كلمة أو عبارة، دون أن يتروّى ويفكر، بل يكتب ما يخطر بباله فوراً، وبدون أن يكون هناك أي ترابط بين هذه العبارات والكلمات، ويحصلون بالنتيجة على نصّ غريب كتبته الجماعة، ثم يحلل هذا النصّ ليكتشفوا حينئذ العقل الجمعي، وجاءت هذه التسمية لأن التجربة الأولى لهم أسفرت عن هذا النصّ: "الجيفة– الشهيّة –ستشرب– الخمر– الجديد". وكرروا التجربة مرّة أخرى وحصلوا على نصّ آخر: "النجار المجنح يغوي الطير المسجون –بحّار السنغال سيأكل الخبز المثلث الألوان...".

٥. التعمق في اللاشعور وقراءة الأفكار الخفية فيه من خلال استنطاق الأحلام التي ينفلت فيها اللاشعور في واقعه الحقيقي قبل أن تضبطه وتفسره الثقافة والعادات والأخلاق.

٦. – التنويم المغاطيسي: وقد لجأ إليه السُّرياليون وجربوه بين عامي ١٩٢٢-١٩٢٤م، ويعدّ روبير ديسنوس (١٩٠٠-١٩٤٥م) أحدّ أفضل من جرّبه، يقوم بتنويم شخص ويكلّمه فيتحدث دون وعي أو ذاكرة فيسجّل ما يقوله ثم يقوم بتحليله.

٧. عرف عنهم أيضاً أنهمّ يطفؤون النور ويتكلمون دون وعي، وكأنهم سكارى لا يعرفون حدوداً لاستبصارهم الخيالي في جوّ فوضوي يعمّه الاختلاط، ويسوده الهذيان.

٨. التقاط كلام المجانين وهذياناتهم مع رصد ما يقمون به من تصرّفات كوسيلة من وسائل معرفة ما في أعماق ذواتهم، فالجنون حلم ممتد يتمسك به المريض للهروب من واقع غير مرغوب فيه، ويصبح هذا الحلم عنده حقيقة، وهو يسمح بتدفق حر لتيارات الرغبات المكبوتة.

٩. الدعابة الساخرة والناقد اللاذع: وقد دأب السرياليون على ذلك بشكل كبير، فلا يخلو منه اجتماع أو تجمع لهم، فهو وسيلتهم الأمثل للاحتجاج على الواقع وهدمه مع إحلال واقع جديد مكانه، فهي وسيلة أمينة لقول الحقيقة والتأثير في وجدان الإنسان العاديّ المملوء بالضغوطات المرهقة نفسيّاً.

شخصيات السرياليّة

تأسست الحركة السريالية في باريس عام ١٩٢٤، وانتمى لها العديد من الأدباء والفنانين، ومرّت بتحولات دخل على إثرها وخرج وطرد الكثير ممن ينتمون لها، وإذا أردنا ان نتحدث عن أبرز شخصياتهم، فهم كما يلي (المغامرة السرياليّة، ٢٠١٦) :

أندريه بريتون:

وهو مؤسس الحركة السريالية ومنظرها وأهمّ رموزها، ولد عام في فرنسا١٨٩٦م، التحق بكلية الطب حيث كان له اهتمامات بالأمراض العقلية، لكنه انقطع بعدما طلبُ للتجنيد في الحرب العالمية الأولى، وقد عمل في ردهة الأمراض العصبية في مستشفى نانت الفرنسي، ارتبط بعلاقة وثيقة مع بول فاليري، وجاك فاشيه الذي يعتبر أحد أهم الملهمين لحركة الدادائية، حاول مع ديسنوس وكريفيل وبيريه أن يتعمق في الأبحاث النفسية والاستفادة منها، واستثمارها في الكتابة عن طريقة عملية التنويم المغناطيسي، لكنه توقف عنها بعد تجارب كانت ستؤدي إلى القتل ، منها محاولة ديسنوس لضرب إيلوار بالسكين بعد تنويمه مغناطيسيّاً.

أصدر بريتون البيان السريالي الأول في عام ١٩٢٤م، كما أشرف على إدارة مجلة " الثورة السرياليّة " بعدما كانت تحت إدارة بنجمان بيريه في العام ١٩٢٥م .

له العديد من الإصدارات، منها: " محل الرهون" و " ضوء القمر " و "الخطوات الضائعة" و " السمكة القابلة للذوبان " و " ناداجا"، وغيرها.

فيليب سوبو ١٨٩٧ ـ ١٩٩٠

هو كاتب وشاعر وروائي وناقد وناشط سياسي فرنسي، انتمى للحركة الدادائيّة، وأسس مع بريتون لاحقاً الحركة السريالية، كتب مع بريتون أول نص سريالي عرف فيما بعد بعنوان" الحقول المغناطيسيّة " في العام ١٩١٩م.

أصبح سوبو في عام ١٩٢٠م صحفيّاً معروفاً في فرنسا، وهذا كان نقط خلافه بينه وبين بريتون الذي كان يعدّ هذا الشيء هدراً واستنزافاً للوقت.

طرد من الحركة السريالية في العام ١٩٢٦ بسبب موقفه واعتراضه على انضمام السرياليين للحزب الشيوعي الفرنسي.

لويس آراغون ١٨٩٧ ـ ١٩٨٢

ولد آراغون في مدينة باريس، وكانت ولادته من علاقة خارج الزواج، فلم يرضَ أبوه أن يمنحه اسمه فسجله باسم المدينة الإسبانية المعروفة " آراغون"، وظلّ هذا الجرح يرافقه طوال حياته، ويعدّ شاعراً وروائياً ومحرراً فرنسياً معروفاً، كان من المؤيدين للحزب الشيوعي الفرنسي، وارتبط ببريتون بعلاقة صداقة وطيدة في العام ١٩١٩، حيث التقى معه في مستشفى فال دو غراس وشارك في تأسيس مجلة " ليتراتور " والتحق بالدادائية ثم أسس مع بريتون الحركة السرياليّة.

وعلى الرغم من إصراره أنّه لم يتخلَ أبداً عن الروح السريالية، لكنه مرّ بتحولات بين الكتابة الآلية مروراً بالواقعية في فترته الشيوعيّة، من أعماله السرياليّة: " دار الفرح " أنيسة أو النوراما " " مغامرات تيلمياك " خلاعة" " فلاح في باريس " وغيرها.

بنجمان بيريه : ١٨٩٩ ـ ١٩٥٩

ولد في مدينة باريس، وتعرّف على بريتون في العام ١٩٢٠، استقر في باريس وعمل مصححاً في إحدى مطابع باريس.
التحق في بدايته بالدادائيّة وأنصرف عنها فيما بعد إلى السريالية، أدار مجلة " الثورة" مع بيير نافيل في عامي ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥، والتحق بالحزب الشيوعي الفرنسي لكنه انفصل عنه لينضم إلى المعارضين للجزب من التروتسكين، وفي عام ١٩٣٦ إنضم إلى حركة التمرد في اسبانيا ضد الفرانكوية واعتقل في العام ١٩٤٠.
يقول جان لوي بيدوان أنَّ بيريه (كان من بين جميع الشعراء السرياليين الأكثر تلقائية ولغة بيريه هي الحرية الحقّة مجسدة في الكلام)، وهو الوحيد الذي ظلَّ وفياً للمشروع السريالي ولصديقه بريتون حتى آخر رمق في حياته.

بول إيلوار ١٨٩٥ ـ ١٩٥٢

اسمه الحقيقي هو يوجين إميل بول جريندل، ويعدّ شاعراً فرنسياً بين شعراء القرن العشرين، ومن من مؤسسي الحركة السريالية، وأحد أجمل من كتب عن الحب، وهو القائل " لأننا نحب، نريد تحرير الآخرين من وحدتهم القاتلة (إيلوار، قصائد حب، ٢٠٠٣، صفحة ١١)، والده كان عاملا أما والدته تعمل في خياطة الثياب، قام برحلة طويلة عام ١٩٢٦م إلى بلدان شرق آسيا، وتعرف على العديد من الشيوعيين عام ١٩٢٧، وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٣٢ ، وذلك في سياق علاقاته مع مجلس المقاومة الفرنسي ضد الاحتلال النازي.

ألفَّ إيلوار العديد من الكتب، من أهمّها «المهمة والثورة»، و«متْ وكنْ»، و«الحبّ والشاعر»، و« الحرية»، و« سبع قصائد حبّ أثناء الحرب»، و« قصائد لأجل السلام»، و« نحن والألم»، و« الانتصار في قاف»، و« التيار الطبيعي»، و«أنشودة كاملة»، و«كتاب مفتوح»،و« الحياة المباشرة».

جاك بوافار: ١٩٠٢ ـ ١٩٦١

ولد الفرنسي جاك أندريه بوافار عام ١٩٠٢، ويعدّ أحد الأعضاء المؤسسين لمجلة " الثورة السرياليّة"، ومساهماً رئيسياً في مجلة " وثائق" فيما بعد، وقد ترك بعده العديد من الصور الفوتغرافية التي تعدُّ من أجمل ما أنتجته السريالية (جاك بوافار.. السورّيالي المطلق، ٢٠١٥).

سلفادور دالي: ١٩٠٤ ـ ١٩٨٩

يعدُّ دالي من أبرز الفنانين الإسبانيين، ولد في فيغوبراس (دالي، ٢٠٠٥، صفحة المقدمة) ، بالقرب من الحدود الفرنسية، عاش حياة مرفهة في أسرة ثريّة توفر له كلّ ما يحتاج وكلّ ما يطلب، وكان يرتاد المتاحف والمقاهي ويشارك في النقاشات حول الأدب والفن والجنس والنساء، بعدما طرد من الأكاديمية وذلك نتيجةً لدفاعه عن أستاذ يساري له ، فرجع إلى كتالونيا، وقُبض عليه بسبب أفكاره المتمردة الثوريَّة.

إنَّ أهمَّ ما يتميز به دالي في أعماله الفنيّة هو موضوعها وتشكيلاتها وغرابتها التي تصدم المشاهد جدّاً، يضاف إلى ذلك ما تتمتع به شخصيته وتعليقاته وكتاباته غير المعتادة والتي تصل حد اللامعقول وتوحي بالاضطراب النفسي، لذلك يختلط وفي حياة دالي وفنه الجنون بالعبقرية، لكنه يبقى استثنائياً مختلفاً، في فوضاه، وإبداعه، في جنون عظمته، ونرجسيته الشديدة (سلفادور دالي، بلا تاريخ) .

ومما يجب التنبيه إليه أنَّ هذه الشخصيات قامت بفعلٍ سرياليّ مطلق، وأثرت في مسير الحركة السريالية وتاريخها، لكنَّ الوحيد الذي واصل مع بريتون رحلته مع السريالية وأخلص له حتّى النهاية هو بنجمان بيريه، فقد طرد الكثير منهم إثر بعض الخلافات، كسوبو وفيترام وكريفيل، وبعضهم أغرته الأفكار الشيوعية فالتحق بالحزب الشيوعي الفرنسي ، أما البعض الآخر فقد انتجه لنفسه طريقاً مختلفاً وكفَّ عن أن يكون سرياليّاً (المغامرة السرياليّة، ٢٠١٦، صفحة ٦).

ولا شكَّ أن السريالية كأفكار وتمثلات كانت موجودة قبل إعلانها كحركة لها روادها ومنشوراتها وبياناتها في العشرينيات من القرن الماضي، ، لذلك لم يشأ بريتون مؤسس الحركة السرياليّة وعرابها أن يجعل قائمة السرياليين تقتصر على روادها أو من التحق بها فقط ، بل أضاف إليهم الكثير، ومن عصور وأزمان عدة ، وعدّهم سرياليين لسبب ما ، منهم : (المغامرة السرياليّة، ٢٠١٦، صفحة ٧) :

- هيراقليطس: سريالي في الديالكتيك.
- لول: سريالي في التعريف.
- سويفت: سريالي في الإساءة.
- ساد: سريالي في السادية.
- كاريبه: سريالي في الغرق.
- لويس: سريالي في جمال الشر.
- آرنيم: سريالي في الزمان والمكان وفي كل شيء.
- راب: سريالي في الموت
- بودلير: سريالي في الأخلاق.
- رامبو: سريالي في الحياة.
- هيرفي سان دوني: سرالي في الحلم الموجه
- كارول: سريالي في غياب المعنى.
- ويسمانس: سريالي في التشاؤم.
- بيكاسو: سريالي في التكعيبية.
- روسيل: سريالي في الحكاية القصيرة.

فالسريالية فلسفة أكبر من أن تؤطر بزمن معين أو تاريخ ما، هي موجودة بوجود المبدع، تعيش في ذاته، وتتجلّى في أعماله الأدبية والفنيّة بوعي منه أو بصورة غير مباشرة، كما ظهر في نتاج العديد من المبدعين قديماً قبل ظهور المذهب السريالي فعلياً إلى حيز الوجود، حيث تتشابه وأفكار الحركة السريالية.

الشعر والحرب والمجتمع

لا شكّ أن أصدق تعبير إنسانيّ عن الذات والمجتمع، هو الأدب والفنّ، فهما إلى جنبِ بعضٍ يعبران بحرارة وعاطفيّة عن مشاعر الإنسان ومطامحه وأزماته الداخلية والنفسيّة، عن أحاسيسه وانفعالاته، وعن كلّ ما يختلج في صدره ويغور في أعماقه

تجاه المجتمع والحياة، فكلّ المحن التي مرّ الإنسان قديماً وحديثاً كان الأدب والفن أصدق الأشكال في التعبير الإنساني عنها وعن الأفكار والهواجس التي تمسّه بأكثر الطرق تأثيراً وفعالية، بما يمتلكه الأدب والفنّ من سلطة على الإنسان وتأثير عميق.

وإذا ما عدنا إلى الوراء حيث عصور ما قبل الميلاد، وبحثنا في أقدم النصوص الواردة إلينا بهذا الشأن نجد العديد من الأعمال الأدبية التي عُنيت بهذا الشأن، وتعدّ " الإلياذة والأوديسا " للشاعر اليوناني هوميروس من أقدم الملاحم التي تناولت عدداً من الحروب منها معركة طروادة، فالحرب منذ سالف الأزمان من أكثر الموضوعات التي جرت حولها العديد من الأعمال الأدبية والشعرية، فمخلفاتها ومآسيها ودموعها وتراجيديتها تحفر عميقاً في المجتمعات، لما تتسم به من معاناة قلّ نظيرها، فهي لا تبقي ولا تذر، وتأكل الأخضر واليابس كما يعبر عامة الناس، وتشكل آثارها أزمات نفسيّة حادة، وتعيد تشكل المجتمعات البشريّة والدول والحدود بطريقة مغايرة وجديدة بحسب فلسفة الغالب والمغلوب، وهي كما يعبّرُ أحدُ الفنانين(۱) ليست ((ساحة معركة؛ إنها معاناة وحقول ومدن مدمرة ونساء وأطفال تم التضحية بهم وعالم دمرته الكوارث ودمرته رياح الوحشية والجنون ..)) (الحرب والسلام ، ۱۹۵۷).

إنّ أسباب إندلاع الحروب كثيرة، منها " الاختلافات الجوهرية بين النّاس، ولن تنتهي هذه الحروب طالما أنّ المجتمعات البشرية تعيش تحت ظروف شديدة الاختلاف. حروب اليوم، هي الأعنف عبر التاريخ، بسبب ''الكمال المتزايد'' للأسلحة الفتّاكة، وعلى رأسها أسلحة الدمار الشّامل. والأخطر من ذلك، فهي كذلك، الأكثر استخفافاً بالعقود والقوانين الدّوليّة التي التزمت بها الدول الكُبرى. لم تعد هذه الحروب تكترث بقيمة الإنسان، ولا بحقوقه" (الشِّعْرُ في زمن عولمة الحروب، ۲۰۱۹)، وبتعبير فرويد المختصر عن الحرب ، ''تدوس تحت أقدامها بغضب أعمى كلّ ما يصادفها في طريقها (فرويد، ۱۹۸۱، صفحة ۱٤)''.

وعلى الرغم من كلّ هذه الحروب وكلّ هذه الوحشية، وكلّ هؤلاء الضحايا على مرّ التاريخ، لا زالت الحرب اليوم تشتعل نيرانها في كلّ مكان، لكن هذه المرّة بصورة أشدّ وبضحايا أكثر، وبأسلحة فتاكة مجنونة لا تبقي ولا تذرُ.

قصائد من الحرب العالمية الأولى

لا شكّ أنّ الحرب عموماً والحرب العالمية الأولى والثانية على وجه الخصوص أسهمت في ظهور العديد من الأعمال الأدبية والشعريّة التي ناهضت الحرب ووقفت ضدها، وانتشرت في ذلك الوقت وأخذت صداها مشكلةً أداةً توعوية مؤثرة وصوتاً عالياً لمن نالتهم الحرب بويلاتها وقساوتها، وقد وصلت لنا العديد من القصائد في هذا الشأن، من أشهرها قصيدة في حقول الفلاندرز، للشاعر الكندي جون ماكريه، يقول فيها:

في حقول الفلاندرز
أنفجر الخشخاش
بين الصّلبان صفّاً تِلْوَ الآخر،
ذاك هو علامة مكاننا؛ وفي السّماء
ما تزال القبّرات، مترنّمة دون وجل، تطير
لا تكادُ تُسمَعُ وسط أصوات البنادق تحت!
نحن الموتى. وقبل أيامٍ قلائلَ،
كنا أحياءً، ونشعر بالفجر، ونشاهد غروب الشمس المتوهج

أحبَبْنا وكنا محبوبين، والآن نستلقي أمواتًا
في حقول الفلاندرز.

تعدّ هذه القصيدة من أبرز القصائد التي ظلّت عالقة في أدب الحرب العالمية الأولى، خصوصاً أنّها كتبت أثناءها، بالتحديد بعد مقتل أحد أعزّ أصدقائه " ألكسيس هيملر" في معركة إيبرس الثانية(٢). وقد دفنه بنفسه وتأثر لرحيل رفيقه كثيراً، وبعد أيام لاحظ نمو نبتة الخشخاش بسرعة حول قبور الجنود الذين ماتوا في المعركة، فكتب هذه القصيدة التي تعدّ أشهر قصيدة في عصرها إبان الحرب، ونشرت في العالم على نطاق واسع جداً، وأصبحت رمزاً لتضحية الجنود الذي فقدوا حياتهم أثناء الحرب العالمية الأولى.

وهناك قصائد كثيرة أخرى في الموضوع ذاته، من أشهرها:

- روبرت بروك "The Soldier" – " الجندي " منها.
- سيغفريد ساسون "Attack" –" هجوم ".
- إدوارد توماس "Rain" –" مطر ".
- آيزاك روزنبرغ "Break of Day in the Trenches" – " بزوغ الفجر في الفنادق".
- ويلفريد أوين "Anthem for Doomed Youth" نشيد الشباب المكنوب".

هذه هي أبرز القصائد التي قيلت في الحرب العالمية الأولى وعبّرت بحرارة عن فظاعتها ودمارها الشامل للإنسان والأرض والحياة، وتكتسب أهمية كُبرى لأنها من ناحية عبّرت عن مشاعر أجيال عاشت تحت وطأة الحرب وجحيمها، ومن ناحية أخرى أنّ بعض شعرائها جنود في الوقت ذاتِه، لذلك اكتسبت صدقاً بمشاعرها وأحاسيسها بشكل أكبر، وجاءت معبرةً بحرارة عن معاناتهم التي عايشوها فعلاً في الحرب، بكلّ ما يحدث فيها من أحادث دامية وويلات، فكانت أكثر صدقاً وأعمق تأثيراً من غيرها.

الشعر السريالي

يختلفُ الشعر السريالي في تناوله للموضوعات عن الشعر التقليدي بناءً وأفكاراً وطرحاً، إنّه يرسم عالماً جديداً بعيداً عن كلّ الأوليات النفسية، وبغض النظر عن كلّ الرقابات: منطقية ودينية وأخلاقية ونفسية واجتماعية، التي يشدّدُ على تجاهلها تماماً والمضي قدماً نحو حرية مطلقة في التعبير عن كلّ ما يدور في خلجات النفس ودون أي وازع من أي نوع كان.

إنّ القصيدة السريالية رحلة إلى عالم الأحلام وسحر اللاوعي والجنون والهذيان، والسخرية والتهكم من كلّ الأوضاع المأساوية المعاشة التي فرضها الواقع على البشريّة، ولم يكن ذلك عبثاً بقدر ما كان موقفاً صارماً تجاه كلّ ما حصل ويحصل ، فالواقع المجنون يتطلبُ شعراً لا يقلّ جنوناً عنه، فملايين القتلى والمشردون والضائعون في شتّى بقاع العالم بسبب الحرب وآثارها لن تنفعهم قصيدة رثاء رومانسية شاعريَّة، بل يحتاجون لشيء يشبه هذا الواقع المريض، شيء صادم وبشع ومريع، لذلك نرى السرياليين لا يهتمون بالجانب الجمالي بقدر ما اهتمّوا بغرائبيّة القصيدة وبنائها غير المألوف ليحقق مرادهم في صدم المتلقي عبر صورٍ تحرك في داخله الشيء الكثير، لأن منطلقاتها من أجل الإنسان وتحريره.

فالشعر السريالي تحدى كلّ المعايير الأخلاقية وضرب القيم بعرض الحائط، مجدداً ومغيراً، لقواعد البناء النحوي واللغوي، وذلك من خلال أشكالها المتنوعة للتعبير، فالشعر لذة ووجهة نظر واقعية تسعى لفهم جوهر الحقائق والتعبير عنها

بشكل ذاتي حتى لو خالفت المعتقدات والثوابت والمراجع الدينية المقدسة والأعراف الاجتماعية الراسخة والقيم والقيود الأخلاقية، بالتالي فتح الباب واسعاً أمام طرق جديدة للاستكشاف الفني والذهني، من خلال استبدال الوصف الحرفي للواقع بالتمثيلات الذاتية والخيالية، وتوسيع آفاق التعبير الفني وفتح مساحات للتفسيرات الشخصية والعميقة، فهو في الواقع بحث عن الحقيقة وتصوير للواقع يتجاوز الحدود التقليدية لاستكشاف أعمق للوعي البشري (عقبي، ٢٠٢٣).

ولا شكَّ أن مساحة الحرية التي يتمتع بها الشاعر السريالي أعطتهُ فسحة في التحرك والمضي قدماً نحو عوالم جديدة لا تهتم بأية قيود مهما كان نوعها؛ وهذا الشيء نابع من كونهم لا دينين، ولا يهتمون بأي حال من الأحوال بالقضايا الأخلاقيّة، فهم شيوعيون كأفكار ومبادئ، والكثير منهم انتمى فعلياً لتنظيمات الحزب الشيوعي، لذلك وقفوا ضد الدين وضد المجتمع وضد كلّ الأطر التقليدية المتعارف عليها في الحياة والمدارس الأدبيّة والفنيّة.

وقد حوربت السريالية من المدارس التقليديّة بشدة إلا أنّها لم تهتم لكلّ ذلك، وواصلت مسيرتها بثبات للثورة والتغيير، وإحداث معادلة جديدة تحطم المنظومات المألوفة التي توارثتها الأجيال جميعاً، بل ودعت إلى أن يُكتب الشعر من قبل الجميع، لا أن يكون مختصاً بفئة دون أخرى، بداعي الموهبة، وتأثر السرياليون بهذه الفكرة بحركة دادا، فلا بدّ أن يكتبه كلّ الناس، حتّى قال تزارا مؤسس الدادائيّة: من المعترف به تماماً في أيامنا، أنه قد يكون شاعراً من لم يكتب بيتاً واحداً من الشعر، وأن هناك نوعاً من الشاعرية في الشارع أو المتجر، وقد تأثر الحركة السريالية بهذه الآراء ، وقد تمخض عن هذا التأثر نتيجتان: إزدراء المواهب بل وإنكارها ، وعدم الاهتمام بالمهارة الفنية والحطّ من شأنها، وغالوا في نظرتهم ورأوا أن الجمال والتفنن غايتان تافهتان لا تستحق كل هذا الاهتمام، وأن الموهبة غير ذات قيمة، لذلك لا بدّ وعلى الجميع أن يكتبوا الشعر، فهو وقف للجميع على أناس بعينهم ، وكتب أراغون في الشأن ذاته : (تبدو المهارة الفنية رياء يلوث الكرامة الإنسانية بأكملها) (دندي، ١٩٩٧، صفحة ٨٦).

والسريالية بهذه الآراء تحارب نظرة المدرسة الكلاسيكيّة التي كانت ترى بأن الإبداع عموماً مرتبط بالفطرة والموهبة المكتسبة لدى جزء معين من البشر، فهي ترى وتعمل على أن يكون الفنّ والأدب مشاعاً وممارساً من قبل الجميع، وهذه إحدى الرؤى الثوريّة التي دافع عنها السرياليون وآمنوا بها.

وإن كنتُ أرى أن هذه الرؤية متزمتة إلى حدّ ما، فلا يستطيع أي شخص أن يكون فناناً أو أديباً أو شاعراً، فلا من بدّ من توافر أوليتها النفسيّة في ذاته مع ما يكسبه من التدرب والمران لتصقل عنده الموهبة وتكتمل التجربة بأفضل طريقة ممكنة، فالقول بممارسة الأدب والفنّ من الجميع دعوى غير منطقيّة، وأتصور أنّ سبب ذلك هو تأثر السريالية بالعديد من المذاهب والحركات الاجتماعيّة في ذلك الوقت كالماركسية والشيوعية وغيرها التي دعت إلى العدل والمساواة وإزالة الطبقيّة، وهذا الشيء أثرَّ بنحو ما في السريالية وغيّر من نظراتها تجاه نواحٍ عدةٍ، منها ما ذكر أعلاه.

المبحث الثاني – نماذج شعريّة سرياليّة في الحرب

أخذت الحرب عند السرياليين وغيرهم حيزاً كبيراً، ومساحة واسعة كتابةً وتفاعلاً، فالحروب العبثيّة خلّفت أوضاعاً إنسانيّة مزرية على مختلف الاتجاهات الإنسانيّة، وتركت الملايين من الضحايا، والجرحى، والمشردين، والضائعين في دروب اليأس، والفقر، والحرمان، لذلك ترك كلّ هذا أثراً وشرخاً في المجتمع، وأحدث هزة اجتماعيّة غيّرت من نظرة الكثير تجاه الأنظمة والدين والكنيسة والقيم والعادات وعبثها ولا جدواها في إيقاف معاناة الإنسان ووضع حدٍّ لكل هذا الجحيم الذي لا يطاق .

لقد شغلت الحرب المنتمين للحركة السرياليّة فنا وأدباً وسلوكاً، خصوصاً أنَّ العديد منهم قد جُنّدوا وأُرسلوا لجبهات القتال، لذلك شاهدوا بأعينهم حقيقتها البشعة بكلّ وضوح، فهذا لويس آراغون يقول:(أنا أنتسب إلى صفّ المجندين سنة

١٩١٧، أقول هنا، وربما يكون لي طموح في أن أحدث من خلال هذه الكلمات مُنافسة عنيفة لدى كل المجندين، أقول هنا بأنني لن أرتدي الزيّ العسكريّ الفرنسيّ، ولن أضع الشارة التي وضعوها على كتفيّ قبل نحو ١١ عاماً، ولن أكون خادماً للضباط، وأرفض أن أحيي تلك الكائنات المتوحشة ورتبها وقبّعاتها الملونة من نوع "غاسلار"). وأيضاً كتب في مكان آخر : "سيكون لي الشرف في هذا الكتاب، وفي هذا المكان، أن أقول وأنا بكامل وعيي وبكامل مداركي العقلية، بأني أدوس على الجيش الفرنسي بكلّ أركانه" (المصباحي، ٢٠٢٤) ، ولم يكن باقي السرياليين يختلفون عن آراغون، فكلّهم أدانوا وحشيّة الحرب وكلّ ما يحدث فيها من عنف واستخفاف بالروح البشريّة، كجاك فاشيه صديق بريتون المقرّب إلى ذاته ، الذي رفض الحرب وعاداها وعارض كل ما يمتّ إليها بصلة، وقد قال في إحدى رسائله "أنا موجود في الخط الأمامي على بعد كيلومترين من العدو، خلف الجثث وغابة تروي (...) هيمنة الوحل مطلقة. يا للشيء الرهيب!، يا للوحل الذي لم أرَ مثله من قبل!، بيوت مهدمة، قتلى، كر، فر، حريق، ثورة — حقاً، هذا أفضل ما يتحقق خلال الحرب — الحرب مصيبة" (عثمان، ٢٠١٩)، وقد انتحر فاشيه في النهاية، لأنه لم يجد حلاً وخلاصاً سوى هذه الطريقة التي يعلن بها احتجاجه على الواقع والحرب والظروف المأساوية التي عاشها في جبهات القتال ورأى فيها أفظع ما يمكن أن تراه عينا إنسان على الإطلاق.

وقد مدح بريتون جاك فاشيه(٣) كثيراً، وذكره مرّات عدة مشيداً به، وبأنه الوحيد الذي كان يملك الدرع الذي حماه من كلّ عدوى، وعرّضَ بغيوم بمقولة أبولينير الذي مجّد الحرب " يا إلهي كم هي جميلة الحرب " كما وجّه انتقادات للشعراء الذين انخرطوا في " الجوقة الوطنيّة" بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، ولم يغفر لهم ذلك، وحينما احتل الألمان بلاده عام ١٩٤٢م غادر بريتون ولم يعد إلا عام ١٩٤٧م، أما باقي أعضاء الحركة السريالية ورموزها فانخرط كثير منهم في حركة المقاومة ضد النازية وساندوها.

إنَّ الشعر السريالي شعرٌ غير واقعي يعبُّر عن الواقع بطريقة تَعْبُرُهُ وتتجاوزه ، وتبني عالماً جديداً خالياً غير مألوف، فهو ينشأ عن (دوافع لاشعورية تبتدع القصيدة كما تخلق الحلم، ويرى إيلوار أن القصيدة مجموعة من الهلوسة والجنون والتذكر والقصص القديمة والمشاهد المجهولة والأفكار المتضاربة، والتنبؤات البعيدة، وحشد العواطف والعري وتشويش العقل والعبث، إنها باختصار انطلاق الوحي الحرّ من أعماق النفس وتدفقه بحرية تامة مخترقاً جميع الحواجز) (الأصفر، ١٩٩١، صفحة ١٨١) .

فالشعر السريالي ينطلقُ بعيداً ليرسم عالمه الخاص، ضارباً كلّ المنظومات الأخلاقية والأدبيّة التقليدية عرضَ الحائط، فهو شعرٌ متمرد لأبعد حدٍّ ممكن، لذلك نرى في نصوص شعرائه أنهم لا يبالون بأي شيء، فهم يرون كلّ ذلك رفاهية أمام واقع مروع يعاش، وصراع دموي لم يعرفه له التاريخ مثيلاً، خسر بسببه الملايين حياتهم، وتشرّد الباقين في أصقاع العالم بحثاً عن مكان يكون مهرباً وملجأ من كلّ هذا الدمار، يقول بول ايلوار في قصيدة جرنيكا(٤)، (إيلوار، جرنيكا ، ٢٠٢١):

ولكن الوقت الذي سنزيل فيه آثار الجريمة

سيجيء متأخراً

رصاص المدافع الرشاشة

يقضي على القتلى

رصاص المدافع الرشاشة

يداعب الأطفال

أسرع مما تداعبهم الريح

بالحديد والنار

إلى أن يقول (إيلوار، أدب، ٢٠٢١):

الأطفال تهيئوا للرحيل

بصورة قاطعة

ولسوف نعود نحن

إلى عصرنا البدائي الأول

هذا النص يقدم لنا صورةً شعرية سريالية تعكس فوضى الحرب وعنفها وعبثيتها ودمارها، ويحمل في طياته صوراً متناقضة؛ فالرصاص الذي عادةً ما يحمل الموت "يداعب الأطفال" بطريقة صادمة، فيتحول إلى "مداعب" قاتل، دلالةً إلى وحشية الحروب التي تقتل الطفولة وتلغي البراءة وتحوّلها إلى مجرد ضحية ومجرد رقم في قائلة طويلة تبدأ ولا تنتهي.

إنّ جرّاح الحرب لا يمكن أن تشفى، وإن بدأت فلن تنتهي إلا بحرق الأخضر واليابس، وتدمير الحرث والنسل، ولا يمكنُ أن تُزال تداعياتها وآثارها، لا بسنة ولا عقد ولا قرن من الزمن، فالأمل بالإصلاح عند الشاعر عبثي بعد الفوضى العارمة التي تخلقها الحرب وتعيد البشرية إلى "عصرها البدائي الأول"؛ أي، يُعيدها إلى نقطة الصفر كأنها لم تحرز أي تقدم على مختلف الأصعدة والاتجاهات، فالحرب دمار يطال كلّ شيء وأيّ شيء دونما استثناء.

إنَّ تناول الشعراء السرياليين للحرب كان من خلال أكثر المناطق المؤثرة في الإنسان، وهم الأطفال؛ والمرأة الخاسر الأكبر في أوقات الحروب والأزمات، يقول لويس أراغون في إحدى قصائده (بيتر.ك.رودس، ١٩٥٩، صفحة ١٠٦):

ومرة أخرى ستحول بعد اليوم بينك وبين المرآة

عيون الأطفال الموتى هذه

هذا المقطع من نصٍّ شعري لآراغون ، نجد فيه رؤية عميقة تتجاوز السطحيّة حيث الجمع بين عناصر متناقضة: المرآة من ناحية كرمز للرؤية التي تتمحور حول الذات وعيون الأطفال الموتى الحاجز لا يمكن تجاوزه بأي شكل من الأشكال، فحتى مجر النظر إلى الذات (المرآة) يُعاق بذاكرة الأطفال الأبرياء الذين فقدوا حياتهم في حرب مدمرة بلا أي ذنب أو شعور بالمسؤولية.

إنّ الأطفال هم الحلقة الأضعف عند اندلاع الحرب، وعليهم يقع عبء كبير أثناء اندلاعها، ليس هذا فحسب، فهم يحرمون من أجمل سنين حياتهم، ويفقدون طفولتهم جرّاء الظروف المأساوية التي ترافق هذه الأزمات الإنسانية، لذلك نجد كثيراً من الشعراء يضمنون قصائدهم ما تمرّ به هذه الفئة البريئة من مشاهد مروعة وموت وفقدان لهم، يقول آراغون في نصّ آخر (بيتر.ك.رودس، ١٩٥٩، صفحة ٩١):

النساء قد انحنين تحت حملهن

يبكين اللعب الضائعة

وأطفالهن قد فتحوا عيونهم الواسعة

يبكون لعبهم الضائعة

الأطفال يرون دون أن يفهموا

آفاقهم التي أُسيء حمايتها
الأطفال يرون دون أن يفهموا
المدفع الرشاش على تقاطع الطرق
وحانوت البقالة الكبير أصبح رماداً
المدفع الرشاش على تقاطع الطرق
الجنود يتكلمون بصوت خفيض
والكولونيل يقف في فناء
الجنود يتكلمون بصوت خفيض
يحصون جرحاهم وموتاهم
وفي مدرسة في أحد الفصول
يحصون جرحاهم وموتاهم

إنّ العنف بمختلف تمظهراته والذي يكون جسد الإنسان ساحةً له، ويؤدي إلى صراعات يكون الإنسان الخاسر الأكبر فيها، لذلك الشعراء يحاولون أن يعبروا بحرارة عن هذه التفصيلة التي تناولها الكثير منهم، فالشاعر هنا يعبّر عن آلام أمّة بكاملها، فهذه المرأة وقد انحنت تحت هذه الهموم التي زادت الحرب أعباءها حملاً ثقيلاً، وكأن المرأة هنا هي الأرض أيضاً التي تحمّلت لدرجة الانحناء من هذا العبث والجنون الذي يحصل عليها، وهذا الطفل الذي لم يفهم بعد ما يحصل حوله، ونرى الشاعر كيف كرر ذلك في قصيدته، وكأنه يؤكد على براءة الأطفال التي لم تتعلم بعد عالم الحروب وآلامه ومعاناته وصراعاته، لذلك بكوا " لعبهم الضائعة" فالزمن فرض عليهم أن يكونوا شهوداً على مرحلة " المدفع الرشاش" والصراع الذي لا يعرف عقلاً ولا منطقاً.

إنَّ استخدام المدفع هنا هو كرمزٍ للعنف والموت الذي يلاحق الجميع في الطرق والمدارس والمتاجر ويترك الناس بلا حيلة أمامه، ويحصد منهم فرادى ومجموعات.

يهبط الليلة
فوق باريسَ
سلامٌ غريبٌ
سلامُ عيون عمياء
وأحلام لا لون لها
تصْطدمُ بالجُدْرانِ
وجباه منهزمة
ورجالٍ غائبينَ
نساءٍ مضيْنَ
شاحباتٍ ،
باردات ،

مالهن دموعٍ.
يهبط الليْلةَ في مناخ الصَمْتِ
فوق باريس بريق غريبٌ
فوق قلب باريس الطيِّبِ الْعجوزِ
بريق أجش بريق الجريمةِ
المبيتة الوحشية النقية
جريمةٌ ضِدَّ الجلادينَ
ضِدَّ الْموْتِ.

فالقصائد في تلك المرحلة الزمنيّة كانت مرآة للحرب وما تفضي له من تحطيم لأبسط صور الحياة الطبيعية، فهي تجعلها شاحبة بلا لون، وتفقد الإنسان القدرة على المضي قدماً تاركةً إيَّاه في دوامة المجهول.

إنّ قصيدة بول إيلوار أعلاه (مارسيناك، ١٩٥٢، صفحة ١٠٤)هي رثاء للإنسان والمدينة: باريس، فكلاهما يعانيان معاً، جرّاء محنة غير مسبوقة ومجنونة هي محنة الحرب، لذلك نجد تناول الشاعر لها تناولاً إنسانيّاً عاطفيّاً، فهو يجعل لباريس " قلباً طيباً عجوزاً" وكأنها بشر يحسّ بالمعاناة ويدركها، وربما اختار الشاعر هنا كلمة عجوزٍ ليشير لحقيقة أنّ المحن والمعاناة والظروف القاسية تحوّل الموجودات لغصنٍ يابس بعد أن كان غضاً طرياً يفيض عنفوانا وشباباً، فالمدينة أيضاً تكبر وتكهل لا الإنسان وحدهُ.

إنَّ الشعر السريالي في تلك الفترة الزمنية كان مليئاً بمعانٍ عميقة ومتناقضة، تعكس إرهاصات الحرب وتناقضاتها، وذلك بتصويرها بطريقة سوداوية تنسجم والرؤية السريالية في التعبير عن المضامين بصورة مرعبة (إيلوار، أدب، ٢٠٢١):

الضحايا رعوا الدمع
جرعوه كالسم الزعاف
الإنسان تلطخه الدماء.
حتى أن السفاحين أصبحوا
أقل مرارة من العنب المر
العيون انفقأت
والقلوب انطفأت
والأرض أضحت باردة
تسري فيها برودة الموت

إنَّ الضحايا في الأزمات الإنسانيّة يتحولون إلى رقم عابر تتناقله وسائل الإعلام برتابة ومللٍ، ولا زال ضحايا الحربين العالميين وتلك الأرقام المهولة ترن في أسماعنا وذاكرتنا، حيث فقد عشرات الملايين أرواحهم دون أن يهتزّ للعالم أي طرف وأي ضمير، حالةٌ تطمس كلّ معالم الحياة، تتسم بالعبثية والضياع.

يعمد بول إيلور في هذا النص إلى رسم صورة بشعة تشبه بشاعة الحرب تماماً، فهو يترجم واقعاً مأساوياً بصورة شعريّة سوداوية، فالضحية أصبح راعياً لدموعه في صورة تجمع بين متناقضين بين " الرعي" وبين "الدموع" من جهة أخرى، دلالةً على أنّ الدموع أصبحت واقعاً لا مفرّ منه ولا هروب، ففي أوقات الحروب يصبح الدمع جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان، وسلوى عن الفقد؛ فقد العائلة أو الأصدقاء أو الوطن أيضاً، وهو نفسه يتحول لسمٍ زعاف لا مناص من تجرعهِ على الرغم من كونهِ قاتلاً في النهاية.

واستخدام الشاعر هنا " السمّ الزعاف " ذكي للغاية، وذلك تعبيراً عن معاناة الذين عاصروا الحرب ووقعوا ضحية لها، وكلّنا يعلم مدى ما يصاحبه من ألمٍ ووجع وأنين يؤدي بصاحبه في معظم الأحايين إلى موت أكيد أو حياة مشلولة بلا طعم أو لون أو رائحة.

إنَّ الشعراء السرياليين وقفوا ضدّ كلّ أنواع الحروب مهما كان غايتها، وقفوا ضد الدم والعنف والدمار، وقفوا ضدّ" إنسان تلطخه الدماء" ودعوا إلى إنسان حرّ متمرد حالمٍ وتلقائي على الطريقة السريالية.

فلقد هرب السرياليون من كلّ الرقابات المنطقيّة والأخلاقية والمجتمعيّة ليعبروا بطريقة جديدة عن واقع الحرب المجنون، فالعيون منقفأة، والقلوب مطفأة، دلالة على موت كلّ شيء، وسحق كلّ معالم الجمال، فالعين لا ترى إلاّ دماراً من حولها، والقلب ينطفأ عن الحب والمشاعر والأحاسيس، وتنعدم فيه الرؤية الأخلاقيّة.

وعمد الشاعر أيضاً إلى أنسسنة الموجودات؛ الأرض عبر اكسابها صفاتاً بشريّة وإنسانية، فبرودة الموت التي تسري في جسد الإنسان بعد موته تسري في الأرض أيضاً، وكأن هناك ربطاً بين الضحايا والطبيعة، حيث تصبح الأرض وتتحول إلى جزء لا يتجزأ من فوضى كبيرة تسمّى الحرب، والبرودة هنا ليست حسيّة فحسب، بل هي تعبير عن مضمون أكبر بانعدام الحياة وفقدان الدفء في عالم مجنون تتلاعب به قوى الظلام.

إنّ قصيدة إيلوار هي ترجمة عميقة لرؤية السريالية عن الحرب، حين يتحول كلّ شيء إلى ضده وتسحق الإنسانية تحت أصوات المدافع والقنابل، والأرض تموت كأي جسد، وتتتالى استعمال المشاهد المشوهة والمتناقضة، فالحرب كما يظهر النصّ الشعري أعلاه ليس دماراً مادياً فحسب، إنما هي تدمير لكل ما يجعل الإنسان إنسانًا: بدءاً من عواطفه، ورؤيته تجاه الحياة، ونهاية بانتمائه إلى الأرض والوجود.

كما نجد في القصائد السريالية نمطاً آخر مختلفاً يتمثل في السخرية والتهكم بصورة تتعدى كلّ الحدود الأخلاقية والاجتماعيّة، ومن ذلك قصيدة " شاهدة نصب تذكاري لقتلى الحرب " لبنجيمان بيريه ، يقول في بعض منها (المغامرة السرياليّة، ٢٠١٦، صفحة ٢٢٢):

قال لنا الجنرال
وأصبعه في إسته
ها هو العدو أمامكم
هيّا إليه
كان ذلك من أجل الوطن
وهرعنا إليه
وأصبعنا في إستنا
وقالت لنا القوّاد

أصبعها في إسته

موتوا أو

أنقذوني

إنَّ القصيدة السريالية تلعن الحرب ومن أشعلها ومن ساهم فيها وتسخر بطريقة لاذعة من الجنرالات وكلّ الذين يساهمون في تأجيجها من قريب أو بعيد، يقول فليب سوبو في إحدى قصائده (المغامرة السرياليّة، ۲۰۱٦، صفحة ۲۰۳):

هؤلاء الأغبياء ذو الشارات الوطنية

من لا ينسون نشوة الدم

كلهم هنا

مجتمعين ومتعطشين إلى الدم

إلى أن يقول:

هل كان علينا أن نموت جميعاً

كي يبرد غليل الأرض

لأننا نقتل باسم الحرية والمجد والحقية

ويقول انطونين آرتو أحد الشعراء السرياليين في نص له (المغامرة السرياليّة، ۲۰۱٦، صفحة ۲۳۷) :

أيها البابا أنت كرسي الاعتراف

إنما نحن

عليك أن تفهم هذا

وعلى الكاثوليكية أن تفهمنا

باسم الوطن باسم العائلة

أنت تدفع إلى بيع الأرواح وسحق الأجساد

وتبلغ السخرية حداً كبيراً عنّد بنجيمان بيريه في هذه القصيدة (المغامرة السرياليّة، ۲۰۱٦، صفحة ۲۲٦):

أنا السيد تييه

بطني خراء وأقدامي أقدام الخنازير

رأس مرفوع

حررت الأرض

وزرعت البصل في فرساي

ومشطت باريس بالرشاش

إنّ هذه النماذج التي عُرضت أعلاه هي جزء من قصائد وقفت ضد الحرّب وسخرت من كلّ الذين أسهموا فيها، من جنرالات وجنود وذو شارات وطنية خادعة، ومن البابا نفسه، متحدية الجميع ودون أن تضع حدوداً لأي اعتبارات كانت، سواء أخلاقية أو دينية أو مجتمعيّة، فالشاعر السريالي شاعر متمرد لا يهتمّ إلا بحريته التي تتيح له مهاجمة من يشاء دون اكتراث.

وكلّنا يعلم أن السخرية متصلة اتصالاً وثيقاً بالسياسة، فمن خلالها يعبّر الشاعر عن واقعه البائس والذي يريد مخرجا منه، ولا شكّ أنها سلاح في أيدي المظلومين وكلّ مضطهد في وجه القياصرة والجنرالات وكلّ من أشعل نيران الحرب التي لم تهدأ إلا بعد أن أخذت معها ملايين الضحايا والمعاقين والمتأزمين نفسياً ، الذين خسروا فرصة العيش بكرامة وحرية وآمان، لذلك عمد الشاعر السريالي إلى التهكم والنقد اللاذع والسخرية، فهي بوابته للتعبير عن واقع مجنون يحتاج لشعرٍ وتعابير أكثر جنوناً وغضباً.

ومن جانب آخر نلاحظ أن القصائد جاءت فقيرة فنيّاً، وتميل للتقريرية والمباشرة، ومرد ذلك حسب تصوري أنّ الشاعر السريالي أصلاً لا يحبّ التزويق اللفظي وغير مكترث له أصلاً، فمن جملة ما خرج عليه هو الشعر التقليدي الذي يكتب بطريقة نمطية مزورقة، وثانياً لأن المقام أصلاً لا يسمح بغير ذلك، فالواقع المتردي والصعب الذي عاشه هؤلاء الشعراء وظروف الحرب المستعرة تحتاج لقصيدة تكتب بطريقة مغايرة، صادمة وفظيعة ، فالدماء في كلّ مكان ، والضحايا في كلّ مكان، والطريقة الرومانسية التقليدية في التعبير لا تنفع أمام واقع من هذا النوع، هذه كلها أسباب جعلت النصوص بهذا الشكل إضافةً لسبب آخر وجيه هو أن الترجمة تفقد الشعر الكثير من بريقه وعناصر الجمالية فيه.

ومما نلاحظه أيضاً في القصائد التي تناولت الحرب موضوعاً لها أن الشاعر يعمد إلى تكرار كلمات معينة في القصيدة أو تكرار تراكيب كاملة، كما توضح ذلك بعض النماذج أعلاه، وأيضاً هناك أمثلة أخرى ، منها (المغامرة السرياليّة، ٢٠١٦، صفحة ٢٢٤):

أعرني ذراعك
كي استبدل ساقي
التي أكلتها الجرذان
في فيردان(٥)
في فيردان
أكلت كثيراً من الجردان
لكنهم لم يعيدوا إلي ساقي
ولهذا السبب منحت وسام الحرب
وساق من خشب
وساق من خشب

يقدم الشاعر هنا صورة مرعبة من صور الحرب، تعبّر بواقعيّة عن قسوتها على الإنسان جسداً وملمحاً ،لا سيما الجنود الذين يلتحقون في جبهات القتال ويكونون وقوداً لنيرانها، حيث يصبح رؤية أجساد مبتورة الأيدي أو سيقان مقطوعة هو المنظر العادي ، ورؤية الجثث وهي مرمية في كلّ مكان ومشوهة بطريقة مروعة هو الشيء المعتاد وأنت مجبر وسط هذا كلّه

ان تعيش وتتعايش معه كأن شيئاً لم يكن، لذلك يعمد الشاعر إلى تكرار مثل هكذا أمور لأنها راسخة في ذاكرته بشدّة، وترسخ عند من يقرأها وحشية الحروب التي تطحن كلّ من يكون في دوامتها طحن الرحى بلا هوادة، لذلك تأتي السخرية هنا تعبيراً عن أقصى درجات الألم، فهي نوع من أنواع الكوميديا السوداء، واللعب مع الوجع، وتحضر بصورة ساخرة عنده لأنه لا يملك غيرها في وجه من أشعلوا تلك النيران التي أكلت البشر والحجر.

إنَّ السخرية سلاح فعّال لمن لا يمتلك غيرها في مواجهة آلة الحرب ومؤسسيها ومشعليها وقوادها وجنرالاتها، هي تنفيس عما

يتضح في نهاية هذا البحث أن السريالية كحركةٍ والسرياليين كأشخاص وقفوا ضد الحرب فعلاً وقولاً وسلوكاً، بل إنّ من أسباب ظهور الحركة السريالية هو الواقع المأساوي الذي خلفته الحروب، حيث تسبب بمقتل عشرات الملايين من الضحايا وخلّفت الباقين إما معاقاً أو يعيش أزمات نفسية واجتماعية واقتصادية صعبة، وهذا كلّه خلّف ردات فعلٍ على صعد مختلفة، لا سيما عند الشعراء كما تبين لنا في مظان هذا البحث.

أهمّ النتائج

بعد هذه الرحلة الطويلة مع السريالية والسرياليين والغوص عميقاً في الأزمات الإنسانيّة وتأثيرها على الشعر في تلك الحقبة الزمنية المهمّة من تاريخ العالم أدرج هنا بعضاً من النتائج التي توصلها لها:

– شكلت الأزمة الإنسانيّة منعطفاً حاداً في نشوء الحركة السريالية، بل كانت سبباً مباشراً من أسباب ظهور هذه الحركة.

– أدان الشعراء السرياليين الحرب بصورة مباشرة وبأشكال مختلفة، وذلك إما عبر قصائدهم كما بينّا في مطاوي البحث أو من خلال منشوراتهم أو عبر ممارسة سلوكيات معينة كالتظاهرات وغيرها.

– على الرغم من أن بعض الشعراء السرياليين انخرط في الحرب وذلك عبر المقاومة المسلحة كلويس آراغون إلا أنهم كانوا رافضين لها جملة وتفصيلاً كما اتضح ذلك في قصائدهم، وانخراطهم جاء جبراً لا اختياراً منهم.

– كان الشعر السريالي مؤثراً وعاطفياً يبرز المأساة الإنسانيّة بكلّ وضوح.

– أبرز الشاعر السريالي في قصائده مأساة الإنسان الذي يعيش الحرب وهواجسه مسلطاً الضوء على معاناته خصوصاً تلك التي تتعلق بالطفل والمرأة الذين أثقلتهم الحروب بقسوتها.

– يميل الشعر السريالي في موضوعة الحرب في النماذج المختارة إلى التقريرية والمباشرة، عدا بعض الاستثناءات القليلة.

– تتضح السخرية والنقد اللاذع في القصائد السريالية التي تناولت المأساة الإنسانية والحرب موضوعاً لها، متجاوزة كلّ الحدود المنطقية والأخلاقية والدينية، فالشاعر السريالي لا يقيم اعتباراً لأي رقابة كانت ذاتية أو اجتماعية، لذلك نجده يعرض بمشعلي الحرب وقادتها وجنرالاتها دون اكتراث.

– عمد الشاعر السريالي في أحايين كثيرة إلى التكرار في قصائده، ترسيخاً لمعاناة الإنسان وسط دمار الحرب وضياعاتها.

الهوامش

(١) كانديدو بورتيناري : رسام برازيلي شهير، استخدم أسلوباً واقعياً مؤثراً في لوحاته، ورسم ما يربو على " ٥٠٠" لوحة.

(٢) وهي معركة من معارك الحرب العالمية الأولى، حدث فيها القتال في ٢١ أبريل — ٢٥ مايو ١٩١٥ للسيطرة على قرية الفلاميين إيبر في بلجيكا .

(٣) توفي فاشيه في غرفة فندق في نانت في ٦ يناير ١٩١٩ بسبب جرعة زائدة من الأفيون، وكانت إلى جانبه جثة جندي فرنسي آخر عارية. عُرف عنه عدم اللامبالاة بالثقافة الفرنسية المعاصرة، وكان يرتدي نظارة أحادية اللون، وعاش حياة مضطربة، لم يترك أية عمل أدبي مكتمل عدا رسائله من جبهة الحرب التي نُشرت عام ١٩١٩، وكتبت إلى بريتون ولويس أراغون وفراينكل وآخرين، والتي اكتسبت مكانة مهمّة لدى السرياليين.

(٤) جرنيكا: قرية إسبانيّة دكها الطيران الألماني عام ١٩٣٨، أثناء الحرب الأهليّة.

(٥) فيردان: مدينة تقع في شمال فرنسا، حدثت فيها معركة تعدّ من أسوأ معارك الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦م ، استمرت ٣٠٢ يومٍ ، وراح ضحيتها ما يقارب ٧٧٠ ألف جندياً بين جريح وقتيل ومفقود.

المصادر والمراجع

١. الكتب الورقية

- أمين صالح. (٢٠١٠). السوريالية في عيون المرايا (المجلد ٢). بيروت: دار الفارابي / دار الفراشة للنشر والتوزيع.
- أندري بريتون. (٢٠٢٢). لا أفتح بابي إلا للمطر. (مبارك وساط، المترجمون) الدمام، السعودية: منشورات جِبر.
- بول إيلوار. (٢٠٠٣). قصائد حب. (عصام محفوظ، المحرر) بيروت: دار الفارابي.
- سلفادور دالي. (٢٠٠٥). يوميات عبقري. (أحمد عمر شاهين، المترجمون) مكتبة الأسرة، مصر.
- سيجموند فرويد. (١٩٨١). أفكار لأزمنة الحرب والموت. (سمير كرم، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.
- عبد الرزاق الأصفر. (١٩٩١). المذاهب الأدبية لدى الغرب. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- علي الشوك. (بلا تاريخ). الدادائية بين الأمس واليوم. لبنان: المؤسسة التجارية للطباعة والنشر.
- لويس باروث ، جان مارسيناك. (١٩٥٢). بول إيلوار. (فؤاد حداد، المترجمون) مصر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- عدنان محسن . (٢٠١٦). المغامرة السرياليّة . بيروت: منشورات الجمل.
- مالكولم كولي ، بيتر.ك.رودس. (١٩٥٩). آراغون شاعر المقاومة. (عبد الوهاب البياتي، أحمد مرسي، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- محمد إسماعيل دندي. (١ أكتوبر, ١٩٩٧). السريالية والشعر العربي الحديث. المعرفة.
- محمد مندور. (١٩٧٠). الفن ومذاهبه. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- موريس نادو. (١٩٩٢). تاريخ السريالية . دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- والاس فاولي. (١٩٨١). عصر السريالية. بيروت: دار العودة.
- يوسف خياط. (١٩٧٤). معجم المصطلحات العلمية والفنية (المجلد الرابعة). بيروت: المطبعة العربية.

٢. المواقع الالكترونية

أحمد عثمان. (١٤ يوليو, ٢٠١٩). جاك فاشيه... «نيزك» لا يعرف الخضوع. تم الاسترداد من مركز الاتحاد للأخبار: https://www.aletihad.ae/article/٤١٣٣٧/٢٠١٩/%D٨٪AC%D٨٪A٧٪D٩٪٨٣-%D٩٪٨١٪D٨٪A٧٪D٨٪B٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٧-

%C٢٪AB%D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪B٢٪D٩٪٨٣٪C٢٪BB-%D٩٪٨٤٪D٨٪A٧-%D٩٪٨A%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٩٪٨١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AE%D٨٪B٦٪D٩٪٨٨٪D٨٪B٩

الحرب والسلام . (٦ سبتمبر, ١٩٥٧). تم الاسترداد من الأمم المتحدة:
https://www.un.org/ungifts/ar/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤%D٨٪AD%D٨٪B١٪D٨٪A٨-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٨٪A٨

الشِّعْرُ في زمن عولمة الحروب. (٢٠١٩). تاريخ الاسترداد ١٠ ١٢, ٢٠٢٤، من منشورات المتوسط:
https://almutawassit.it/singlePost/٦٨

بول إيلوار. (١٢ .Jan , ٢٠٢١) جرنيكا . تم الاسترداد من أدب:
https://www.adab.com/post/view_post/٧٠٣٧٠

بول إيلوار. (٢٨ ٢, ٢٠٢١). أدب. تم الاسترداد من أدب:
https://www.adab.com/post/view_post/٧٠٣٧٠

بول إيلوار. (٢٨ ٢, ٢٠٢١). قتل. تم الاسترداد من أدب:
https://www.adab.com/post/view_post/٧٠٤٧٥

بيرغيت غيرتس صلاح شرارة. (٢٥ ١١, ٢٠١٣). مائة عام على الحرب العالمية الأولى. تم الاسترداد من قناة :DW
https://٢u.pw/a٠mungG

حسونة المصباحي. (١٦ إبريل, ٢٠٢٤). السورياليون والحرب. تاريخ الاسترداد ٢٠ ٦, ٢٠٢٤، من الشرق الأوسط:
https://aawsat.com/%D٨٪AB%D٩٪٨٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨١٪D٨٪A٩-%D٩٪٨٨٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦/٤٩٦٥٤٤١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٨٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٨٪A٨

حميد عقبي. (٣٠ أغسطس, ٢٠٢٣). السرياليون ومفهوم الشعر: "يجب أن يُكتب من قبل الجميع". تم الاسترداد من ضفة ثالثة:
https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/opinions/٢٠٢٣/٨/٣٠/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٧٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٤٪D٨٪B٩٪D٨٪B١-%D٩٪٨A%D٨٪AC%D٨٪A٨-%D٨٪A٣٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨A%D٩٪٨٣٪D٨٪AA%D٨٪A٨-%D٩٪٨٥٪D٩٪٨٦-%

سلفادور دالي. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد ٧ ٦, ٢٠٢٤، من موسوعة ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨١٪D٨٪A٧٪D٨٪AF%D٩٪٨٨٪D٨٪B١_%D٨٪AF%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨A

صالح هاشم. (٢٧ أيلول, ٢٠١٧). السريالية فلسفة الحرية. تاريخ الاسترداد ١٩ ٥, ٢٠٢٤، من الشرق الأوسط:
https://aawsat.com/home/article/١٠٢٧٥٥٦/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٩٪٨١٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨١٪D٨٪A٩-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٩.

فؤاد الكنجي. (١٠ ١٠, ٢٠١٦). السريالية و الكتابة الأوتوماتيكية في الشعر. تاريخ الاسترداد ٣١ ٥, ٢٠٢٤، من الحوار المتمدن: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٥٣٤٢٤٦

قحطان بيرقدار. (١٠ ٦, ٢٠١٠). السريالية والأدب. تم الاسترداد من الألوكة الأدبية واللغوية:
https://٢u.pw/h٢FAiuW .

Sources and References

۱.Paper books:

•Amin Saleh. (۲۰۱۰). Surrealism in the Eyes of Mirrors (Volume ۲). Beirut: Dar Al-Farabi / Dar Al-Farasha for Publishing and Distribution.

•Andre Breton. (۲۰۲۲). I Only Open My Door for Rain. (Mubarak Wasat, Translators) Dammam, Saudi Arabia: Hibr Publications.

•Paul Eluard. (۲۰۰۳). Love Poems. (Essam Mahfouz, Editor) Beirut: Dar Al-Farabi.

•Salvador Dali. (۲۰۰۵). Diary of a Genius. (Ahmed Omar Shaheen, Translators) Family Library, Egypt.

•Sigmund Freud. (۱۹۸۱). Ideas for Times of War and Death. (Samir Karam, Translators) Beirut: Dar Al-Tali'a.

•Abdul Razzaq Al-Asfar. (۱۹۹۱). Literary Schools in the West. Damascus: Arab Writers Union.

•Ali Al-Shawk. (undated). Dadaism Between Yesterday and Today. Lebanon: Commercial Printing and Publishing Establishment.

•Louis Baruth, Jean Marcinac. (۱۹۵۲). Paul Eluard. (Fouad Haddad, translators) Egypt: Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing.

•Adnan Mohsen. (۲۰۱٦). The Surrealist Adventure. Beirut: Al-Jamal Publications.

•Malcolm Colley, Peter K. Rhodes. (۱۹۵۹). Aragon, the Poet of Resistance. (Abdul Wahab Al-Bayati, Ahmed Morsi, translators) Beirut: Arab Institution for Studies and Publishing.

•Muhammad Ismail Dandi. (October ۱, ۱۹۹۷). Surrealism and Modern Arabic Poetry. Knowledge.

•Muhammad Mandour. (۱۹۷۰). Art and its Schools. Cairo: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution.

•Maurice Nadeau. (۱۹۹۲). History of Surrealism. Damascus: Publications of the Ministry of Culture.

•Wallace Foley. (۱۹۸۱). The Age of Surrealism. Beirut: Dar Al-Awda.

•Youssef Khayat. (۱۹۷٤). Dictionary of Scientific and Technical Terms (Volume Four). Beirut: Arab Press.

٢-Websites

Ahmed Othman. (July ١٤, ٢٠١٩). Jacques Vache... A "Meteor" That Does Not Know Submission. Retrieved from Al Etihad News Center: https://www.aletihad.ae/article/٤١٣٣٧/٢٠١٩/%D٨٪AC%D٨٪A٧٪D٩٪٨٣-%D٩٪٨١٪D٨٪A٧٪D٨٪B٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٧-%C٢٪AB%D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪B٢٪D٩٪٨٣٪C٢٪BB-%D٩٪٨٤٪D٨٪A٧-%D٩٪٨A%D٨٪B٩٪D٨٪B١٪D٩٪٨١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AE%D٨٪B٦٪D٩٪٨٨٪D٨٪B٩

War and Peace. (September ٦, ١٩٥٧). Retrieved from United Nations: https://www.un.org/ungifts/ar/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٨٪A٨-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٨٪A٨

Poetry in the Age of Globalization of Wars. (٢٠١٩). Retrieved ١٠ ١٢, ٢٠٢٤, from Al-Mutawassit Publications: https://almutawassit.it/singlePost/٦٨

Paul Eluard. (١٢ Jan, ٢٠٢١). Guernica. Retrieved from Adab: https://www.adab.com/post/view_post/٧٠٣٧٠

Paul Eluard. (٢٨ ٢, ٢٠٢١). Literature. Retrieved from Literature: https://www.adab.com/post/view_post/٧٠٣٧٠

Paul Eluard. (٢٨ ٢, ٢٠٢١). Killing. Retrieved from Literature: https://www.adab.com/post/view_post/٧٠٤٧٥

Birgit Gertz Salah Sharara. (٢٥ ١١, ٢٠١٣). One Hundred Years of World War I. Retrieved from DW: https://٢u.pw/a٠mungG

Hassouna Al-Masbahi. (١٦ April, ٢٠٢٤). The Surrealists and War. Retrieval date: ٢٠ ٦, ٢٠٢٤, from Middle East: https://aawsat.com/%D٨٪AB%D٩٪٨٢٪D٨٪A٧٪D٩٪٨١٪D٨٪A٩-%D٩٪٨٨٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦/٤٩٦٥٤٤١-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٨٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٨٪A٨

Hamid Aqbi. (August ٣٠, ٢٠٢٣). Surrealists and the concept of poetry: "It should be written by everyone." Retrieved from Third Bank: https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/opinions/٢٠٢٣/٨/٣٠/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨٨٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٧٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٤٪D٨٪B٩٪D٨٪B١-%D٩٪٨A%D٨٪AC%D٨٪A٨-%D٨٪A٣٪D٩٪٨٦-%D٩٪٨A%D٩٪٨٣٪D٨٪AA%D٨٪A٨-%D٩٪٨٥٪D٩٪٨٦-%

Salvador Dali. (undated). Retrieved ٧ June ٢٠٢٤, from Wikipedia: https://ar.wikipedia.org/wiki/Surrealism_Philosophy_of_Freedom

Saleh Hashem. (September ٢٧, ٢٠١٧). Surrealism is a philosophy of freedom. Retrieval date ١٩ ٥, ٢٠٢٤, from Middle East: https://aawsat.com/home/article/١٠٢٧٥٥٦/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٧

%D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٩٪٨١٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨١٪D٨٪A٩-
%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AD%D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٩.

Fouad Al-Kanji. (١٠ ١٠, ٢٠١٦). Surrealism and automatic writing in poetry. Retrieved ٣١ ٥, ٢٠٢٤, from the civilized neighborhood: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٥٣٤٢٤٦

Qahtaan Birqadar. (١٠ ٦, ٢٠١٠). Surrealism and Literature. Retrieved from Aloka Literary and Linguistics: https://٢u.pw/h٢FAiuW.

منهج الإمام أبي عبدالله محمد بن علي القلعي في التأليف "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" أنموذجاً

د. أحمد بن عبدالرحمن سالم بالخير
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم التطبيقية، جامعة ظفار، سلطنة عمان

الملخص

يتناول هذا البحث منهج الإمام أبي عبدالله محمد بن علي القلعي في تأليف كتابه "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" من خلال كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، حيث تم الوقوف من خلال البحث على سيرة حياة المؤلف ومكانته العلمية ، ومن ثم طبيعة عصره. وبعد ذلك تم تناول المحاور الرئيسة التي تضمنها كتابه المشار إليه إضافةً إلى أهميته وطريقة القلعي في تناول محتوياته من خلال ذلك المنهج المحكم الذي تقوم عليه كتبه، وهو منهج يمكن وصفه —بادئ ذي بدء- بأنه منهج واضح المعالم، قريب المقصد، سهل المأخذ، يصل فيه القارئ أو الباحث إلى مبتغاه دون أدنى جهد؛ لأن صاحبه توخى فيه تيسير الفائدة منه، وجعلها تعم فتنتشر، فتشمل العوام والخواص، ولا تختص بفئة معينة من الناس، وذلك من خلال تيسير سبل البحث في مؤلفاته، وتخير مادتها، وطريقة عرضها، الأمر الذي يكسب كتبه طابعاً جماهيرياً، ويستدل منه على عقلية الرجل المعلم المؤلف الذي يمتلك موضوع كتابه، ويحيط إحاطة تامة تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر، ووضوح وجلاء، وبطريقة تؤدي إلى الإفهام والإقناع من خلال اطلاعه الوافي على مظانّ كتبه، واستيعابه لمفردات اللغة، ومعرفته لأساليبها، ومقدرته الفائقة في توظيف الشواهد وحسن استخدامها.

الكلمات المفتاحيّة: منهج التأليف، القلعي، تهذيب الرياسة.

١. حياة الإمام القلعي

١-١: اسمه، ولادته، نسبته، وفاته

هو الإمام " أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي ، قيل بفتح القاف وسكون اللام نسبة إلى قلعة حلب المدينة المعروفة بالشام ، وقيل بفتحهما نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب ، وقيل غير ذلك "(١).

لم تسعفنا كتب التراجم بتاريخ ولادته إلا أن المرجّح أنه ولد في العقد الثامن من القرن الخامس الهجري تقريباً(٢).

و قد اختلف المؤرخون في نسبة الإمام القلعي و في ضبط هذه النسبة تبعاً لاختلافهم في القلعة المنسوب إليها الإمام و في أي بلاد المسلمين هي(٣)، إلا أن ياقوت الحموي ذكر في معجمه " و القَلْعة موضع باليمن ينسب إليها الفقيه القلعي درس بمرباط ، و صنّف كنز الحفاظ في غريب الألفاظ ، والمستغرب من ألفاظ المهذب ، واحتراز المهذب ، وأحاديث المهذب ، وكتاباً في الفرائض ومات بمرباط "(٤)، مما يعضّد الترجيح بأنه من اليمن وليس من بلاد المغرب، كما أن نشأته وتلقّيه العلم بزبيد يشكّلان دعما لهذا الترجيح.

تشير كتب التراجم إلى أن القلعي عمِّر طويلاً حيث ناهز التسعين وصرّح بذلك الجندي في السلوك والخزرجي في العقود اللؤلؤية وتابعهم في ذلك الزركلي حيث أطبقوا على أن وفاته بمرباط في سنة ٦٣٠هـ ، إلا أن تاريخ الوفاة المنقوش على قبره يشير إلى سنة ٥٧٧هـ وقد مال إلى ذلك الأستاذان أكرم عصبان وسالم فرج مفلح(٥).

١-٢: شيوخه ، تلاميذه ، أعماله ، كتبه ، أقوال العلماء فيه

على الرغم من شهرة العلامة محمد بن علي القلعي التي أطبقت الآفاق ــ على حدّ تعبير أصحاب التراجم والطبقات ــ إلا أن المصادر لم تسعفنا بسيرة حياته لنتمكّن من خلالها الوقوف على شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم ، وليس هذا بمستغرب ، فمعظم علماء تلك الحقبة في ذلكم الركن الجنوبي من جزيرة العرب قد لفّ حياتهم ذلك الغموض المبرر وغير المبرر في أكثر الأحيان. وعليه فقد طفقت بالبحث عن أية إشارة إلى شيوخه من خلال كتب التراجم فلم أجد مبتغاي فتمثّلت بيت امرئ القيس :

وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ، حَتى رَضيتُ، مِنَ الغَنيمَةِ، بالإيابِ(٦)

إلا أن صاحب كتاب أدوار التاريخ الحضرمي ألمح إلى أن الشيخ سالم بن فضل بن عبدالكريم بافضل قد نظم فيه تلميذه محمد بن علي الظفاري قصيدة مادحاً إياه ، ومطلعها:

أبُرودُ وشي في المواسمِ تُنشرُ فَمُهفْهفٌ و مُسَهَّمٌ و مُحَبَّرُ(٧)

إن مما لا شك فيه أن الإمام القلعي قد أخذ هذا العلم والفقه بالتلقي ومجالسة كبار علماء زمانه لاسيما أنه نشأ في زبيد وعاصر الكثير من العلماء في تلك الفترة وهذا ما سنراه لاحقاً عند الحديث عن عصره.

أما تلاميذه فهم كثر ومن أشهرهم :

- أبو نصير يحيى بن نصير الأوسي ، كان معلماً في زمن المنجوي إلى أن قدم الإمام القلعي فلزمه وأخذ عنه(٨).
- أبو الحسن علي بن أحمد بامروان ، طلب العلم بتريم ورحل إلى مرباط فتخرّج بالإمام القلعي(٩).

بدأ الإمام القلعي نشاطه في مرباط(١٠) عاصمة إقليم ظفار ، فأقبل على التدريس ونشر العلم ، وأطبقت شهرته النواحي ، فقصده طلاب العلم ، ونستطيع أن نجمل أعماله في مقولة صاحب طبقات فقهاء اليمن في فصل (معرفة أسماء الفقهاء والقضاة من بلاد شتى) " ففي مرباط مفتيها وفقيهها محمد بن علي القلعي، له مصنفات حسنة منها قواعد المهذب وغيره "(١١)، فأعماله هي :

١. الفتيا :

قال ابن منظور في لسان العرب : " الفُتْيا والفُتْوى والفَتْوى ما أفتى به الفقيه "(١٢)، و المفتي: هو المخبر بحكم الله لمعرفته بدليله، وقيل: هو المخبر عن الله بحكمه، وقيل : هو المتمكن من معرفة أحكام الوقائع شرعا بالدليل مع حفظه لأكثر الفقه(١٣). تتضح لنا أهمية الفتيا من خلال التعريفات السابقة ولذلك فقد وضع العلماء الكثير من الشروط الملزمة لمن يتصدّر هذا المجال ، بل قد قام البعض إلى تقسيم المفتين إلى طبقات ومن هؤلاء ابن الصلاح في كتابه أدب المفتي والمستفتي ، وبالرجوع إلى ذلك الكتاب نجد أن الإمام القلعي يدخل في المرتبة الثالثة من الإفتاء حيث يقول ابن الصلاح : "الحالة الثالثة: أن لا يبلغ رتبة أئمة المذهب أصحاب الوجوه والطرق، غير أنه فقيه النفس حافظ لمذهب إمامه، عارف بأدلته، قائم بتقريرها، وبنصرته، يصور، ويحرر، ويمهد، ويقرر، ويزيف، ويرجح، لكنه قصر عن درجة أولئك، إما لكونه لم يبلغ في حفظ المذهب مبلغهم، وإما لكونه لم يرتضي في التخريج والاستنباط كارتياضهم، وإما لكونه غير متبحر في علم أصول الفقه على أنه لا يخلو مثله في ضمن ما يحفظه من الفقه ويعرفه من أداته، على أطراف من قواعد أصول الفقه، وإما لكونه مقصرًا في غير ذلك من العلوم التي هي أدوات الاجتهاد الحاصل لأصحاب الوجوه والطرق. وهذه صفة كثير من المتأخرين إلى أواخر المائة الخامسة من الهجرة المصنفين الذين رتبوا المذهب وحرروه وصنفوا فيه تصانيف بها معظم اشتغال الناس اليوم، ولم يلحقوا بأرباب الحالة الثانية في تخريج الوجوه، وتمهيد الطرق في المذهب"(١٤).

٢. القضاء :

هنالك فروق بين القضاء و الإفتاء ، وهذه الفروق ترجع إلى فرق في حقيقتهما ، وفروق في توابعهما ومجالاتهما ، فمن حيث الحقيقة أن القضاء إنشاء لا إخبار فهو " إنشاء إباحة أو الزام في مسائل الاجتهاد المتقارب فيما يقع فيه النزاع لمصالح الدنيا "(١٥)، في حين يكون الإفتاء إخبار يحتمل التصديق والتكذيب لا إنشاء. ومن هنا فالقضاء لا يكون إلا بلفظ منطوق ، وتكون الفتيا بالقول أو الفعل أو الإشارة. أما الفروق بينهما في توابعهما فهي أن الحكم يلزم المحكوم عليه قبوله والعمل به ، سواء اعتقده صواباً أم اعتقده خطأ. والفتيا بخلاف ذلك ، لا يلزم المستفتي قبولها والعمل بها ما لم يغلب على ظنه أنها صواب. ومن الفروق في مجالاتهما ، فالأحكام في الواجبات والمحرمات والمباحات ، ولا تكون في المكروهات والمستحبات. ويكون الإفتاء في ذلك كله. كما أن القضاء خاص بالمعاملات ، والإفتاء يكون في العبادات والآداب بالإضافة إلى المعاملات.

٣. التدريس :

تصدر القلعي للتدريس في مرباط ، فقصده طلاب العلم من كل ناحية ، وتتلمذوا على يديه في الفقه والفرائض والسياسة وغيرها فتخرّج به من العلماء الأجلاء من انتشر عنهم العلم في ظفار وحضرموت وغيرها.

٤. مؤلفاته:

إن تلك الأعمال الجليلة لم تشغل الإمام القلعي عن التأليف فصنّف العديد من الكتب أسهمت في إثراء الحياة العلمية والمكتبة الإسلامية فذكرت لنا كتب التراجم الكثير من تلك الكتب ومنها :

١. احترازات المهذب : ذكره السبكي في طبقاته حيث قال في ترجمة الإمام محمد بن علي القلعي : "صاحب كتاب احترازات المهذب ... " ، كما سجّل الخزرجي في العقود اللؤلؤية شهادة الفقهاء بتفرّده فقال : "وله احتراز المهذب الذي شهد له أعيان الفقهاء أنه لم يصنف في الاحتراز له نظير ".
٢. قواعد المهذب : ذكره ابن سمرة الجعدي فقال : " ... له مصنفات حسنة منها قواعد المهذب"(١٦)، وممن ذكره الجندي في السلوك والخزرجي في العقود اللؤلؤية .
٣. كنز الحفاظ في غريب الألفاظ : أشار إليه الجندي والخزرجي والزركلي.
٤. إيضاح الغوامض في علم الفرائض(١٧) : وهو عبارة عن مجلدين جيدين ، جمع فيهما بين مذهب الإمام الشافعي وغيره من أقوال الأحناف والمالكية ، مما يدل على اطلاعه على المذاهب الأخرى، وأنه لم يكن مقتصراً على دراية بمذهب الشافعي فقط. كما أورد فيه طرفاً جيداً من الجبر والمقابلة والوصايا ، وهذا يدل على احاطته بعلم الحساب.
٥. أحكام القضاة : ذكره الخزرجي والزركلي ، ويطلق عليه البعض أحكام القضاء.
٦. لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار : ذكره الخزرجي في العقود اللؤلؤية والجندي في السلوك والزركلي في الأعلام ، ويعد هذا الكتاب من أنفس كتب الإمام القلعي وأعظمها نفعاً ؛ إذ إن موضوعه متعلق بشمائل وصفات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيان فضلهم الذي جاء منصوصاً في الكتاب والسنة ، وقد أفرده العلماء بالتأليف وجعلوه في أبواب الاعتقاد.
٧. اللفظ المستغرب من ألفاظ المهذب : ذكره السبكي في طبقاته فقال : " وله كتاب آخر في مستغرب ألفاظه " أي المهذب ، كما نقل عنه الفيومي في مصباحه " وقال الشيخ أبو عبدالله القلعي في كتابه على غريب المهذب : القَرَن بفتح الراء بمنزلة العَفَلَة، فأوقع المصدر موقع الاسم ، وهو سائغ "(١٨).

٨. تهذيب الرياسة وترتيب السياسة : أشهر كتب الإمام القلعي ذكره الجندي في السلوك ، والخزرجي في العقود اللؤلؤية ، وخير الدين الزركلي في الأعلام.

٥. أقوال العلماء في الإمام القلعي:

لعل خير ما يدل على مكانة القلعي العلمية ويؤكد أهمية مؤلفاته تلك الشهادات التي سجلت بأقلام مترجميه ، فمن تلك الأقوال :

_ قول بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي (ت٧٣٢هـ) في مؤلفه السلوك في طبقات العلماء والملوك : " عنه _ أي القلعي _ انتشر العلم ، فتسامع به الناس إلى حضرموت ونواحيها ، فقصدوه وأخذوا عنه الفقه وغيره ، بحيث لم ينتشر عن أحد بتلك الناحية كما انتشر عنه ، وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه ".

_ قول أبي الحسن علي بن الحسين الخزرجي (ت٨١٢هـ) في كتابه طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن : " وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها، وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية ، ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر عنه ، وأعيان فقهائه أصحابه وأصحاب أصحابه ".

- **قول شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في كتابه تقريب التهذيب: " إن الفقه الشافعي انتشر عن القلعي بظفار وحضرموت ، وإن الناس تسامعوا به في حضرموت وغيرها، فقصدوه وحملوا عنه "(١٩).**

٢ : عصره

٢-١ : أوضاع زبيد

كانت زبيد قد شهدت في القرن الخامس الهجري ظهور دولة جديدة ، ففي سنة ٤١٢هـ ظهرت دولة بني نجاح التي قامت على أنقاض دولة بني زياد في تهامة ، وقد شجع نجاح مذهب أهل السنة ، وكان نجاح نفسه شافعي المذهب ، وانتهت هذه الدولة في حدود سنة ٤٥٤هـ وظهرت الدولة الصليحية برئاسة علي بن محمد الصليحي ، واستمرت حتى سنة ٥٣٢هـ. وفي سنة ٥٥٤هـ قصد علي بن مهدي الرعيني زبيد وعاث فيها فساداً ، وتحت وطأت هذه الفتنة خرج الإمام القلعي من زبيد.

ومن ناحية أخرى فقد عرفت حضرموت في بدايات القرن الخامس الهجري العديد من الدول ، فهناك دولة آل راشد ومقرها مدينة تريم ، ودولة آل دغار ومقرها شبام ، ودولة آل إقبال ومقرها الشحر ، ودولة المنجوي ومقرها مرباط.

لقد عرفت زبيد بكونها مركزاً للعلوم ، وخاصة للمذهب الشافعي الذي ازداد رسوخاً لسببين : أحدهما: تبني الدولة النجاحية له ، وثانيهما : العلماء الدين ما فتئوا يحررون أصوله ويقررون فروعه ، حتى أقبل الناس عليه من سائر البلاد خاصة بعد دخول المهذب للشيرازي إليها. ومن علماء الشافعية الذين كانت تعج بهم زبيد القاسم بن محمد الجمحي (ت:٤٣٧هـ) الذي أخذ عنه علماء لحج وأبين، والفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي (ت:٥١٤هـ) أخذ عنه جلة الفقهاء من أبين وحضرموت.

وكان الأمر كذلك في حضرموت فقد اختار علماء حضرموت الفقه الشافعي أما انتشاره في حضرموت فإنما كان على يد الإمام القلعي الذي ألقى رحله بمرباط سنة (٥٥٤هـ)(٢٠).

٢-٢ : الحياة السياسية في مرباط

كانت ظفار في القرن السادس الهجري تحت حكم دولة المنجويين وعاصمتها مرباط، وكانت هذه الأسرة أسرة علم وأدب وكرم ومحبة للعلماء قبل أن تكون أسرة حكم وسياسة. وكان من أشهر سلاطينها أحمد بن منجوه وابنه محمد بن أحمد (قدم القلعي مرباط في عهده) والسلطان محمد بن محمد بن أحمد الملقب بالأكحل.

كانت مرباط في عهد المنجويين تحتل مكانة كونها بوابة اليمن على بلاد الهند والسند، إضافة إلى الاستقرار والعدل الذي أرست دعائمه الدولة المنجوية. وهنا تتضح بعض المعالم التي كانت وراء إلقاء الإمام القلعي رحله في مرباط بعد خروجه من زبيد إثر ثورة ابن مهدي حين كان في طريقه إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

٢-٣ : الحياة العلمية في مرباط

أشرت فيما سبق أن حضرموت قد شهدت ظهور المذهب الشافعي وغلبته في القرن السادس الهجري خاصة ، و منها سلك طريقه إلى ظفار ومرباط. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحركة العلمية في مرباط كانت متمثلة في وجود عدد من العلماء واستبنت ذلك من أخبار استقبالهم للإمام القلعي عند استراحته على الشاطئ بعد سفره الطويل من زبيد قاصدا بغداد، كما أن السلطان محمد بن أحمد المنجوي ـــ فيما يروى ـــ كانت لديه مكتبة حافلة بالكتب النافعة وقد ساوم الإمام القلعي في بقائه شريطة أن يمكّنه من مقتنياتها. وهكذا أصبحت مرباط قبلة يؤمها طلبة العلم لا سيما بعد استقرار الإمام القلعي بها وتصدره للتدريس فوفد إليها الكثير من طلبة العلم من حضرموت واستعاضوا بها زبيد.

٣ : السياسة الشرعية

عرّفها أبو البقاء الكفوي في كلياته، حيث قال: "السياسة هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير"(٢١).

والسياسة إذا كانت تنطلق من الشريعة وتتقيد بنصوصها وأحكامها كانت سياسة شرعية، وأما إن كانت تنطلق مما ترى العقول صوابه من خلال تصوراتها وتجاربها من غير تقيد بالشرع فهذه سياسة عقلية أو مدنية، وهي مباينة للسياسة الشرعية.

ألف العلماء المسلمون في السياسة الشرعية إلا أن ذلك التأليف ظهر متأخراً ولا غرو في ذلك إذ إن من المعروف أن وجود العلم يسبق تدوينه بمدة قد تطول وقد تقصر، فتدوين العلم لاحق على وجوده، وذلك أمر موجود في كل العلوم الدينية أو الدنيوية، ولا يعني عدم تدوين العلم في الفترة السابقة على التدوين عدم وجد العلم فيها فذلك أمر لم يقل به أحد .

لقد تعددت مناهج العلماء في هذا المجال فكتب التراث السياسي في الإسلام تُعَدُّ بالمئات، وقد أَلَّف هذا التراث الفقهاء والأدباء والفلاسفة؛ لذلك نجد أن مناهج هذه الكتب مختلفة تبعاً للمنهج الذي أُلِّفت من خلاله، والهدف الذي كُتبت من أجله، ومن الخطأ الظن أن هذه الكتب صُنِّفت على نسق واحد، وأن التراث السياسي في الإسلام أُلِّف بطريقة واحدة، ويتعرض للسياسة من منظور واحد، بل نجد من خلال استقراء التراث السياسي الإسلامي أن هذا التراث كُتب بمناهجَ مختلفة، ونجد الموضوع الواحد يُعالج في هذا التراث بطرق مختلفة؛ تبعاً لاختلاف المنهج والتصور العام للمفهوم السياسي للإسلام.

ومن هذه الكتب : آداب الملوك لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، و الأحكام السلطانية والولايات الدينية وكتاب درر السلوك في سياسة الملوك لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي (ت

٤٥٠هـ) ، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي يعلى الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ) ، وغياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت٤٧٨هـ) ، و التبر المسبوك في نصيحة الملوك لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، و تهذيب الرياسة وترتيب السياسة لمحمد بن علي بن أبي علي القلعي (ت٥٧٧هـ) ، و المنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري (ت٥٨٩هـ).

٣-١ : كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة وأهميته

ألّف الإمام القلعي كتابه تهذيب الرياسة وترتيب السياسة سالكاً منهجاً يهدف إلى وعظ الملوك والحكام والولاة، عن طريق ذكر النصائح والأخبار والحكم والأمثال في فضائل الأخلاق التي يستقيم بها الملك وتصلح بها حال الرعية، كما يتعرض في كتابه إلى بيان خطر الأخلاق المذمومة وأثرها في زوال الملك وضعفه، وذكر القلعي في كتابه ما يجب أن يتصف به أعوان السلطان من الوزراء والقادة ، كما يذكر الإحسان إلى الجند وفرض الأرزاق لهم وكيفية جباية الأموال، وحسن التدبير في الحروب ومكايدها. وقد خرج الكتاب محققاً في طبعته الأولى عن مكتبة المنار بالأردن سنة ١٩٨٥م.

تكمن أهمية تهذيب الرياسة وترتيب السياسة في كونه موجهاً إلى الحكام والسلاطين والأمراء ليكون لهم مرشداً ودليلاً فيما يقومون به من أمور دينية ودنيوية. أضف إلى ذلك فهو موجّه إلى من هم قريبون من أولئك الحكام والوزراء فدعاهم إلى أن يتحلّلوا بالصفات الحميدة الفاضلة . فضلاً عن أنه موجّه إلى عامة الشعب في دعوتهم إلى السمع والطاعة. والحق أن هذا الكتاب يعتبر نموذجاً لما كان عليه العلماء العاملون الذين كتبوا في كل فن واستغلوا إمكانياتهم لخدمة العلم والإسهام في توجيه الحياة نحو الأفضل ، خاصة في هذا الموضوع الحيوي الحساس الذي يهم الأمة كلها ، لأنه بصلاح متولّيها تصلح.

لم يشر الإمام القلعي في كتابه إلى أنه قد ألّف هذا الكتاب لأحد السلاطين أو الحكام _ كما كان أكثر يفعل أكثر من ألّف في هذا المجال كالغزالي في كتابه التبر المسبوك الذي وجّهه إلى السلطان السلجوقي في عهده _ وإنما قدّمه حسبة لله تعالى . لقد عني الإمام القلعي في كتابه بالسير والأفعال والأقوال الدالة على السؤدد والحكمة والحنكة السياسية والأخلاق الحميدة.

٣-٢ : منهج القلعي في كتابه

لقد كان الكتاب موجهاً إلى أطياف مجتمعية متعددة فهو للحكام والسلاطين والوزراء والرعية ولذلك كان عليه أن يسلك في تقديمه منهجاً يتناسب وهذه الأطياف المتعددة فاعتمد ذلك المنهج المحكم الذي يمكن وصفه -بادئ ذي بدء- بأنه منهج واضح المعالم، قريب المقصد، سهل المأخذ، يصل فيه القارئ أو الباحث إلى مبتغاه دون أدنى جهد، لأن صاحبه توخى فيه تيسير الفائدة منه، وجعلها تعم فتنتشر، فتشمل العوام والخواص، ولا تختص بفئة معينة من الناس، وذلك من خلال تيسير سبل البحث في مؤلَّفه، وتخير مادته ، وطريقة عرضها، الأمر الذي أكسب كتابه طابعاً جماهيرياً، ويستدل منه على عقلية الرجل المعلم المؤلف الذي يمتلك موضوع كتابه، ويحيط إحاطة تامة تمكنه من توضيح عناصره بسهولة ويسر، ووضوح وجلاء، وبطريقة تؤدي إلى الإفهام والإقناع من خلال إطلاعه الوافي على مظانّ كتبه، واستيعابه لمفردات اللغة، ومعرفته لأساليبها، ومقدرته الفائقة في توظيف الشواهد وحسن استخدامها.

وقد حرص على مثل هذه الميزة ليسهل تناوله ويقرب مأخذه، ولذلك أسهب في شرح منهج كتابه بشكل واف في المقدمة ، كما حرص على عرض مادته بأسلوب واضح لا غرابة فيه لتكون المادة العلمية التي يقدمها قريبة المأخذ، سهلة المطلب لأن هدفه عامة الناس وليس خاصتهم فقط. يقول في مقدمة كتابه : " فهذا الكتاب جمعته في تهذيب الرياسة وترتيب

السياسة وجعلته قسمين : القسم الأول منه يشتمل على أنواع أبواب يحتوي على غرر من كلام الحكماء ودرر من نظام الفصحاء مما ينسبك في قالب الأمثال الشاردة وينتظم في سلك الحكم الواردة يتضمن محاسن الأوصاف المحمودة من ذوي الأمر و ذم أضدادها وما يجب استعماله أو تركه من الأمور التي يحمد متبعها عاقبة إصدارها وإيرادها. والقسم الثاني بحكايات من الخلفاء ووزرائهم وعمالهم وأمرائهم مما يدل على نبلهم وغزارة فضلهم وحسن سيرتهم وكمال مروءتهم وما اشتملت عليه طرائقهم وحوته خلائقهم من العدل والإنصاف والبذل والإسعاف والعفو عند الاقتدار وقبول النصح من الناصحين وسماع الموعظة من الصالحين مع ما اتصفوا به من علم وأدب ووقار وحلم وفصاحة وبراعة وسماحة وشجاعة فمن اتخذ ذلك إماماً ارتفع وانتفع ومن عمل بما شاكله رشد وحمد. وقد ابتدأت ذلك بذكر وجوب الإمامة وعدم الاستغناء عن الولاة وما يجب لهم على الكافة من الطاعة والموالاة والله تعالى الموفق لانتظامه والتيامه والمعين على إتمامه واختتامه "(٢٢).

ومن خصائص المنهج التأليفي عند القلعي:

١. العناية بذكر مصادر كتابه وحسن استخدامها وتوظيفها في البحث. وهي مسألة لا ينفرد بها القلعي، وإنما تشكل إحدى مرتكزات المنهج التأليفي عند العرب ابتداء من القرن الرابع الهجري.

فمن الحقائق المستقرة في الحياة العلمية عند العرب، أن الرواية الشفوية، كانت المصدر الذي يمثل الأساس فيما نقل عن العرب من معارف وعلوم، وقد عني القدماء بها عناية فائقة تمثلت في اهتمامهم البالغ بإسناد كل خبر إلى راويه، وكل قول إلى قائله وكل نص إلى منشئه، واستمر هذا الاهتمام إلى ما بعد عصر التدوين، وقادهم ذلك —وما يتضمنه من ذكر المصدر وإيراد السند- إلى تحري الدقة وتوخي الضبط، ودفعهم للتلمذة على شيوخ العلم وأئمته. لقد أورد القلعي في كتابه أسماء الكثير من المصادر التي استقى منها معلوماته ومن ذلك : كتاب المبهج للثعالبي حيث ذكره في مواطن كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر : " ومن كلام الثعالبي في المبهج : الملك من يوالي لأوليائه صلاته "(٢٣)، و " ومن كتاب المبهج : لا يتخذ الملك الأعوان إلا أعيان ، والأخلاء إلا أجلاء ، والندماء إلا كرماء "(٢٤)، و مقامات الحريري ذكرها في مواضع عدة منها : " وقال الحريري : أسعد الناس من سعدت به رعيته "(٢٥). كما أنه ذكر أسماء بعض الأعلام الذين أورد أقوالهم ومن ذلك : " وقال الحسن : والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم"(٢٦)، و " قال معاوية : أنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه "(٢٧).

٢. شرح بعض المفردات ، ومن ذلك شرحه لفظة (الداري) الواردة في الحديث " مثل الجليس الصالح كالداري إن لم يحذيك من عطره، عَلَقَكَ من ريحه " حيث قال الإمام القلعي : " قلت الداري : العطار ، ويحذيكَ : أي يعطيك ويهب لك "(٢٨)، و تفصيله للفظة (الحطمة) في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " شر الرعاة الحطمة " قال القلعي : " قلت : الحطمة من الرعاة هو العنيف برغبة المال فكأنه يحطّمها أي يكسرها "(٢٩) بل نجده يسلك أكثر من ذلك أحياناً ففي خطبة الحجاج عند ولايته على أهل العراق التي أوردها الإمام القلعي قال : " وهذه الحكاية قد اشتملت على ألفاظ كثيرة من الغريب ، وأنا أشير إلى بيانها على سبيل الاختصار ..." ثم شرح في تفسير الغريب من تلك الخطبة(٣٠).

٣. انتفاء ظاهرة الاستطراد وتكرار النصوص ، هذه الظاهرة التي نراها بارزة في منهج التأليف عند العرب وكان لهم في ذلك وجهة نظر، فالقلعي ملتزم بالموضوع الذي يعالجه لا يتجاوزه، متقيد بالفكرة التي يفرضها لا يتعداها حتى يعطيها حقها، ويوفر لها كل مستلزماتها، ويسوقها بطريقة تكشف عن مقدرة بارعة على تناول الموضوعات وعرضها وتحليلها. وقد قاده هذا الأمر إلى عدم تكرار المادة في الكتاب الواحد، بل نراه حريصاً على ذلك في رسم منهج كتابه متيقظاً له، متحاشياً إياه في كثير من مواضع الكتاب.

٤. اهتمامه بعلم الحديث ، حيث نجده يدلل على المسألة ، فلا يذكر رأياً أو يورد قولاً دون أن يستدل عليه بالنصوص من الكتاب والسنة.

لقد تجنب ذكر الخلافات الفقهية في الفروع وهو مسلك حسن في منهجية كتب السياسة حتى لا يشتت الذهن ويوقع المسؤول في حيرة ، وإن وُجدَ شيء من هذا أشار إليه إشارة مقتضبة كما قال في وجوب نصب الإمام وما يجب أن يتوافر فيه من الأوصاف " أجمعت الأمة قاطبة إلا من لا يعتد بخلافه على وجوب نصب الإمام على الإطلاق وإن اختلفوا في أوصافه وشرائطه "(٣١).

الخاتمة

وهكذا كان منهج القلعي في التأليف مؤسساً على ثوابت علمية واضحة، تمثلت في الترتيب الواضح، والمأخذ السهل، ووحدة الموضوع، وانتفاء التكرار، والتوثيق العلمي، فظهر لنا مؤلفاً متميزاً متمكناً، توافرت لكتابه مقومات المنهج العلمي الحديث، مما يجعله يشغل منزلة رفيعة بين رجالنا العظماء وعلمائنا النوابغ، وكتّابنا الأفذاذ، جاء بجديد في مجال التأليف والتصنيف، وأسهم في تطور منهج التأليف والبحث عند العرب.

النتائج والتوصيات

من خلال استعراض حياة الإمام القلعي، بيئته، مؤلفاته، ومنهجه في التأليف، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١. **مكانة الإمام القلعي العلمية:**
   - الإمام القلعي كان أحد أبرز علماء عصره، حيث جمع بين الفقه، التأليف، والقضاء.
   - تأثر ببيئته العلمية في زبيد، التي كانت مركزاً للعلوم الشرعية والمذهب الشافعي، مما انعكس على منهجه العلمي.
   - شهرته انتشرت في ظفار وحضرموت، واستفاد منه طلاب العلم في تلك النواحي.

٢. **مؤلفاته وأثرها:**
   - تميز الإمام القلعي بغزارة إنتاجه العلمي، ومن أبرز مؤلفاته *تهذيب الرياسة وترتيب السياسة*، الذي أصبح مرجعاً مهماً في السياسة الشرعية.
   - مؤلفاته لم تقتصر على الشريعة، بل شملت علوم اللغة، والفقه المقارن، وعلم الفرائض، مما يعكس تنوع اهتماماته وعمق معرفته.
   - حرص القلعي في مؤلفاته على توثيق المصادر، وعرض الشواهد، وتجنب الاستطراد، مما يجعله نموذجاً للمؤلف المنهجي.

٣. **منهجه في التأليف:**
   - اعتمد القلعي منهجاً واضحاً وميسراً يخاطب شريحة واسعة من القراء، مما جعل مؤلفاته متاحة للعامة والخاصة.
   - تميزت كتاباته بالتوثيق العلمي الصارم، والترتيب المنهجي، مما يجعلها تلبي متطلبات البحث العلمي الحديث.

٤. **كتاب *تهذيب الرياسة وترتيب السياسة*:**

- يمثل نموذجاً للسياسة الشرعية التي تجمع بين الحث على الفضائل الأخلاقية والنصائح العملية للحكام.
- جمع القلعي بين النصوص الشرعية والأمثال والأقوال المأثورة لتوضيح رسالته.
- الكتاب يبرز دور العلماء في تقديم النصح للحكام وتحقيق التوازن بين الدين والسياسة.

٥. **البيئة السياسية والعلمية التي عاش فيها:**

- تأثر القلعي بالاستقرار النسبي الذي عرفته مرباط في ظل حكم المنجويين، مما وفر له البيئة المناسبة للتأليف والتدريس.
- خروجه من زبيد نتيجة الاضطرابات السياسية يظهر تأثر العلماء بالمتغيرات السياسية والاجتماعية في مناطقهم.

٦. **السياسة الشرعية ومنهج القلعي فيها:**

- قدم الإمام القلعي تصوراً متوازناً للسياسة الشرعية، يركز على الإصلاح الأخلاقي والإداري.
- كان هدفه توجيه الحكام للعدل، والرعية للطاعة، والعلماء للنصح، مما يعكس شمولية منهجه.

التوصيات:

- الاستفادة من مؤلفات الإمام القلعي كمصدر لتدريس السياسة الشرعية والتاريخ الإسلامي.
- إجراء دراسات مقارنة بين منهج القلعي ومناهج معاصريه في التأليف.
- إحياء مؤلفات القلعي الأخرى من خلال تحقيقها ودراستها لتسليط الضوء على مساهماته المتنوعة.

الهوامش

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ، أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٣٣م ، ٤٥٣/١.

(٢) جهود الإمام القلعي العلمية ، أكرم مبارك عصبان ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، صنعاء ، /١١.

(٣) انظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك ٤٥٣/١ ، و العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن علي بن الحسين الخزرجي ، وقد رجّح خير الدين الزركلي في الأعلام نسبته إلى قلعة حلب ، ٢٨١/٦.

(٤) معجم البلدان ، ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ٣٨٩/٤ ، وانظر: طبقات الشافعية ، عبدالرحيم الإسنوي ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ١٦٤/٢ حيث أضاف:" منسوب إلى بلد باليمن يقال لها القلعة ، بينها وبين زبيد نحو يوم ".

(٥) انظر: حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة ، سالم فرج مفلح ، دار حضرموت للدراسات والنشر ، المكلا ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ، /١٥٧.

(٦) دوان امرئ القيس ص٦.

(٧) أدوار التاريخ الحضرمي ، محمد بن أحمد بن عمر الشاطري ، دار المهاجر ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ١٩٨/١.

(٨) انظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك ٤٤٥/٣.

(٩) السابق ٤٤٨/٣.

(١٠) " وضبطها بخفض الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم طاء مهملة سميت بذلك لكثرة ما كان يربط بها من الخيل " السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/٤٥٣.

(١١) انظر: طبقات فقهاء اليمن ، عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم ، بيروت ، /٢٢٠.

(١٢) لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، (فتا).

(١٣) السابق.

(١٤) أدب المفتي والمستفتي ، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح ، تحقيق د.موفق عبدالله عبدالقادر ، دار العلوم والحكمة ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م ، /٩٨.

(١٥) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام ، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ١٤١٦هـ ، /٢٠.

(١٦) طبقات فقهاء اليمن /٢٢٠.

(١٧) انظر: جهود الإمام القلعي العلمية /٦١.

(١٨) المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، تحقيق د.عبدالعظيم الشناوي ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، باب (القاف):".

(١٩) نقلاً عن : جهود الإمام القلعي العلمية /٤٤.

(٢٠) طبقات فقهاء اليمن /٨٧-١٥٣.

(٢١) الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي١/٨٠٨.

(٢٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة /٧٢-٧٣.

(٢٣) السابق / ١٢٤.

(٢٤) السابق / ١٥٢.

(٢٤) السابق /١٢٤.

(٢٥) السابق/١٨٣.

(٢٦) السابق /١٩٤.

(٢٧) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة /١٥١.

(٢٩) السابق /١٩٤

(٣٠) السابق / ٢٨٢-٢٨٤.

(٣١) السابق /٧٤.

المصادر والمراجع

١ــ الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام ، شهاب الدين أحمد ابن إدريس القرافي ، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبوغدة ، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ١٤١٦هـ.

٢ــ أدب المفتي والمستفتي ، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح ، تحقيق د.موفق عبدالله عبدالقادر ، دار العلوم والحكمة ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٣ــ أدوار التاريخ الحضرمي ، محمد بن أحمد بن عمر الشاطري ، دار المهاجر ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤ــ الأعلام ، خير الدين بن محمود الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

٥ــ تقريب التهذيب أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ وهو اختصار لكتابه تهذيب التهذيب على تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي.

٦ــ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للإمام أبي عبدالله محمد بن علي القلعي ، تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى عجو ، مكتبة المنار ، الأردن ــ الزرقاء ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧ــ جهود الإمام القلعي العلمية ، أكرم مبارك عصبان ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، صنعاء.

٨ــ حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة ، سالم فرج مفلح ، دار حضرموت للدراسات والنشر ، المكلا ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٩ــ السلوك في طبقات العلماء والملوك ، أبوعبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٠ــ طبقات الشافعية ، عبدالرحيم الإسنوي ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١١ــ طبقات فقهاء اليمن ، عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، تحقيق فؤاد سيد ، دار القلم، بيروت.

١٢ ــ طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ، علي بن الحسين الخزرجي ت ٨١٢هـ تحقيق عبدالله محمد الحبشي الحضرمي والدكتور مصطفى عبدالكريم الخطيب، دار المناهج للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٣ــ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن علي بن الحسين الخزرجي ، تصحيح وتنقيح الشيخ محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال ، مصر ١٩١١م.

١٤ــ الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق د.عدنان درويش و محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ,١٩٧٦

١٥ــ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٦ــ المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، تحقيق د.عبدالعظيم الشناوي ، دار المعارف، الطبعة الثانية.

١٧ــ معجم البلدان ، ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

تقييم الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى لتدريسي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة في جامعة بغداد

د. هند سالم تايه، د. عائد صباح النصيري و د. دنيا علي عبد الحسن سليم

قسم الألعاب الفردية، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة بغداد، قسم النشاطات الطلابية، كلية التمريض، جامعة بغداد و قسم النشاطات الطلابية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العراق

الملخص

يعد تزويد تدريسيي الجامعة بالكفايات اللغوية والخبرات الأكاديمية والثقافية والمهنية ذات أهمية تحتاج إلى مراجعات مستمرة لغرض تطويرها بوساطة تحسين كفاياتهم، و باعتماد خبرات أكثر ملائمة مع الواقع، ليأتي بمخرجات تلبي مستوى طموحات المجتمع المتوقعة من النظام التربوي، ومن هذهِ الكفايات هي الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى التي هي مجموعة من القدرات اللغوية السليمة وما يرتبط بها من مهارات يمتلكها المدرس لتمكينه من أداء مهامه وأدواره ومسؤولياته خير أداء، مما ينعكس ذلك إيجاباً على العملية التعليمية، ليحقق بذلك فن إجرائي قابل للتطبيق والتنفيذ، إذ لاحظ الباحثون ضرورة البحث في مشكلة ضعف السلامة اللغوية الفصحى لدى عينة البحث المتمثلة بتدريسي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة البالغ عددهم (٢٥١) تدريسياً، واعتمدت منهجية البحث الوصفي بالاسلوب المسحي بإعتماد استمارة التقييم، وبعد معالجة النتائج إحصائياً كانت الاستخلاصات والتطبيقات بظهور ضعف واضح في كفاياتهم اللغوية الفصحى، وضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى بطريقة مهنية وجذابة، وإشراك عينة البحث في دورات تطويرية بصورة دورية، وضرورة إيجاد آليات تعاون أكاديمي مع أستاذة اللغة العربية لتقديم الدعم والمساندة بغية رفع مستوى الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى لتدريسي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

الكلمات المفتاحيّة: الكفايات اللغوية، تدريس التربية الرياضية.

المقدمة

"يجب أن يلم المدرس في القرن الحادي والعشرين ببعض المعلومات العامة بعيداً عن نطاقه وتخصصه، وأن يكتسب ثقافة عامة حيث أن المفهوم الحديث للشخص المثقف في القرن الحادي والعشرين وخاصة المدرس هو الذي يمتلك قدرات ومهارات كثيرة ومتنوعة في مجالاتٍ عدةٍ". (الزهراني ، ٢٠١٩، ص١١٨)

إذ إن "الوظيفة الأساسية لمدرس التربية الرياضية هي التدريس وتعليم المهارات في مختلف الألعاب، وعملية تدريس المهارات لها طرائق عدة يتبعها المدرس للوصول إلى هدف يستند إلى تطوير قدرات الطلبة فيها".(جري، ٢٠١٨، ص٣٣)

كما إن "دور مدرس التربية الرياضية أكثر أهمية عن مدرسي المواد الأخرى ، فهو المدرس والصديق والمربي بالنسبة للطالب ، فالطالب لا يتفاعل مع مدرس التربية الرياضية في المدرسة فقط، بل يكون قريباً منه في كثيرٍ من المناسبات خارج المدرسة سواء كانت في الأنشطة الخارجية أو في مسابقات ودية أو في الملاعب والقاعات الرياضية، وهنا يبرز دور مدرس التربية الرياضية في أكتشاف المواهب وتوجيه الطلبة نحو المجالات التي يتميّزون بها، كما يوجههم لأحترام الذات وبناء شخصية مُتزنة ويرشدهم إلى كيفية التغلب على ما يصادفهم من مشاكل في علاقاتهم الإجتماعية، ومن تصرفات مُنحرفة أو غير مقبولة إجتماعياً فيستشرونه بأعتباره من الشخصيات المحبوبة لدى الطلبة والمؤثرة فيهم يلقى آذاناً صاغية بما ينصحههم به". (ميرفت ، ٢٠٠٨، ص ٥٥)

كما يُعد "نجاح مدرس التربية الرياضية في القيام بأدواره الجديدة المتوقعة، وجوب إمتلاكه جملة من الكفايات والقدرات التي تتفوق على الكفايات التي يمتلكها مدرس اليوم". (الحايك ، ٢٠٢٢، ص١٠)

إذ إنه "يحتاج النظام التعليمي لدرس التربية الرياضية إلى مراجعات بإستمرار لغرض تطويره بوساطة تحسين كفاياته الداخلية بوساطة اختيار مدخلات أفضل وتنظيم أفضل، وبأعتماد خبرات أكثر ملائمة مع الواقع، ليأتي بمخرجات من هذا النظام لكل ما يلبي مستوى طموحات المجتمع المتوقعة من النظام التربوي، ومن هذهِ الكفايات هي الكفايات التدريسية لمدرس التربية الرياضية التي هي مجموعة من القدرات وما يرتبط بها من مهارات يمتلكها المدرس لتمكينه من آداء مهامه وأدواره ومسؤولياته خير أداء، مما ينعكس ذلك إيجاباً على العملية التعليمية إذا كان مستوى هذهِ الكفايات مقبولاً، ليحقق بذلك فن إجرائي قابل للتطبيق والتنفيذ". (الغراوي، ٢٠١٧، ص ١١٧)

مشكلة الدراسة

إن أعتماد اللغة العربية الفصحى في الدروس العملية للتربية الرياضية تسهم في أمتلاك الطلبة ثروة لغوية تدعم شخصيتهم كأكاديمين يرتادون الجامعات الرسمية، والتحدث بلسان فصيح لكل من اعضاء التدريس وطلبتهم يعد من مدلولات الاحتفاظ بثقافة البلد وأحترام لتراثه وخصوصيته.

كما يعد مدرس التربية الرياضية من أهم عناصر العملية التعليمية، كما أن العلاقة تكون طردية بين مستوى الطلبة الأكاديمي والثقافي الذي يتضمن لغة البلد الفصحى، والمستوى الأخلاقي وسلوكهم الإجتماعي، وفضلاً عن درجة كفاءة مدرس التربية الرياضية وجودة مختلف النشاطات البدنية والمهارية التي يقدمها.

إذ لاحظ الباحثون بحكم عملهم المهني في كليات التربية البدنية وعلوم الرياضة في العراق بإن الأيعازات والأوامر التي يصدرها المدرس في الدروس العملية تعتمد بالدرجة الأساس على اللهجة (العامية) العراقيةالتي هي خليط من مختلف اللغات التي لا تمت للغة العربية الفصحى بصلة أو بعضها يميل لكن ليس باللفظ النحوي السليم لمفرداتها، وغالباً ما يميل المدرسون إلى استخدامهم إلى المفردات العامية والمصطلحات اللغوية الغريبة تماماً عن اللغة الفصحى، كما يعتمد القلة منهم على استخدام اللغة العربية الفصحى، التي صارت تشكو من قلة أستخدامها في الدروس في مختلف الكليات التربوية خارج أقسام اللغة العربية، وذلك يسبب لاحقاً صعوبة لدى الطلبة في أستخدامهم للمفردات السليمة لاسيما وإن خريجي هذهِ الكليات سيكونوا مدرسي يمتد ذلك إلى التأثير إلى الإضرار بلغة طلبة المدارس الذين سيدرسونهم هؤلاء المدرسين مستقبلاً لتشكل بذلك ظاهرة مجتمعية متفاقمة يصعب السيطرة عليها، أو الحد منها.

يبرز هنا التحدي هو إيجاد التوازن بين استخدام اللغة العربية الفصحى وتلبية احتياجات العملية التربوية والتعليمية، وتطوير كفايات المدرسين بما ينسجم مع تلبية تعزيز اللغة الفصحى لدى الطلبة داخل المجتمع الجامعي، وما سيكونوا عليه هؤلاء الطلبة مستقبلاً.

أهداف الدراسة

هدف البحث إلى تقصي مستوى استخدام المفردات اللغوية السليمة في مختلف الأيعازات والأوامر التي يصدرها المدرسين في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

ليتفرع عن الهدف الرئيس الأهداف التالية :

١) الكشف عن نقاط الضعف في استخدام اللغة الفصحى للمدرسين في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

٢) التعرف على مدى وثوق طلبة الكلية بالمستوى اللغوي للمدرسين في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

٣) معرفة مدى دعم عمادة الكلية لاستخدام اللغة الفصحى في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الدراسة في ان التغاضي عن الاهتمام بدعم الكفايات التدريسية لااللغوية الفصحى للتدريسيين في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة سيؤدي إلى اكتساب الطلبة مفردات لغوية غير سليمة ومن ثم سيستخدومنها مستقبلاً في عملهم المهني لكونهم مخرجات علمية يمارسون التدريس في المدارس المتوسطة والإعدادية، وسينقلون ما تعلموه من مفردات إلى طلبتهم، وإن ظاهرة استخدام مفردات غير فصيحة في التدريس ستؤول بالأمر إلى ما يحمد قباه تجاه لغة القرآن الكريم ولغة العرب الفصحى.

كما إنه بغية تمكين التدريسين من إتمام رسالتهم التربوية والتعليمية في الكلية فإنه ينبغي تظافر الجهود للوقوف على السلبيات التي تعترض تحقيق أهدافهم، ودعم قدراتهم وأمتلاكهم للمفردات اللغوية السليمة التي يستخدمونها في التدريس الجامعي لاسيما الايعازات والتوجيهات في الدروس العملية لمختلف الألعاب والفعاليات الرياضية، ومن ثم ينعكس ذلك ايجاباً على مخرجاتهم التعليمية التي تقلدهم حسب ما جاء بتطبيقات نظرية التعلم الإجتماعي، كما انه تعد الرياضة حقلاً مهما بالنشاط الصفي الممارس داخل الجامعة من جهة، وكونها ممارسة التمرينات الرياضية تعد نشاطاً لاصفياً تُمارس خارج الجامعة أيضاً، وهذهِ الممارسة يلزم توجيهها بلغة سليمة بكل تأكيد، على اعتبار اقتران الممارسة بالأوامر اللغوية الخاصة بكل تمرين،، ليدعو ذلك الأمر إلى دعم هذا الأمر بالدراسات التي قد تسهم في مراجعة وتقييم واقع اللغة الفصحى للمدرسين في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

أسئلة الدراسة

تنطلق هذهِ الدراسة من سؤال رئيس وهو : ما مدى إستفادة الطلبة من استخدام المفردات اللغوية السليمة في مختلف الأيعازات والأوامر التي يصدرها التدريسيون في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة ؟

١) ما الضوابط لتقييم استخدام المفردات اللغوية السليمة في مختلف الأيعازات والأوامر التي يصدرها التدريسيون في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة ؟

٢) ما مدى تأثير استخدام المفردات اللغوية السليمة في مختلف الأيعازات والأوامر التي يصدرها التدريسيون في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة لدى طلبتهم الذين يدرسونهم؟

٣) ما الدعائم لاستخدام فصاحة اللغة لدى التدريسيين في الدروس العملية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة ؟

مصطلحات الدراسة

اللغة واللغة الفصحى

"تمثل اللغة والمعاني والرموز والايماءات العنصر الرئيس والمحوري في تشكيل العلاقات الانسانية، ويرتبط ذلك بالنظرية التفاعلية الرمزية والتي تفترض أن البناء الاجتماعي هو نتاج الفرد فهو الفاعل في إنتاج المجتمع (الهلالي، ۲۰۲۱، ص ۱۲۸)

الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى لتدريسين وأثارها على اللغة الفصحى

"يعتمد نجاح الخطط التعليمية في درس التربية الرياضية على وجود مُدرسين ممن يمتلكون الكفاءات والمهارات المهنية العالية في التدريس إذ تقدم مهارات التدريس للمُدرس قيمة إضافة تحسن من الآداء الإعتيادي للعملية التعليمية مما يدر بالفائدة على كل من المدرس والمدرسة، كما أن الكفاءة التعليمية لمهارات التدريس تضفي دوراً كبيراً للمدرس في نجاح المدرسة فضلاً عن تطوير أدواره الحالية". (Musset , ۲۰۱۰, P: ۱٤۷) .

من هذا المنطلق يتوضح أهمية الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى بالتأثير المنطقي في السلامة اللغوية للطلبة الذين يمثلون المخرجات الأكاديمية الواعية لكليات التربية البدنية وعلوم الرياضة.

كما إنه هناك مهام للمُدرِس يؤديها لغرض الحصول على نتائج ومخرجات ايجابية وهي كالآتي: (المالكي ، ۲۰۱۰ ، ص۲٤)

- يسعى لخلق بيئة تعلم يمكن فيها للمتعلم أن يتعلم إعادة بنائه للمعلومات الجديدة والمعرفة السابقة إلى معرفة جديدة حول المحتوى وممارسة استخدامها كمهارة .
- مراعاته للقيم والاتجاهات والميول والإهتمامات لدى الطلاب.
- مساعدة الطلاب على أكتشاف المعارف بأنفسهم .
- تشجيع الطلاب ومساعدتهم على كيفية التعلم والبحث عن مصادر التعلم وكيفية استخدامها والمفاضلة بينها .
- يصغي للطلاب ويعمل على إثارتهم والتفاوض معهم بشان المعاني والأفكار والآراء الكثيرة في الجزء التعليمي والتطبيقي من درس التربية الرياضية .
- يجعل من بيئة الدرس بيئة داعمة تزيد من دافعية المتعلمين وثقتهم بأنفسهم وتمكنهم من تقبل مسؤوليات تعلمهم وإتخاذ القرارات التي تتعلق بها .
- لا يقتصر دوره على تسيير للمعارف والمعلومات ، وإنما يعمل على تحويل التفاهمات من متعلم لآخر أو من مجموعة إلى أخرى.
- يتوقع الصعوبات التي يواجهها المتعلمون وتقديم الدعم لهم في الوقت المناسب.

إذ أنه لغرض بان يكون درس التربية الرياضية أكثر فاعلية ونشاط فأن على مدرس التربية الرياضية آداء الأدوار التالية: (بدير ، ۲۰۰۸، ص۳۹)

- إكساب المتعلمين المعارف والحقائق والمفاهيم.
- مُلاحظ ومشخص ومعالج, واكساب المتعلمين المهارات المختلفة, وإثراء بيئة التعلم.
- دور المدرس في الشراكة المجتمعية, والربط بين المدرسة والطلاب المتعلمين والمجتمع وتحقيق الضوابط الاخلاقية.

- يكون مثل أعلى وقدوة لطلابه المتعلمين, وتهيئتهم نحو المستقبل.
- ترغيب الطلاب المتعلمين في العلم والعلماء والأبطال.
- يعمل ويساعد على تطوير المنهج المدرسي للتربية الرياضية.

كما إنه هنالك سمات لعضو هيئة التدريس في التربية الرياضية تساند مهاراته التدريسية وتدعمها من حيث كونه أداة للتجديد لنفسه ولطلبته المتعلمين في الدرس ، وأنه مثل أعلى لطلبته من خلال دوره القيادي في بناء الشخصيات ويُعد رائداً إجتماعياً يقدم ثقافة المجتمع لطلبته بوساطة العادات والقيم والمعتقدات الراسخة ، فضلاً عن تنظيم النشاطات التربوية والرياضية اللاصفية والإشراف عليها وطريقة إختيارها بما يتناسب مع ميول الطلبة وإتجاهاتهم، ويعمل على إثارة تفكير المتعلمين بوساطة تهيئة البيئة التي تقوي ثقة المتعلم بنفسه أو بالعكس أو قد يكون سبباً في تدميرها، وكذلك له القدرة على رفع الروح المعنوية والإبداع ومن ثم يفتح المجال للتحصيل والإنجاز في الميدان التربوي والتعليمي (الحيلة ، ٢٠٠٣، ص٢٨)

منهج الدراسة

أعتمد الباحثون المنهج الأنثروبولوجي في وصف وتحليل لغة اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، والتي يقصد بها رصد وجمع الكلمات في الأوامر والايعازات للتمارين البدنية والحركية والمهارية في لدروس العملية بينهم وبين طلبتهم، بعد تدوينها وعرضها على محكمين من خبراء اللغة العربية الأكاديميين. (ماتيوز، ٢٠١٦، ص٧٢٥)

مجالات الدراسة

المجال البشري: اعضاء هيئة التدريس في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة (٢٠٢٥-٢٠٢٤).

المجال الزمني: للمدة الممتدة من تأريخ (٢٠٢٤/١٠/١٤) ولغاية (٢٠٢٤/١١/٢٩).

الإجراءات

بوساطة اعتماد الباحثون للمنهج الأنثروبولوجي واعتماد التحليل النوعي للأوامر والايعازات في دروس التربية الرياضية العملية التي لا تنم بصلةٍ إلى اللغة العربية الفصحى، بعد حضور هذهِ الدروس بالاشراف المباشر وتدوين المفردات اللغوية التي تعد أكثر استخداماً في الدرس، وبعد تحكيمها من لدن المتخصصين، تبين الآتي:

أختلفت التحليلات النوعية بتباينات ما بين التدريسيين في لغتهم وأسلوبهم في الدروس العملية وقلة استخدامهم لمفردات اللغة العربية الفصحى، كما هناك بعض التدريسيين يستخدمون الاشارات الصوتية الخالية من أية معنى وبأصوات مرتفعة جداً، فضلاً عن التلويح باليدين بدون صافرة عن تنظيم توحيد حركات الأداء المهاري، وقلة منهم يستخدمون بعض المفردات الفكاهية العامية كمحاولات منهم لتوطيد العلاقة مع الطلبة وزيادة تحبيبهم للدرس، وجاءت هذهِ النتائج لتعطي مدلولاً عن الضعف الواضح في أمتلاك التدريسيين للثروة اللغوية المطلوبة في المؤسسات الأكاديمية، والتي تمكنهم من إتمام واجباتهم المهنية على اتم وجه.

الاستخلاصات والتطبيقات

١. **تطوير الموارد اللغوية** :إنشاء قواميس رياضية ومصطلحات خاصة بتدريس الدروس العملية للتربية الرياضية باللغة العربية الفصحى لتوفير موارد تدعم الأوامر والايعازات لاعضاء هيئة التدريس في دروسهم فضلاً عن إقامة منتديات أدبية وفكرية وثقافية، الحث على مشاركتهم فيها.

٢. **التدريب والتأهيل** :تقديم دورات تدريبية بصورة دورية لأعضاء هيئة التدريس لتعزيز مهاراتهم في استخدام اللغة العربية الفصحى تخدم تحقيق أهداف عملهم المهني، ووضع معايير في اختبارات صلاحية التدريس في الجامعة تتضمن قياس وتقويم الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى لتدريسي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة في جامعة بغداد.

٣. **التوعية والتثقيف** :ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى وعمل بوسترات ارشادية في مختلف أروقة الكلية بطريقة مهنية وجذابة في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة في جامعة بغداد.

٤. **الاستجابة لتغيرات السوق** : ضرورة إشراك عينة البحث في دورات تطويرية لكفاياتهم اللغوية الفصحى بصورة دورية.

٥. **الشراكات الثقافية** :ضرورة إيجاد أليات تعاون أكاديمي مع أستاذة اللغة العربية لتقديم الدعم والمساندة بغية رفع مستوى الكفايات التدريسية اللغوية الفصحى لتدريسي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة.

المراجع العربية والاجنبية

١. بدير، كريمان محمد (٢٠٠٨). التعلم النشط، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

٢. جري، خضير عباس (٢٠١٨). طرائق التدريس العامة، دار الكتب والوثائق، بغداد.

٣. الحايك، صادق (٢٠٢٢). الكفايات التدريسيية لمدرسي التربية الرياضية، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.

٤. الحيله، محمد محمود، الغزاوي، محمد ذيبان (٢٠٠٣). تصميم التعليم نظرية وممارسة ، (ط٢)، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.

٥. الزهراني، عبد العزيز عثمان (٢٠١٩). "تصور مقترح لتطوير الممارسات التدريسية لمعلمي الرياضات" . مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، ملجد ١١، العدد١، ج٢، سبتمبر.

٦. الغرواي، محمد مهدي (٢٠١٧). "واقع الكفايات التدريسية لمدرسي الفيزياء"، مجلة كلية التربية جامعة ميسان، المجلد(٣)، العدد (٢)، العراق.

٧. ماتيوز، بوب، روس، ليز، (٢٠١٦)، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الإجتماعية، ترجة وتقديم محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

٨. المالكي عبد الملك (٢٠١٠). " فاعلية برنامج تدريبي مقترح على اكساب معلمي الرياضيات, بعض المهارات التعلم النشط وعلى تحصيل واتجاهات طلابهم نحو الرياضيات"، (أطروحة دكتوراه منشورة) كلية التربية, جامعة ام القرى.

٩. الهلالي، عصام (٢٠٢١)، النظرية الأجتماعية في الرياضة وقضايا المجتمع، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

١٠. Musset, P. (٢٠١٠). Initial Teacher Education and Continuing Training Policies in a Comparative Perspective OECD, Paris, ٢٢ (١), ١٤٤-١٥٧.

تعدد المعنى وأثره في الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ: دراسة تطبيقيَّة في ضوء لسانيات المتون

د. صلاح محمد أبو الحسن مكي و د.مسعود سعيد الحديدي
قسم اللغة العربية، كليَّة العُلوم والآداب، جامعة نزوى، سلطنة عمان

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى الربط بين التراث والحداثة من خلال دراسة ظاهرة "تَعدُّد المعنى" وتعريفها وآراء القدماء فيها من ناحية، وإظهار دورها في فهم النَّص المترجم آليًا، وإبراز أهم الصعوبات التي تواجه الذكاء الاصطناعي في الترجمة من اللغة العربية أو إليها من جانب آخر، ذلك لأنَّ تعدد المعنى بالنسبة للألفاظ يتعلق بالمستوى التداوليّ، الذي يرتبط بثقافة المجتمعات، تلك الثقافة التي ترتبط بالعادات، والتقاليد، والأعراف، والديانات، والأعراق، الأمر الذي يحتم على المترجم أن يكون مُلمًّا بثقافة اللغة المترجَم منها واللغة المترجَم إليها، الأمر الذي يراعيه العقل البشريّ أثناء عملية الترجمة، لذا يقوم البحث بتتبع ومراقبة مراعاة الذكاء الاصطناعي لهذه الأمور أثناء الترجمة الآلية. كما أنَّ هذه الورقة تطرح فكرًا جديدًا يدعو إلى دراسة اللغة من خلال لسانيات المتون، هذا المجال الذي يعاني من ندرة في المؤلفات وعدم اهتمام في المواقع العنكبوتية العربية مقارنة باللسانيات الحاسوبية، الأمر الذي دفعني وبعض اللسانين إلى الاهتمام بلسانيات المتون واعتبارها من الحقول اللسانية الحديثة التي أحدثت تغييرًا منهجيًا في دراسة اللغة، حتى باتت الاستعانة بها. درسًا وبحثًا وتعلمًا وتعليمًا. أمرًا ضروريًا يمكن أن يقدم فوائد في مجالات لسانية ودراسات لغويَّة متعددة، ويقدم كذلك نتائج أكثر دقة في بحوث لغويَّة متنوعة؛ لاسيَّما مجال الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ.

الكلمات المفتاحيّة: تعدد المعنى، الترجمة الآلية، الذكاء الاصطناعيّ، لسانيات المتون.

المُقدمَة

هناك وعي واهتمام كبير من قبل اللسانين العرب باللسانيات الحاسوبية. لا سيمًّا في الآونة الأخيرة. في مقابل ذلك هناك ندرة في مؤلفات لسانيات المتون. أو لسانيات المدونات كما يُطلق عليها البعض. وعدم اهتمام في المواقع العنكبوتية العربية بلسانيات المتون مقارنة باللسانيات الحاسوبية(١)، الأمر الذي دفع بعض اللسانين إلى الاهتمام بلسانيات المتون واعتبارها من الحقول اللسانية الحديثة التي أحدثت تغييرًا منهجيًا في دراسة اللغة، حتى باتت الاستعانة بها. درسًا وبحثًا وتعلمًا وتعليمًا. أمرًا ضروريًا يمكن أن يقدم فوائد في مجالات لسانية ودراسات لغويَّة متعددة، ويقدم كذلك نتائج أكثر دقة في بحوث لغويَّة متنوعة(٢). والسبب الرئيس فيما يَعِدُ به هذا الحقل من فوائد ونتائج هو البيانات اللغويَّة الضخمة التي يشتغل عليها الباحث في هذا النوع من البحوث بمساعدة الحاسوب وبرامجه، ونظرًا لأنَّ الترجمة تُعدُّ من أهم الموضوعات المطروحة في الساحة الفكريَّة والثقافيَّة، ونظرًا لكونها ظاهرة لسانيَّة فكريَّة ثقافيَّة علميَّة ذات طابع إشكاليّ منهاجيّ وابستومولوجي كَثُر الحديث عنها بين اللسانين والأدباء والنقاد والمترجمين؛ فقد ولَّى البحث شطره تجاه هذا الحقل المعرفيّ الكبير، لكن ليست الترجمة بمعناها المطلق بل الترجمة باستخدام الحاسوب، أو ما يُعرف بالترجمة الآلية؛ لا سيَّما الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ.

ومشاكل الترجمة موضع مدارسة ومناظرة بين العلماء العرب والغربيين منذ القِدَم(٣)؛ فقديمًا طوع الجاهليون الكلمات غير العربية واستعملوها، ثم ترجم العرب العلوم اليونانية منذ وقت مبكر، كما رصد الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة في القرن الرابع الهجريّ عند العرب القدماء في ثنايا حديثه عن السيرافي(توفي نحو ٣٦٨ هـ)(٤) ومناظرته التي جرتْ بينه وبين

الفيلسوف النصراني أبي بشر متّى بن يونس عام ٣٢٦ هـ، هذا الفيلسوف الذي وصفه ابن النديم (توفي نحو ٣٨٠هـ) في كتابه (الفهرست) بأنّه: "إليه انتهت رياسة المنطقيين في عصره"(٥)، وقد وصلنا نص هذه المناظرة على يد تلميذ السيرافي أبي حيان التوحيدي (توفي نحو ٤٠٠ هـ) في كتابه الممتع "الإمتاع والمؤانسة" في رسالة بعنوان "ثورة السيرافي على ترجمة يونس بن متى وشكِّه في صحتها"(٦)، حيث خاطب أبو سعيد السيرافي يونس بقوله: "على أن هناك سرا ما علق بك ولا أسفر لعقلك، وهو أن تعلم لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها، وصروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها"، فالسيرافي يرى استحالة مطابقة النَّص المترجم للنَّص الأصليّ(٧).

ثم استمر الاهتمام بالترجمة في العصر الحديث عقب الاتصال المصري بالغرب على يد رفاعة الطهطاوي ورفاقه في نهاية القرن التاسع عشر الميلاد، ثم مرحلة ابتعاث اللسانين العرب بداية النصف الثاني من القرن العشرين للحصول على الدكتوراه من الجامعات الغربية، ثم ظهور جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٣٤م، وإقامة المؤتمرات الدوليَّة للترجمة والتعريب، ثم كانت المرحلة الأخيرة في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين التي انتقل فيها اللسانيون للاهتمام باستعمال الحاسوب في عمليات الترجمة، وهو ما أُطلق عليه "الترجمة الآلية".

أمَّا عند الغربيين فنرى (جوته) أمير شعراء الألمانية يقول: " إنَّ أعظم درجات فن الترجمة تتحقق عندما يمكن للترجمة أن تحل محل الأصل دون أن تكتفي بأن تكون بديلاً عنه(٨)، كما كان الشاعر الإنجليزي والمترجم الكبير "فتزجيرالد" يقول عن ترجمته لرباعيات الخيام: "إنها تحويل أو تأويل لأبيات الفارسيّ عمر الخيام"، ولم يكن يسميها ترجمة دقيقة لكلمات الشاعر ومعانيه لأنه أراد بها أن يجعلها تعبيرًا عن فلسفة الشاعر ومذهبه في المعيشة يقول فيها بعبارته الإنجليزيَّة ما يفهم منه القارئ لباب تلك الفلسفة وطوية ذلك المذهب، ولا يدعي أنه يلتزم نصوصه ومعانيه التزام المترجم للنَّص الأصيل، لذلك تُعد ترجمة "فتزجيرالد" لرباعيات الخيام في القرن التاسع عشر من عيون الترجمات في العالم التي حظيت بشهرة واسعة، وأشاد بها نقاد كُثر من النقاد المعاصرين، أمثال: تينيسون، وكارلايل، ودانتي غبريال روزيتي، وسوينبيرن، وروسكين، وغيرهم(٩).

فالجميع يعترف بصعوبة الترجمة واستحالة كونها بديلا عن النَّص الأصليّ؛ ذلك لأنَّ عقبات عدة ومشكلات جمَّة يواجهها المترجم، وتزداد هذه المشكلات تعقيدًا عند ترجمة الألفاظ التي تتعدد معانيها لا سيِّما من خلال برامج الترجمة الآلية ؛ لأنَّ ترجمة هذا النوع من الألفاظ ترجمة حرفية يُجهد المترجم إجهادًا كبيرًا(١٠)، ويؤدي إلى فساد المعنى المراد ترجمته(١١).

ولما تجاوز عدد اللغات في العالم سبعة الآف لغة كانت الحاجة ماسة لوجود وسيلة فعَّالة وقوية وسريعة تساعد على كسر حواجز اللغة وتسهل عملية التواصل بين البشر؛ فلجأ البعض إلى استخدام الترجمة الآلية، وتطور الأمر إلى أن أصبحت الترجمة الآلية أفضل آلية لأداء هذه المهمة.

ومما لا شكَّ أنَّ التكنولوجيا الحديثة أسهمت في التطور الهائل والسريع في مختلف جوانب ومجالات الحياة، ومن أهم هذه المجالات : مجال الذكاء الاصطناعي الذي أدمج حديثا في تطوير الترجمة الآلية، إلى أن أصبح هذا الدمج جزءًا مهما في جميع محركات البحث في الآونة الأخيرة.

أهدف الدراسة

يصبو هذا البحث إلى دراسة ظاهرة "تَعدُّد المعنى" ودورها في فهم النَّص المترجم آليًا، وإبراز أهم الصعوبات التي تواجه الذكاء الاصطناعي في الترجمة من اللغة العربية أو إليها لا سيمَّا ترجمة الألفاظ التي أصابها التعدد الدلاليّ، لأنَّ هذا النوع من الألفاظ يتعلق بالمستوى التداوليّ، الذي يرتبط بثقافة المجتمعات، تلك الثقافة التي ترتبط بالعادات، والتقاليد، والأعراف، والديانات،

والأعراق، الأمر الذي يحتم على المترجم أن يكون مُلمًّا بثقافة اللغة المترجَم منها واللغة المترجَم إليها، الأمر الذي يراعيه العقل البشري أثناء عملية الترجمة، لذا يقوم البحث بتتبع ومراقبة مراعاة الذكاء الاصطناعي لهذه الأمور أثناء الترجمة الآلية.

ذلك لأنَّ كثير من الألفاظ تمتلك القدرة على حمل معاني جديدة تتعايش مع معانيها السابقة ولا تلغيها بل يمكن للفظ الواحد أن يُستعمل في الحقيقة والمجاز، كما يمكن تضييق المعنى أو توسعته بما يقتضيه المقام، كما يمكن استعمال ذات اللفظ بمعناه المجرد أو الماديّ، وكل هذا تسمح به ظاهرة "تعدُّد المعنى" فهي تهب دلالات متعددة ومتنوعة للفظ الواحد كأن نقول: ضَرَبَ زيدٌ عليًا، وضَرَبَ زيدٌ خيمة في الصحراء، وضَرَبَ زيدٌ في الأرض، وضَرَبَ زيدٌ رقبة قيس، فلفظة (ضَرَبَ) تعدَّدت معانيها، ولم يلغ أي معنى جديد سابقه بل أضافت ظاهرة"تعدُّد المعنى" مرونة في التعبير(١٢)؛ لكن يظل السؤال قائمًا؛ هل الذكاء الاصطناعي لديه القدرة على التفرقة بين هذه الدلالات المتعددة للفظ الواحد أم لا؟ وهو الأمر الذي سنقوم بدراسته في هذه الورقة.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية دراسة ظاهرة تعدد المعنى في الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعي لنصوص المدونات في كونها تُسهم في تحديد معاني الكلمات وتُعين في التَّمييز بين المفاهيم والمصطلحات؛ فهي تُسهم في تحديد المعنى المقصود للكلمة، وتُعين في التمييز بين المفاهيم، فبها تُحدَّد دلالة المفردات والتراكيب التي لا يمكن الوصول إلى فهمها في معزل عن فكرة «تعدُّد المعنى» كما أنَّ إغفال الذكاء الاصطناعي لهذه الظاهرة اللغويَّة المهمة يوقعه في الحرج وسوء الفهم؛ من هنا جاءت فكرة وأهمية هذه الورقة التي تقوم على دراسة تَعدُّد المعنى وأثره في النَّص المترجم آليًا باستعمال الذكاء الاصطناعي.

منهج الدراسة

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ الذي يقوم على أساس وصف وتحليل وحصر ظاهرة "تعدد المعنى" والتعرف على خصائصها الواضحة من خلال النصوص المترجمة آليًا باستعمال الذكاء الاصطناعي داخل مدونة من أكبر المدونات، هي (المدونة اللغويَّة العربية) الموجودة في منصة فلك للمدونات اللغويَّة على الشبكة الدولية(١٣)، وهي مدونة لغويَّة عربية تضم أكثر من مليار كلمة مما دوِّن باللغة العربية ابتداء من عصر ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث، وتشمل نصوصًا من مختلف البلدان، مع الأخذ في الحسبان طبيعة وحجم النشاط الفكري لكل فترة، وتنوع أوعية النشر فيها مثل: المخطوطات، والصحف، والكتب، والدوريات، والمجلات، ونحوها، والسائد من المجالات العلمية والفكرية المختلفة مثل: المعتقدات، وعلوم العربية، والعلوم الطبيعية، والحضارة والفنون وغيره.

الدراسات السابقة

قد تتعدد الدراسات حول قضية معينة، ويجتهد الباحثون في تناول هذه القضية كلٌ من زاويته، في محاولةٍ لسد الفجوات، لذا لابدَّ للدراسة أنْ تتميز عن غيرها من الدراسات السابقة، ولابدَّ للباحث أن يعالج أمرًا لم ينتبه إليه أقرانه، من هنا نستطيع أن نقول : إنَّ هذه الدراسة أو تلك قد تناولتْ جانبًا لم يُدرَسْ من قبل.

أمَّا بالنسبة لدراسة ظاهرة"تعدُّد المعنى" فقد تمَّ تناولها في العديد من النصوص والمدونات العربيَّة الأصيلة نحو:

- (ظاهرة التعدد الدلاليّ في المعاجم العربية عرض ونقد) للباحث : على أبو لاجي عبد الرازق . بحث منشور في مجلة جهار . مجلة بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة . ماليزيا . العدد الثاني . الخامس عشر من فبراير . ٢٠١٢م.
- (ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة . للباحث : أحمد نصيف الجنابي . مجلة المجمع العراقي . المجلد الخامس والثلاثون . الجزء الرابع . محرم ١٤٠٥هـ.
- (ظاهرة تعدد المعنى في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظرية التحليل التكويني . للباحث: أشرف محمد ساعدي . حولية كلية اللغة العربية بجرجا . جامعة الأزهر . مصر . ديسمبر . ٢٠٢٠م.
- (تعدد المعنى في شرح المثل؛ جمهرة الأمثال أنموذجًا . للباحث: حسين يوسف . مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائريّ . العدد الثالث عشر . ٢٠١٧م.

أمَّا دراسة هذه الظاهرة في النصوص المترجمة آليًا باستعمال الذكاء الاصطناعي والتي تنتمي لمدونة لغوية حاسوبية فهذه زاوية لم تُطرق من قبل الباحثين؛ لذا اتجهت الدراسة إلى سبر أغوار نص من النصوص التي تنتمي لما يُعرفُ بلسانيات المتون؛ في محاولة للبحث عن إجابة بعض التساؤلات؛ مثل:

- ما أثر الذكاء الاصطناعيّ في الترجمة الآلية؟
- ما أثر تعدد المعنى في الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ؟
- ما مدى إسهام لسانيات المتون في الدرس اللسانيّ الحديث؟
- ما أثر تعدد المعنى في بناء المعجم الآلي؟

لذا فقد عُقدت الدراسةعلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: الذكاء الاصطناعيّ ولسانيات المتون

أولاً: الذكاء الاصطناعيّ : النشأة والمفهوم

ظهرت الإرهاصات الأولى لثورة ما يعرف بـ "الذكاء الاصطناعيَ" حلال الحرب العالمية الثانية، حينما فكر البريطانيون في ابتكار آلة تساعدهم على فك شفرات آلة التواصل الخاصة بالجيش الألماني(١٤)؛ الأمر الذي قاد العلم البريطاني "AlanTuring" إلى اختراع آلة "Bombe" التي نجحت في فك رموز رسائل الجيش الألماني، وقد أدى هذا السبق الكبير إلى قلب موازين عملية التواصل؛ فاختراع آلة لها القدرة على التحدث مع البشر دون أن يدرك البشر أنها آلة أمر غاية في الخطورة؛ ما دفع البعض إلى القول : إنَّ هذا النوع يمكن أن يسمَّى بالآلات الذكية(١٥).

وشهد عام ١٩٥٦ الميلادي مولد مصطلح " الذكاء الاصطناعيّ" لأول مرة في مؤتمر دارتموث، وقد ظهر لبعض الباحثين دور فعَّال في الترويج للذكاء الاصطناعيّ أمثال: "John McCarthy" ، و"Allen Newell"، و " Herbert Simon" ، كما ظهر العديد من مراكز الأبحاث الخاصة بالذكاء الاصطناعي في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية(١٦).

وفي ستينيات القرن الماضي عمل باحثون آخرون على تطوير خوارزميات لحل بعض المشكلات الهندسية والرياضية، إلى أن توصلوا في بداية السبعينيات إلى بناء أول ربوت ذكي في اليابان عام ١٩٧٢م، ومنذ هذا التاريخ وحتى منتصف التسعينيات كان هناك نقص حاد في تمويل البحوث الخاصة بالذكاء الاصطناعيّ؛ إلى أن عاودت الشركات الأمريكية اهتمامها بهذا المجال في نهاية التسعينيات حينما صممت شركة (IBM) جهاز كمبيوتر تمكن من الفوز على بطل الشطرنج العالميّ "kasparov"، ثمَّ انطلق التعلم الآلي دون رجعه لتحقيق النجاح تلو الآخر؛ إلى أن أصبح التعلم الآليّ معتمدًا في العديد من الخدمات عبر

الأنترنت، وبفضل هذا تحول قطاع التكنولوجيا إلى قاطرة تقود العديد من أسواق الأسهم العالمية اليوم، وعلى رأس هذه الأسواق الأسواق الأمريكية(١٧).

يهدف الذكاء الاصطناعيّ إلى فهم طبيعة الذكاء الإنسانيّ عن طريق عمل برامج للحاسب الأليّ قادرة على محاكاة السلوك الإنسانيّ المتسم بالذكاء؛ لذلك يُعرَّف الذكاء الاصطناعيّ أنَّه محاكاة الآلة لعمل الإنسان، أو هو قدرة الآلة على مجاراة الإنسان في إنجاز المهام التي تحتاج ذكاء بشريا لإنجازها، ليس هذا فحسب بل التفوق علي الإنسان في سرعة الأداء ودقة التحقيق والإنجاز، وتُعدُّ هذه نقطة تحول هامة تتعدَّى ما هو معروف باسم "تقنية المعلومات" التي تتم فيها العمليَّة الاستدلاليَّة عن طريق الإنسان(١٨).

ثانيـًا : لسانيات المتون النشأة والمفهوم

ليس ثمة مناص من التداخل بين الحقول اللسانيَّة والعلوم الأخرى في الدوائر المعرفيَّة والعلميَّة بحثًا وتحليلاً، ومن أوجه هذا التداخل ولوج تقنيات الحاسب وبرمجياته وأدواته التحليليَّة والمعالجاتيَّة إلى الحقل اللسانيّ(١٩)؛ فالحاسوب هو أداة القرن الحالي دون منازع، فقد دخل تقريبا كل بيت وكل مؤسسة خاصة وعامة، وأدى استخدامه في مجالات الحياة العلمية والعملية إلى تطورات كبيرة في الحقول المختلفة(٢٠)، ويمكننا الإفادة من الحاسوب في النشاط اللغويّ بوجوه متعددة، يمكننا تلخيصها في ثلاث صور رئيسة على النحو التالي:

(أ)- الاستعمال العام:

مثل منسق النصوص والترجمة بمعاونة الحاسوب وقواعد بيانات المصطلحات.

(ب)- الاستعمال الخاص:

أداة للبحث اللسانيّ كما هو الحال مع لسانيات المدونات اللغوية واستعمال برمجيات قواعد البيانات في تحليل الأخطاء اللغوية.

(ج)- البحث اللسانيّ الحاسوبيّ المتخصص:

مثل تطوير البرمجيات المختلفة للتعامل مع اللغة، مثل برمجيات التعرف على الأصوات وتوليفها والترجمة الآلية(٢١).

ويطلق عادة على دراسة اللغة في ضوء النصوص اللغويَّة المدونة والمخزنة حاسوبيًا مصطلح **"لسانيات المتون"** و**"لسانيات المدونات اللغويَّة"** و**"لسانيات المدونة"** و**"لسانيات الذخائر"** و**"لسانيات الذخيرة"**، وقد رجَّحتُ مصطلح **"المتن"** لوجوده في التراث اللغويّ، وشرحه بأنه يشير إلى المادة اللغويَّة التي تُجمع للدراسة(٢٢)، ومن ثم فهو ليس نظرية جديدة في اللسانيات بقدر ما هو منهج جديد أو مقاربة في البحث اللساني.

أمَّا بالنسبة لمصطلح "المدونة اللغويَّة" فقد تباينت المصطلحات الدالة عليها، فقد أطلق عليها رائد العمل العربي في مجال المدونات المحوسبة عبدالرحمن صالح الحاج مصطلح "الذخيرة اللغويَّة"، كما أطلقت عليها مها الربيعة مصطلح "الذخيرة النصيَّة"، وأطلق عليها عبدالغني أبو العزم مصطلح "المكنز"، في حين أطلقت عليها سلوى حمادة "المدونة النصيَّة"، غير أنها أسمتها أيضًا "المدونات اللغويَّة"(٢٣).

نخلص من هذا كله إلى وجود عدد من الترجمات لهذا المصطلح وإن كنت أرى أن أفضلها هو "المدونة اللغويَّة"؛ ذلك لأنه مصطلح غير مبتذل في استخدامات ومجالات أخرى بخلاف مصطلح الذخيرة والذخائر والمادة المدونة؛ إذ الذخيره تُستخدم في السلاح، وكلمة المادة كلمة عامة لا تصلح مصطلحًا لعلم، أمَّا المدونة فقد انتشر الآن وبات المصطلح الأكثر شيوعًا، وهو

الاسم الذي أُطلق على أشهر مدونتين عربيتين معروفتين: (مدونة مكتبة الإسكندرية في مصر) و(مدونة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في الرياض)، وقد يتحرج البعض من استعمال مصطلح "مدونة" لأنها تستعمل مقابل كلمة (blog) أي المدونة الشخصية على شبكة المعلومات؛ لذلك كان الاقتراح بإضافة كلمة (اللغويَّة) للتميز بينهما(٢٤).

وخلاصة القول إنَّ مصطلح "المدونة اللغويَّة" في اللسانيات الحديثة يأتي للدلالة على مجموعة من النصوص اللغوية الشفوية أو المكتوبة الموثقة(من حيث المصدر والتاريخ والنوع كحد أدنى)، وعرَّفها البعض بأنها مجموعة من نصوص اللغة الطبيعيَّة(٢٥)، وبشكل أدق يجب أن نضيف أنَّ المدونات الحاسوبية نادرًا ما تكون مجموعات اعتباطية من النصوص، فهي تُجمع بصورة عامة لغايات محددة وغالبًا ما تُجمع بشكل غير رسميّ ممثلة لبعض اللغة أو نوع من النصوص(٢٦)، كما يمكن تقسيم المدونات اللغويَّة من زوايا مختلفة، على النحو التالي:

(أ)- **المدونات من حيث العموم:** وتنقسم إلى الأنواع التالية:

١– المدونات العامة:

وهو هذا النوع من المدونات التي أنشئت لأغراض مختلفة ومن نصوص متباينة، ومن أمثلتها: "مدونة اللغة العربية" ، و" المدونة الوطنية البريطانية".

٢– المدونات الخاصة:

وهي المدونات الخاصة بنوع من النصوص، أو منطقة جغرافية، أو خاصة بمؤلف ما، أو بنص ما.

٣– المدونات المتشابهة.

التي تشتمل على نصوص متشابهة من حيث المحتوى، ومن أمثلة ذلك المدونات التي تهدف دراستها للمقارنة بين كُتَّاب مختلفين في كل من اللغتين أو نوعية اللغة، مثل أساليب أهل اللغة ومتعلِّميها من غير أهلها، وهذا النوع من المدونات هو السائد في الدراسات اللغويَّة التقابليَّة.

٤– المدونات المتوازية:

التي تشتمل على مجموعة من النصوص المتماثلة بلغتين مختلفتين، ويستفاد في هذا النوع من المدونات في دراسات الترجمة والمترجمين.

٥– مدونات المتعلمين:

تتكون من أعمال أنتجها متعلمون للغة، وتفيد هذه المدونات من في تحليل أخطاء الدارسين من خلفيات ومستويات مختلفة، ومن ثمَّ تفيد أيضًا في دراسات اكتساب اللغة الثانية، ومن أمثلة هذا النوع (مدونة كامبردج للمتعلمين . Cambridge Learners Corpus)، و (مدونة لونجمان للمتعلمين . Longman Learners Corpus)، و(مدونة متعلمي العربية المكتوبة . The written Arabic Corpus) (٢٧).

٦– المدونات التعليميَّة:

وتشمل المواد التعليميَّة لمنهج ما لأغراض تعليميَّة مختلفة، ويستفاد من هذه المدونات في تعليم اللغة وفي فحص المواد التعليميَّة ودراستها.

(ب)- **المدونات من حيث الزمن:** وتنقسم إلى الأنواع التالية:

١– المدونات التاريخيَّة:

هي المدونات التي تشتمل على نصوص من عصور مختلفة، وبصورة متوازنة، للتعرف على التطور الذي طرأ على اللغة وعلى استعمالات ألفاظها ومعانيها وتراكيبها إلى غير ذلك، وهذا النوع من المدونات يجب أن يكون الأساس لأي عمل معجميّ

تاريخيّ يعتمد على الاستقراء المنهجي بدلا من الاجتهادات الشخصية والحدس والتخمين، ومن الأمثلة على هذا النوع من المدونات ARCHER(٢٨).

٢- مدونات رصد التطور اللغويّ:

وهي المدونات التي ترصد المستحدثات المعجميَّة وأعراض التطور الدلاليّ؛ لذا فإنَّ هذا النوع من المدونات قابل للتغيير عن طريق التحديث المستمر لقاعدة البيانات اللغويَّة، وذلك بغرض تحديث معاجمها بين الفينة والفينة، وإضافة ما يطرأ على اللغة من ألفاظ جديدة أو ملاحظة الاستعمالات لبعض مداخل تلك المعاجم.

(ج) مدونات حسب نوع اللغة: وتنقسم إلى الأنواع التالية:

١- مدونات اللغة المنطوقة:

وتُسمَّى أيضًا المدونات المحكية نحو النصوص الهاتفية، والبرامج الإذاعية، والمحادثات اليوميَّة، ومن أمثلة هذا النوع مدونات (مدونة الإنجليزية المنطوقة للمحترفين . Corpus of spoken professional English) ومدونة (كول هوم .) CAALHOME Corpus الخاصة بمحادثات هاتفية باللهجة المصرية.

٢- مدونات اللغة المكتوبة:

وهذا هو الغالب على المدونات اللغويَّة المختلفة؛ لكن هناك مدونات تجمع بين اللغة المحكية والمكتوبة مثل : المدونة الوطنية البريطانية BNC).

(د) مدونات من حيث الوسم: وتنقسم إلى الأنواع التالية:

١- المدونات الخام:

وهي التي تخلو من أية زيادات صرفيَّة، أو نحويَّة، أو معجميَّة، أو غيرها، ويمثل هذا النوع معظم المدونات اللغويَّة، لا سيَّما العربية منها.

٢- المدونات الموسومة:

وهي المدونات التي نجد فيها وسمًا للكلمات يبيِّن قسم الكلام الذي تنتمي إليه، وتكون غنية بالزيادات الصرفيَّة، أو النحويَّة، أو المعجميَّة، أو غيرها، ومن أفضل الأمثلة على هذا النوع من المدونات هو: (مدونة لانكستر المعربة للغة الإنجليزيَّة . Lancaster parsed Corpus).

ثالثًا : لسانيات المتون واللسانيات الحاسوبية

هناك وعي واهتمام كبير من قبل اللسانين العرب باللسانيات الحاسوبية لا سيمَّا في الأونة الأخيرة، في مقابل ذلك هناك ندرة في مؤلفات لسانيات المتون، وعدم اهتمام في المواقع العنكبوتية العربية بلسانيات المتون مقارنة باللسانيات الحاسوبية، فهل يعود السبب في تأخر ظهور لسانيات المتون إلى الاكتفاء بعلم اللغة الحاسوبي عن لسانيات المتون؟ أم يعود إلى أنَّ هناك تداخلاً بين العلمين؟

أرى أنَّ السبب هو وجود تداخل بين هذين العلمين لدى كثير من الباحثين، لا سيَّما هؤلاء الذين يعرِّفون اللسانيات الحاسوبية تعريفات عامة، ويدخلون ضمنها لسانيات المتون، ويبدو أن هؤلاء الباحثين اكتفوا بالتعريف باللسانيات الحاسوبية عن تعريف لسانيات المتون حيث لم يذكروا تعريفا للسانيات المتون في معاجمهم، أو أن اطلاعهم على لسانيات المتون جاء متأخرًا عن تأليفهم هذه المعجم(٢٩)، وقد يُفسَّر عدم الاهتمام بلسانيات المتون إلى اكتفاء البعض بعلم اللغة الحاسوبي ظنًا

منهم بأنه ولسانيات المتون شيئ واحد، وهو ما أكَّد عليه ماهر حبيب عيسى ووسمه بالفجوة الرقميَّة بين العالم العربي والغرب(۳۰).

لذا وجب علينا التنويه لإبلا ثمة فرق بين هذين العلمين وهو أن استخدام أو محاكاة النظريات اللغوية لإنتاج برامج حاسوبية يقع في إطار علم اللغة الحاسوبي؛ أمَّا الإفادة من هذه البرامج في التحليل اللغويّ ودراسة الظواهر اللغويَّة دون التدخل في برمجيتها فيدخل في إطار لسانيات المتون.

رابعـًا: لسانيات المتون والأنماط الحديثة للترجمة الآلية

يُعدُّ مجال الإفادة من المتون في الترجمة من أكثر الميادين التي أثرت البحث العلميّ، والترجمة الآلية لهما منحيان: منحى معتمد على القاعدة، ومنحى معتمد على المثال، وهذا الأخير هو مجال المتون الذي يعتمدها ويؤسس عليها(۳۱)، كما أن للترجمة الآلية أنماط نحو: الترجمة باستخدام الذكاء الاصطناعي (AI)، وترجمة (Google)، وترجمة (Bing)، وترجمة (Deepl)، وترجمة (Amazon)، وترجمة (SDL)، وترجمة (Babylon)، وسوف نلقى الضوء بشكل موجز على هذه الأنماط على النحو الآتي:

(أ). ترجمة الذكاء الاصطناعي(AI).

وإذا ما سلطنا الضوء على دور الذكاء الاصطناعي في الترجمة، نستطيع القول: إنَّ الذكاء الاصطناعي أحدث ثورة في معالجة المعلومات والتي تحسنت طوال السبعين سنة الفائتة، وأن تقنياته ساهمت ولا تزال تساهم في جعل عملية الترجمة الآلية أكثر اتقانـًا.

(ب). ترجمة (Google).

أطلقت هذه الخدمة عام ٢٠٠٦م، وهو يتيح الترجمة بين عدد من اللغات، حيث يدعم هذا التطبيق أكثر من مائة لغة من بينها اللغة العربية والإنجليزيَّة وغيرهما ويسمح هذا الموقع بالترجمة من أي لغة موجودة في القائمة إلى أي لغة أخرى.

(ج). ترجمة (Bing).

بدأ هذا الموقع بتوفير ترجمات نصية مجانية عام ٢٠٠٧م، وقد طوَّرت شركة (Microsoft) نظامـًا بحثيًا حسبما تمكن من تحقيق ترجمة تكافؤ الترجمة البشرية حيث يستخدم الجيل التالي من هندسة الشبكات العصبية والتعلم الثنائي مع التحديث لواجهة برمجة التطبيقات للترجمة.

(د). ترجمة (Deepl).

ظهر هذا المترجم إلى الجمهور عام ٢٠١٧م، وقد تميز هذا البرنامج بجودة عالية في الترجمة، ويستخدم البرنامج ما يسمَّى تكنولوجيا التعلم العميق على أساس الشبكات العصبية الاصطناعية، حيث يتم تدريب الشبكة العصبية على الترجمة بتغذيتها بترجمات صحيحة سابقة ثمَّ ربطها ببعضها البعض حتى يمكن أن تستنتج منها كيفية ترجمة نصوص جديدة.

(هـ). ترجمة (Amazon).

بدأ هذا الموقع بتقديم خدمة الترجمة الآلية لأول مرة عام ٢٠١٨م، وهي عبارة عن خدمة ترجمة نصية تستخدم تقنيات متقدمة للتعلم الآلي ونموذج التعلم المستمر لتحسين فعالية الترجمة لتوفير ترجمة عالية الجودة مع مرور الوقت، حيث يمكن استخدام (Amazon) لترجمة المستندات النصية أو لإنشاء تطبيقات تعمل بلغات متعددة.

(هـ) ترجمة (SDL).

تدعم خدمة (SDL free translation) ما يقرب من خمس وأربعين لغة للترجمات البسيطة، كما يمكن لمستخدم هذا التطبيق أن يتمتع باستماع أو نسخ أو مشاركة أو طباعة الترجمة بسهولة، كما يمكن الاستفادة من ميزة الترجمة الفورية من تلقي النص المترجم أثناء كتابته.

(و) ترجمة (Babyion).

يقدم هذا التطبيق برنامجًا جيدًا للترجمات، يمكن تنزيله على مختلف المنصات أو العمل على واجهة الويب الخاصة به، وهو يدعم ما يقرب من ثلاثين لغة، وتعتبر ترجمته دقيقة حسب الكثير من المستخدمين.

المبحث الثاني: تعدد المعنى بين النشأة والمفهوم

أولاً: مفهوم تعدد المعنى:

تعدد المعنى أو التَّعدُّد الدِّلاليّ من الظواهر اللغويَّة البارزة التي نالت عناية العلماء قديمًا وحديثًا، ولم تقتصر هذه العناية وهذا الاهتمام على علماء اللغة فحسب، وإنَّما تعرض لها علماء البلاغة و الأصول و التفسير و الحديث، ومنهم من خصها بمصنفٍ مستقل ومنهم من درسها كمبحث في ثنايا مصنفه.

وبالنظر إلى ما ورد في دراسات القدماء نجد أنهم لم يتفقوا على مصطلح واحد، فقد أطلق عليها اللغويون تعدد المعنى أو المشترك اللفظيّ أو التعدد الدلاليّ أو ما اتفق لفظه واختلف معناه، و أطلق عليها المفسرون الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر، أما البلاغيون فقد تعرضوا لها من خلال دراستهم لأبواب الجناس والتورية والمجاز؛ لذا يمكن القول: إنَّ هذه المصطلحات هي مسميات لظواهر جزئية تقع كلها في دائرة واحدة يُطلق عليها " تعدد المعنى" .

وقد قامت بعض الدراسات المعاصرة بدراسة هذه الظاهرة تحت مسمى تعدد المعنى(٣٢)، ويُقصد به كل ما له علاقة بكون الدال الواحد يحمل أكثر من مدلول واحد، أو كون المدلول الواحد يتجاذبه أكثر من دال واحد، أو لفظ واحد ومدلولات متعددة، لذا نستطيع القول: إنَّ التعدد الدلالي هو اللفظ الواحد الدال على معنيين أو أكثر سواء كان هذان المعنيان مختلفين أو متقاربين وبغض النظر عن السبب الذي أدى إلى ذلك سواء أكان صرفيًا أم بلاغيًا أم غير ذلك(٣٣).

وبذلك يدخل تحت هذا المفهوم المعاني المتعددة للفظ الواحد على اختلاف العوامل التي تؤدي إلى وقوع هذا التعدد سواء أكان مرجع ذلك إلى خروج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز، أم دخول اللفظ في التراكيب المسكوكة، أم استعمال اللفظ مصطلحًا، ومن ذلك :(المعنى الأصلي أو الحقيقي الذي يكون للفظ عند الوضع اللغوي، والمعاني المتولدة عن تنوع مجال الاستعمال، والمعاني المصطلحية التي تنتج عن استعمال اللفظ مصطلحا في بعض العلوم، واتفاق لفظين – لكل منهما معناه أو معانيه الخاصة – في الشكل، والمعاني الوظيفية أو المسكوكة الناتجة من دخول اللفظ في التركيب، والمعاني المجازية للفظ(٣٤).

ثانيـًا : تعدد المعنى والمشترك اللفظيّ

يبدو من كلام اللغويين العرب الأوائل أنهم لا يُفرّقون بين الاشتراك اللفظي و بين تعدد المعنى(٣٥) فالمفهوم منهما عندهم كما يبدو واحد، فالاشتراك اللفظيّ يعني اتحاد اللفظ في الصيغة والنطق والكتابة، والأصل في أغلب الأحيان أيضا مع تعدد

المدلول، أو بتعبير آخر هو إطلاق كلمة واحدة في اللغة على معنيين فأكثر على السواء دون شرط ارتباطها بالسياق الكلامي(٣٦).

وقد حاول بعض علماء اللغة المعاصرين التفريق من حيث المفهوم بين " الاشتراك اللفظي " أو ما يسمونه homonymy وبين " تعدد المعنى " أو ما يطلقون عليه polysemy ، وينظرون إليهما على أنهما موضوعان مستقلان فيقرر أولمان أنه إذا كان اللفظان ينتميان إلى كلمتين مختلفتين فهما من المشترك اللفظي أما إذا كانت الألفاظ ترجع إلى أصل واحد فهذا هو التعدد الدلالي(٣٧).

وبهذا فإن مصطلح " المشترك اللفظي " وفق هذا المفهوم يعني وجود كلمات منحدرة من أصول مختلفة وذات مدلولات مختلفة أيضا ولكنها متقاربة أو متطابقة من حيث الصيغة أو النطق، بينما يعني " تعدد المعنى وجود كلمة واحدة منحدرة من أصل واحد لها أكثر من مدلول.

ورغم محاولة بعض المحدثين التفريق الدقيق بين مفهومي المصطلحين السابقين، فإن هذا التفريق وإن كان موجودًا في الواقع، إلا إنه على المستوى العملي والتطبيقي هو أمر صعب ويحتاج إلى دراسة متأنية بسبب التداخل الملحوظ بينهما، والذي نشأ عن اعتبار بعض الكلمات متعددة المعنى عند بعض من أشرنا إليهم من العلماء من ضمن المشترك اللفظيّ المجرد تطابق هذه الكلمات في النطق أو الصياغة، لعدم وجود ما يشعر متكلم اللغة العادي بوجود علاقة بينها أو عدم إدراك أو ملاحظة هذه العلاقات من قبل هذا المتكلم، وعدم وجود ما يدل دلالة قاطعة على انحدارهما من أصل واحد.

وقد أشار أولمان إلى تحفظ الاشتقاقيين والباحثين في الأصول التاريخية للكلمات على هذا الرأي، ذلك لأن التعليل المذكور لا يسهل معه التفريق بين الاشتراك اللفظي، وتعدد المعنى بنحو ثابت، فهناك كلمات قد لا يدرك المتكلم العادي في الأعم الأغلب أدنى علاقة بين معانيها المتعددة، ولا يمكننا إخراج هذه الكلمة عن كونها كلمة متعددة المعنى واعتبارها أكثر من كلمة منحدرة من أصول مختلفة، وقد دمج بعض المعاصرين بين المصطلحين واعتبرهما يعبران في العربية عن تعدد المعنى(٣٨).

بالتدقيق نلحظ أنَّ أحمد مختار وسلوى العوا يساويان بين المصطلحين في المفهوم الذي هو" تعدد المعنى" لكنهما يجعلان للتطور التاريخي دوره في مفهوم المصطلح Homonymy لا الأول Polysemy وهذا ما أشار إليه ليونز(٣٩).

ومع ما قدمه اللغويون من جهود في هذه القضية فإن اختزال التعدد الدلاليّ في المشترك اللفظيّ أو تعدد المعنى أمر يفتقد إلى الدقة فكل من المشترك اللفظيّ وتعدد المعنى يُمثل صورة من صور التعدد الدلاليّ، ولا يمكن استخدام أي منهما بمفرده للتعبير عن هذه الظاهرة حيث يقول أحد الباحثين والمشترك اللفظي بمفهومه الشائع بما فيه الأضداد قليل بالقياس إلى ما ليس مشتركا لكن التعدد الدلالي في الألفاظ غير المصطلح عليها بالاشتراك يكاد يدخل كل ألفاظ اللغة معجميَّة كانت أو تركيبية، وبالتحديد فإن الألفاظ المعجميَّة تتعدد دلالتها(٤٠).

ومما يدل على ذلك أنه بالرغم من الخلاف الذي حدث بين القدماء والمحدثين من علماء اللغة حول وجود المشترك اللفظي في اللغة من عدمه إلا أن أيا من الفريقين لم ينكر تعدد المعاني للفظ الواحد؛ حتى إن ابن درستويه وهوأكثر المنكرين لظاهرة المشترك اللفظيّ من القدماء وتبعه في ذلك الدكتور إبراهيم أنيس من المحدثين رد ذلك الإنكار إلى اعتبار بعض معاني اللفظ من المجاز " قد كان ابن درستويه محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي واعتبرها من المجاز، واعتبار هذه المعاني من المجاز وإن كان يخرج هذه الألفاظ من دائرة المشترك اللفظي - عند المعارضين لوجود المشترك - إلا أنه لا يخرجها من دائرة التعدد الدلالي فهم لا ينكرون وجود هذا التعدد(٤١).

ويمكن القول بأن المشترك اللفظي وتعدد المعنى صورتان من صور التعدد الدلالي وكأن التعدد الدلالي حسب هذه الرؤية دائرة كبيرة تضم بداخلها كلا من المشترك اللفظي وتعدد المعنى فإذا خرج اللفظ من دائرة المشترك حسب قولهم إلا أنه ما زال داخل

الدائرة الأكبر وهي التعدد الدلالي؛ ونخلص من خلال ما سبق إلى أن التعدد الدلالي ظاهرة لغوية ترتبط بدلالات اللفظ ومعانيه وهي كما تراها هذه الدراسة أشمل من المشترك اللفظي، وتعدد المعنى، ولا تشتمل على ظاهرة الترادف.

رابعـًا : عوامل تعدد المعنى

تعدد المعنى ظاهرة من الظواهر اللغويَّة لها عوامل عدة بعضها صرفيّ مثل (اتفاق صيغة اسم الذات مع صيغة المصدر. اتفاق صيغة الاسم الجامد مع صيغة بعض المشتقات . قلب بعض حروف العلة همزة في الاشتقاق . وجود وزن واحد لأكثر من صيغة صرفية)، وبعضها دلاليّ مثل (التطور الدلاليّ . استعمال الألفاظ ک "مصطلحات")، وبعضها بلاغيّ مثل: (الاستعارة . الكناية . التشبيه . المجاز)، والتعدد الدلاليّ باستعمال علم البديع ومن آلياته (الجناس . التورية) وسوف نتناول هذه العوامل بالدراسة والتمثيل والتحليل من خلال المبحث الثالث الخاص بالدراسة التطبيقيَّة.

المبحث الثالث: تعدد المعنى والترجمة الآلية في (المدونة اللغويَّة العربية) دراسة تطبيقيَّة

قبل الولوج إلى دهاليز الترجمة الآلية وجب التأشير إلى مصطلح الترجمة . بشكل عام . وارتباط هذا المصطلح بالمعنى وقضاياه، حيث يعرِّف البعض الترجمة بقولهم: هي نقل معاني نص من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الدقة والأسلوب(٤٢)، ويعرِّفها آخرون بقولهم: هي نقل مضمون نص لغويّ من لغة إلى أخرى مع الاحتفاظ بشكل متقارب في تكوين الجمل والفقرات، ومن خلال هذين التعريفين يمكن القول إنَّ عملية الترجمة ترتكز على دعامتين رئيسيتين أولهما المعنى والأخرى الأسلوب، وهو ما يعني أنَّ تحديد المعنى المقصود من النصِّ المراد ترجمته من أهم المهام التي يجب أن يقوم بها المترجم سواء كان بشرًا أو آلة(٤٣).

من هنا فإنَّ عملية الترجمة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى وقضاياه، فلا يمكن الفصل بين الترجمة وما يتعلق بالمعنى حيث إنَّ قيمة الترجمة وجودتها تعتمدان في المقام الأول على قدرة المترجم على إدراك المعنى المقصود من السياق المراد ترجمته في اللغة المصدر ومدى قدرته على نقل هذا المعنى إلى اللغة الهدف، لذا يمكن تقسيم الترجمة من حيث النَّص المتَرْجَم إلى ثلاث مراحل هي :

- التحليل اللغويّ للنَّص الأصليّ في اللغة المصدر(٤٤).
- البحث عن المقابلات الصحيحة التي تعطي المعنى عينه في اللغة الهدف.
- إخراج النَّص المتَرْجَم إلى اللغة الهدف في صورة أسلوبية متكاملة.

كما يمكن تقسيم الترجمة من حيث المتَرْجِم إلى أربعة أقسام هي :

- الترجمة البشرية التامة.
- الترجمة البشرية باستخدام الحاسوب.
- الترجمة الآلية بمساعدة الإنسان.
- الترجمة الآلية التامة(٤٥).

وذاك النوع الرابع . الترجمة الآلية التامة . هو النوع المقصود في دراستنا هذه، وعلى الرغم من وجود بعض الآراء والملاحظات التي تشكك في إمكانية الاعتماد على الترجمة الآلية التامة فإنَّ هناك العديد من الدراسات والمحاولات التي تُجْرَى بهدف التطوير التقنيّ المستمر لبرامج الترجمة، وتحسينها والوصول إلى أفضل مستوى ممكن(٤٦)، كما أنَّ هناك

العديد من الأسباب المقنعة للتمسك بهذ النوع من الترجمة تعود في مجملها إلى توفير الكثير من الجهد المبذول في الترجمة البشرية، وكذلك توفير إمكانية ترجمة العديد من النَّصوص إلى عدة لغات، لا سيَّما في خضم ثورة التقدم العلمي الهائل عبر الثورة العلميّة والمعلوماتيَّة في شتى مجالات المعرفة وجوانبها، وقد عدَّد أحد الباحثين أسباب احتياج اللغة العربية للترجمة الآلية التامة وفصَّل القول فيها على النحو التالي(٤٧):

(أ): كثرة النصوص.

وجود كمية هائلة مما يجب ترجمته من النصوص مما لا يكفي المترجمين من البشر القيام بجزء يسير منها.

(ب): كثرة اللغات.

حيث يزيد عدد اللغات الحية اليوم عن أربعة ألاف لغة في كافة أنحاء العالم.

(ج): ضعف حركة الترجمة في الوطن العربي:

أبرز تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول لعام ٢٠٠٢م ضعف حركة الترجمة في الوطن العربيّ، مما يكاد يقضي على دورها المأمول في نقل المعرفة وتوطينها باللغة العربية، وقد كشفت الإحصاءات في هذا الصدد على وجه الخصوص أن ما تترجمه دولة أوربية صغيرة كاليونان يصل إلى خمسة أضعاف ما تقوم بترجمته دول العالم العربي مجتمعة.

(د): صعوبة الترجمة بالنسبة للمترجمين:

إنَّ عملية الترجمة بالنسبة للمترجمين عملية مملة وبطيئة، الأمر الذي يحدُّ من أعداد المترجمين ويجعلهم بضاعة نادرة في عصر العولمة وهذا يعطي أهمية كبيرة للترجمة الآلية فالحاسوب يمكنه أن يعمل أربعة وعشرين ساعة في اليوم، ويمكن استبداله بما هو أفضل منه وتحسين أدائه وسرعته مع التقدم التقني غير المنقطع.

لذا فإنَّ البحوث والدراسات مستمرة بلا انقطاع لتحسين عملية الترجمة الآلية التامة من اللغة العربية وإليها في محاولة للكشف عن معوقات عملية الترجمة الآلية التامة التي يمكن إجمالها على النحو التالي(٤٨):

- عدم وجود دعم كاف للبحث في هذا المجال.
- التَّعدد الدلاليّ لبعض الكلمات من خلال العوامل الصرفيَّة أو العوامل الدلاليَّة أو العوامل البلاغيِّة.
- طول الجمل ـ أحيانًا ـ في اللغة العربية.
- عدم وجود معجم عربي محوسب مخصص لخدمة عملية الترجمة الآلية التامة.
- قلة عدد النصوص المترجمة بين اللغة العربية واللغات الأخرى.
- غياب علامات الإعراب، وعلامات التريم عن غالبية النصوص العربية.

ومن منطلق أنّ الدلالة هي الركيزة الرئيسة في عملية الترجمة الآلية، حيث تهدف الترجمة إلى نقل مجموع دلالات النص من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، فعندما تتعدد دلالة لفظ ما في النص المراد ترجمته يكون على نظام الترجمة الآليّ أن يحدد المعنى المقصود من بين المعاني المتاحة لهذا اللفظ مما يتطلب تزويد هذا النظام بآليات لحل مثل هذه المشكلات، ولما كانت المشكلة الرئيسة في عملية الترجمة الآلية للكلمات متعددة الدلالة هي التعرف على معاني الكلمات في سياقاتها المختلفة فينبغي أن تكون ذاكرة النظام مُعدَّة للتعامل مع هذه السياقات المتنوعة وتمكين النظام من اختيار المقابل المناسب، تلك المهة التي يقوم بها العقل البشري في سهولة ويسر، فالعقل البشري بكل سهولة يستطيع تحديد المعنى المقصود بلفظة (العين) في السياقات التالية(عين الجيش ـ عين الماء ـ حاجب العين ـ العين الفضة)؛ على المقابل نجد الحاسوب في معاناة كبيرة من البحث على المعلومات التي

أدخلت له من أجل الوصول إلى الترجمة الصحية، وإن لم يتم إدخال معلومة أو أكثر من المعلومات التي يحتاج إليها الحاسوب لتحديد المعنى الصحيح؛ ظهر الخلل والاضطراب والخطأ في الترجمة الآلية؛ لا سيَّما أنَّ هذه الكلمات المتعددة الدلالة والتي تتمتع بقدر كبير من الانتشار والشيوع ينتج عنها اللبس الدلاليّ، أو كما يطلق عليه بعض اللسانين (الغموض الدلالي) (٤٩)؛ وهو الأمر الذي يشكل جوهر المشقة والصعوبة في عملية الترجمة الآلية.

وعلى الرغم من كل هذه المعوقات التي يزدحم بها طريق الترجمة الآلية؛ إلا أنَّ المقارنة بين الواقع وبين بداية التفكير في القيام بهذا النوع من الترجمات يدعو إلى التفاؤل وبث الأمل في وجود أنظمة قادرة على إنتاج نوع من نُظُم الترجمة تمتلك القدرة على الوصول إلى مستوى متقدم يرضى المستخدمين، لذا فقد فرضت الترجمة الآلية التامة نفسها كواحدة من أهم التطبيقات في المعالجة الآلية للغات الطبيعية ، والتي أصبح من الصعب الاستغناء عنها؛ وعلى الرغم من وجود بعض المعوقات؛ إلا أنَّ هذا يدعونا إلى المزيد من البحوث والدراسات لتطوير هذا الحقل اللسانيّ الحديث والوصول به إلى أفضل النتائج.

الدراسة التطبيقيَّة

يصبو البحث إلى الكشف عن أثر التعدد الدلاليّ في عملية الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ (GPT chat translation) بشكل تطبيقيّ من خلال دراسة وتحليل السياقات التي تُظهر التعدد الدلاليّ لبعض الألفاظ التي تمَّ انتقائها من (المدونة اللغويَّة العربية) الموجودة في منصة فلك للمدونات اللغويَّة على الشبكة الدولية، ومعالجة هذه السياقات من خلال ترجمتها آليًا باستعمال موقع جوجل لترجمتها إلى اللغة الإنجليزيَّة، والتدقيق في النصوص المترجمة آليًا، والبحث في مدى دقة المقابلات الإنجليزيَّة ومناسبتها للسيَّاقات العربية من عدمه، وقد تم انتقاء الألفاظ وترتيبها بناء على عوامل التعدد الدلاليّ؛ على النحو التالي:

أولاً:التعدد الدلاليّ باستعمال العوامل الصرفيَّة

الصرف هو تحويل الأَصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعانٍ مقصودة لا تحصُل إلا بها، كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، والتثنية والجمع، إلى غير ذلك(٥٠)، إلا أنَّه أحيانًا يحدث نوع من التداخل بين هذه الأبنية من حيث صورة اللفظ فينتج عن ذلك أن تصلح صيغة واحدة لأكثر من دلالة وهو ما يؤدي إلى حدوث التعدد الدلاليّ من نوع الهومونيمي، وفيما يلي نعرض لبعض العوامل الصرفيَّة التي تؤدي إلى حدوث التعدد الدلاليّ ومن هذه العوامل :

(أ)- اتفاق صيغة اسم الذات مع صيغة المصدر : ومن ذلك لفظة (الجُبْن):

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجميّ	المعنى السياقيّ
١. وقد وضع أمامه بصل أخضر وقطعة **جبن** ورغيف خبز ويتناول افطاره	- Green onions, a piece of **cheese**, and a loaf of bread may be placed in front of him, and he eats his breakfast	الجبن الذي يؤكل	الجبن الذي يؤكل
٢. هذا ليس دينا بل **جبن** وخوف وهلع يجب أن يعالج	- This is not religion, but rather **cowardice**, fear and panic that must be dealt with	نقيض الشجاعة	نقيض الشجاعة

بالتدقيق في الجدول السابق نلحظ أنَّ لفظة (الجبن) وردت متعددة الدلالة، حيث وردت اسم ذات للدلالة على نوع من الطعام وهو ما جُمِّدَ من اللَّبَن و صُنِع بطريقة خاصة(٥١)، وورد مصدرًا من: جَبُن جُبنًا، وهو ضد الشجاعة(٥٢)، وبالتدقيق في الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ (GPT chat translation) نلحظ أنَّ البرنامج قد استبدل بكلمة (الجبن) في الأمثلة السابقة كلمتين من اللغة الإنجليزيَّة، وقد كان اختيار البرنامج موفقـًا في ترجمة هذه اللفظة، والسبب في ذلك هو وجود قرائن سياقيَّة ساعدته على اختيار المعني الدقيق، ففي المثال الأول الكلمات (بصل . رغيف . خبز . افطار) ساعدت البرنامج على اختيار كلمة (cheese)، بينما في المثال الثاني كلمتي (خوف . هلع) ساعدت البرنامج على اختيار لفظة إنجليزيَّة أخرى مقابلة للفظة الجبن وهي لفظة (cowardice).

(ب). اتفاق صيغة (الجمع) مع صيغة (الاسم الجامد) مع صيغة (االمصدر) : ومن ذلك لفظة(الخيار):

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجمي	المعني السياقي
١. شرائح خيار مخلل ، وأوراق من قلب الخس ، وملح ، وفلفل.	- Pickled **cucumber** slices, lettuce leaves, salt, and pepper.	الذي يؤكل	الذي يؤكل
٢. لم يدع أمام المجتمع الدولي أي خيار آخر سوي فرض عقوبات صارمة.	- The international community was left with no other **choice** but to impose strict sanctions.	مصدر اختار	مصدر اختار
٣.كما قال رسول الله عن نفسه (أنا خيار من خيار من خيار) فقد ولد من أبوين قرشيين عزيزين كريمين.	- As the Messenger of God said about himself (I am **the best** of the best of **the best**), he was born of noble and generous Quraysh parents.	جمع الخيِّر	جمع الخيِّر

بالتدقيق في الأمثلة السابقة نلحظ أن لفظة (الخيار) وردت متعددة الدلالة، حيث جاءت اسما جامدًا للدلالةعلى ثمار النبات المتسلِّق من الفصيلة القرعيّة، وهي ثمار أسطوانيَّة تشبه القثّاء ذات قشرة خضراء ولبّ أبيض نضر تؤكل نيِّئة، وهي نوع من الخضر، وجاءت مصدرًا للفعل (اختار) للدلالة على خِيار الشِّراء أو البيع: وهو الحقّ المطلق لبيع أو شراء شيء في تاريخ معيّن وبسعر متَّفق عليه، وليس له خيار: أي ليس أمامه خيار، فهو مضطرّ، وهو بالخيار :أي يختار ما يشاء، وجاءت جمعًا للدلالة على خيار الشَّيء: أفضله ، وهو من خِيار الناس(٥٣).

وبتحليل سلوك البرنامج(GPT chat translation) في الأمثلة السابقة نجد أنه قد استعمل ثلاثة ألفاظ مقابلة للفظ (الخيار) في اللغة الإنجليزيَّة، ففي المثال(١) استعمل المقابل الإنجلزيّ(cucumber) للدلالة على نوع من الخضروات، وقد كان اختيار البرنامج موفقـًا في ترجمة هذه اللفظة، والسبب في ذلك هو وجود قرائن سياقيَّة ساعدته على اختيار المعني الدقيق مثل (مخلل . خس . فلفل . ملح)، وفي المثال (٢) استعمل المقابل (choice) لوجود القرائن السياقية التي ترجح هذا المعني، وفي المثال

(٣) استعمل لفظ (the best) بمعنى الأفضل لوجود القرائن السياقية الدالة على ذلك، وهي الجملة التي شرحت المعنى (فقد ولد من أبوين قرشيين عزيزين كريمين)؛ لذا كان البرنامج(GPT chat translation) موفقًا في ترجمة هذه النصوص.

ج)اتفاق صيغة الاسم الجامد مع صيغة بعض المشتقات :

قد تتفق صيغة بعض المشتقات مع الاسم الجامد في اللفظ ، لكنهما يختلفان في الدلالة، فينتج عن ذلك أيضا التَّعدُّ الدَّلاليّ؛ نحو لفظة (الحديث):

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجمي	المعني السياقي
١. في حديث عائشة رضى الله عنها	- In the **hadith** of Aisha, may God be pleased with her	الحديث	أحاديث النبي(ص)
٢. حديث القرآن الكريم عن النبي (صلي)	- The **hadith** of the Holy Qur'an	الحديث	معلومات
٣. وهل أتاك حديث موسي	- Did you hear the **hadith** of Moses?	الحديث	النبأ
٤. أوضح رئيس الجامعة في حديث تليفوني	- president explained in The a telephone **interview**. -	الكلام	المقابلة
٥. وأكد في حديث اذاعي	- He confirmed in a radio **interview**	الكلام	المقابلة
٦. حديث أو حوار بشأن	- a **conversation** or dialogue about	الكلام	المحادثة
٧. حديث مستمر معهم من خلال المحافل الدولية	- **Conversation** with them through international forums. -	الكلام	المحادثة
٨. وهناك حديث أن سيناء تشهد نوعا من المواجهة بين عناصر	- There is **talk** that Sinai is witnessing a kind of confrontation between elements	الكلام	أنباء
٩. تطوير المجازر يتضمن انشاء مجزر آلي حديث	- Developing slaughterhouses includes establishing a **modern** automated slaughterhouse	المعاصر	المعاصر
١٠. إنه حديث العهد بالزواج	- He is **newly** married	القريب	القريب

١١. ولكنه مصمم من خلال حوار آخر حديث	- But it was designed through another **recent** dialogue	الجديد	مؤخرًا
١٢. جاذبه أطراف الحديث	Attracting people to **talk** -	الحوار	الكلام

بالتدقيق في الجدول السابق نلحظ لفظة الحديث وردت اسمًا جامدًا للدلالة على الكلام؛ فقد جاء في المعجم: الحديث: ما يتحدَّث به من كلامٍ وخبر،و يُقال: حديث جانبيّ، وحديث صحفيّ، وجاذبه أطرافَ الحديث: شاركه في الحوار، وما لي معك حديث :لا شأن لي معك، وحديث العَهْد بالزَّواج: تزوَّج منذ وقتٍ قريب ، وتأتي صفة مشبهة باسم الفاعل للدلالة جمع حِداث وحُدَثاء: أي الجديد العصريّ، يُقال: صدر الكتاب حديثًا(٥٤).

وبتحليل سلوك البرنامج (GPT chat translation) في الأمثلة السابقة نجد أنه استعمل تسعة ألفاظ إنجليزية مقابلة للفظ (الحديث) التي وردت في اثني عشر موضعًا بدلالات عربية متباينة، على النحو التالي:

في المثال (١) لم يترجم البرنامج (GPT chat translation) الكلمة واكتفى بكتابتها باللغة الإنجليزيَّة هكذا (hadith) للدلالة على أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو قصور في خلق المفردات الجديدة، والأمر نفسه في المثال(٢): (حديث القرآن الكريم عن النبي (صلي) والمثال(٣): (هل أتاك حديث موسى) نجد أن البرنامج لم يترجمهما أيضًا، واكتفى بلفظة (hadith) ، مع أن لفظة (حديث) لها دلالة مختلفة في كل مثال، فكلمة (حديث) في المثال(٢): (حديث القرآن الكريم عن النبي صلي الله عليه وسلم) معناها (معلومات) أي المعلومات التي أخبرنا بها القرآن الكريم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان من الأولى أن يترجمها البرنامج إلى لفظة (information)، ودلالة لفظة (حديث) في المثال(٣): (هل أتاك حديث موسى) معناها (نبأ)، وكان حري ترجمتها إلى (news)، لكن البرنامج لم يفعل ذلك، وعالج المثاليين كما عالج المثال(١):(في حديث عائشة رضى الله عنها)، وهذا أمر خاطئ، لكن ربما يكون تفسير ذلك أن البرنامج قد صُمِّم على الالتزام باللفظة دون ترجمة في النصوص الدينيَّة أو التي يظن البرنامج أنها دينيَّة، دون مراعاة السياق وهذا ما نعده قصورًا في الترجمة الآلية لهذه اللفظة.

وبالتدقيق في المثالين (٤)، و(٥) نجده استعمل المقابل الإنجليزي(interview) للدلالة على الحديث التلفزيوني أو الإذاعي، وهذه اللفظة تترجم في العربية إلى لفظة (المقابلة) وهي دلالة واسعة فضفاضة، يُقصد بها دلالات أخرى في اللغة العربية كمقابلة اختيار الوظيفة مثلا، والأحرى ترجمتها بلفظة (dialogue).

وفي المثاليين (٦)، و(٧) نجده استعمل المقابل الإنجليزي (conversation) للدلالة على الحديث المشفوع بالنقاش بين طرفين، وهي ترجمة موفقة، أما في المثال(٨) فلم يوفق في استعمال لفظة(talk) لأن لفظة حديث هنا تدل على (الأنباء) وكان الأولى ترجمتها باللفظ (news).

وفي المثال (٩) استعمل البرنامج المقابل الإنجليزي (modern) بمعنى المعاصر وهي ترجمة موفقة لوجود قرائن سياقيَّة تدعمها مثل كلمتي(تطوير . آلي)، كما وفق البرنامج في المثال (١٠) عندما ترجم لفظة حديث إلى المقابل الإنجليزي(newly) ذلك لأن التركيب (newly married) يُعدُّ من الكلمات المتلازمة والتراكيب الثابتة في اللغتين العربية والإنجليزية.

وفي المثال(١١) ترجم البرنامج لفظة (حديث) إلى لفظة (recent) التي تعني (مؤخرًا) وكان الأولى أن تترجم إلى لفظة (modern) التي تعني جديد، وفي المثال رقم (١٢) ترجم البرنامج لفظة (الحديث) إلى لفظة(talk) وهو ما يعدُّ اختيارًاغير

موفق على الرغم من توافر القرائن السياقيّة التي تدل على أنَّ الحديث بين شخصين يتناوبان في الحديث والمناقشة، فالترجمة الأقرب هنا هي (dialogue) أو (conversation).

من خلال التحليل السابق نلحظ أن تعدد المعنى لكلمة (الحديث) قد أدى إلى وقوع البرنامج (GPT chat translation)في تضارب وخلط ، حيث لم يوفق البرنامج في الترجمة الآلية إلا في موضعين اثنين، من أصل تسع ترجمات جاء بها، كما أنه أهمل ترجمة ثلاثة مواضع أخرى لم يأت فيها بمقابل إنجليزي.

(د)- قلب بعض حروف العلة همزة في الاشتقاق:

ومن ذلك أن تقلب عين الفعل همزة في اسم الفاعل " والقاعدة أنه متى أُعِلَ الفعل بقلب عينه ألفا أُعِلَ اسم الفاعل منه بقلب عينه همزة (٥٥)، وذلك في مثل : قام قائم، ونام نائم. فإذا صادف ذلك وجود فعل آخر له معنى آخر وكانت عينه همزة أصبح اسم الفاعل له الصيغة نفسها ومن ذلك لفظة (**السائل**):

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجمي	المعني السياقي
١- أن تنظفها بقطعة من القماش المبلل بالماء أو سائل منظف آخر.	- Clean it with a piece of cloth moistened with water or another cleaning **liquid**.	السائل	مركب كميائي
٢- جاء سائل للنبي.	- A **questioner** came to the Prophet	السائل	المستفسر
٣-جاء سائل للنبي يطلب	- A **beggar** came to the Prophet asking.	السائل	الشحاذ
٤- سائل الله	- **Asking** God.	السائل	الداعي
٥- إلا أن مسئول البنك أكد لهم استحالة صرف مليون جنيه اليوم مما دفعهم لطلب مبلغ سائل من نجله.	- However, the bank official assured them that it was impossible to spend one million pounds today, which prompted them to request a **liquid** sum from his son.	السائل	النقديّ

بتحليل سلوك البرنامج في الأمثلة السابقة التي قُلب فيها حرف العلة في اسم الفاعل من (سال) إلى همزة ليصبح اسم الفاعل (سائل)، فيلتبس معناه مع اسم الفاعل من (سأل)، نجد أن البرنامج أصيب بالارتباك أمام هذا النوع من التغيير الصرفيّ في بنية الكلمة، نستعرضه على النحو التالي:

في المثال (١) وفق البرنامج في ترجمة الكلمة إلى المقابل الإنجليزي (liquid)الذي يدل على حالةٌ من حالات المادَّة الثّلاث، وسَطٌ بين الصلابة والغاز(٥٦)، جاء في المعجم: سالَ يَسيل ، سِلْ ، سَيْلاً وسَيَلانًا وسُيُولةً ، فهو سائل : سال الماءُ ونحوُه جَرَى، سال دمُه(٥٧) وهذه ترجمة منطقية لوجود قرائن سياقية تساعد على الوصول إلى هذا السياق مثل لفظتي (مبلل . ماء)،

وهو الأمر الذي يعكس أهمية القرائن السياقيَّة بالنسبة للبرنامج، الأمر الذي يبدو أكثر وضوحًا في المثالين (٢)، و(٣)؛ فقد ترجم البرنامج لفظة السائل إلى (questioner) للدلالة على الرجل الذي جاء للنبي (صلى الله عليه وسلم) مستفسرًا عن أمور الدين، وقد ذهب البرنامج إلى هذه الترجمة في عدم وجود قرينة تنفي هذا المدلول، لكن عندما توفرت قرينة سياقية بزيادة كلمة واحدة على الجملة (يطلب) قام البرنامج بتغيير الترجمة على الفور، واستبدل (beggar) بلفظة (questioner)، للدلالة على الشحاذ أو المتسوِّل ، قال تعالى "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ"(٥٨).

كما نلحظ تغير البرنامج للفظة المترجمة في مثال (٤) للفظة (Asking) وهذه لفظة جديدة للدلالة على الرجل الذي يدعو الله سبحانه وتعالى وأزعم أنها ترجمة موفقة في هذا السياق، لكنه ارتكب خطأ فادحًا في المثال(٥) عندما ترجم لفظة (سائل) في التركيب (مبلغ سائل) التي تدل على (الأموال النقديَّة) إلى المقابل الإنجليزي (liquid)، فهذه ترجمة خاطئة وقع فيها البرنامج بسبب التعدد الدلالي للكلمة ، وكان الأولى استعمال المقابل الإنجليزي(amount).

ثانيـًا : التعدد الدلاليّ باستعمال العوامل الدلاليَّة

هناك بعض العوامل الدلاليَّة لها تأثير كبير على ظاهرة التَّعدُّد الدلاليّ نستعرضها على النحو التالي:

(أ)- التَّغيُّر الدلاليّ:

من الكلمات التي تعرضت للتطور الدلالي لفظة(العيش) ومعناها: الحياة، والعَيْشُ ما تكونُ به الحياةُ من المطعم والمشْرَبِ والدَّخْل(٥٩). وهي من الكلمات التي أصابها التخصيص الدلالي، للدلالة على ما يتقوت به الناس ويقالُ :عيشُ بني فلانٍ اللَّبَنُ، أو الخبز، أو الأرز، والجدول التالي يوضح السياقات التي وردت فيها لفظة (العيش) في المدونة اللغوية العربية:

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجمي	المعني السياقي
١.كانوا فى رفاهية ورغد من العيش	- They were in luxury and comfortable **living**	العيش	الحياة
٢. هو المطلب الأساسى العميق الذى قامت من أجله الثورة ;العيش والحرية والعدالة الاجتماعية	- It is the profound basic demand for which the revolution was established; **Live**, freedom and social justice	العيش	الخبز
٣. أوفر لكم العيش الحاف	- I provide you with comfortable **living**	العيش	الخبز
٤. طوابير العيش والبوتاجاز وحوادث الطرق والقطارات	- **Live** queues, gas stoves, road and train accidents	العيش	الخبز
٥. توفير رغيف العيش فقط حتي لا يثور الناس	- Providing only a loaf of **bread** so that people do not revolt.	العيش	الخبز

الأرز	العيش	In the Sultanate of Oman, we ate **bread**, meat, and chicken -	٦. في سلطنةعمان وتناولنا العيش واللحم والدجاج

بتحليل سلوك البرنامج في الأمثلة السابقة ، نجد أن البرنامج لم يدرك التطور الدلاليّ الذي أصاب لفظة (العيش)، ففي المثال (١) يترجم لفظة العيش إلى لفظة(living) الدالة على الحياة، وهي ترجمة منطقية دلت عليها القرائن السياقية (رفاهية . رغد)، لكن عندما تخصص مدلول الكلمة للدلالة على قوت الناس في قطر من الأقطار لم ينتبه البرنامج لهذا التخصيص على الرغم من وجود القرائن السياقية الدالة على ذلك، ففي جمهورية مصر يُطلق لفظ العيش للدلالة على الخبز، حتى صار شعارًا للمصريين كما في المثال(٢) (العيش الحرية العدالة الاجتماعيَّة) فالناس تطالب بتوفير: الخبز ، لكن البرنامج استعمل المقابل الإنجليزي (Live) على الرغم من وجود القرينة السياقية التي هي معروفة لدي الجميع وهي دلالة هذا الشعار على توفير الخبز، ليس هذا فحسب ففي المثالين (٣)، و (٤) تم وصف لفظة العيش بلفظة (الحاف) وهو وصف لا يكون إلا للخبز في مصر، ولفظة (طوابير) وهذا الوصف يعرفه الجميع في مصر والمنطقة العربية للدلالة على ازدحام الناس عند شراء الخبز ووقوفهم في صفوف طويلة المعروفة بظاهرة (طوابيرالخبز)، ومع هذا فإنَّ البرنامج لم ينتبه لهذا واستعمل المقابل الإنجليزي(Living) ، وكان عليه أن يستعمل المقابل الإنجليزي (bread)، لكن البرنامج لم يستعمل المقابل الإنجليزي(bread) للفظة العيش إلا عندما جاءت مع لفظة (رغيف) فهذه هي القرينة السياقية الوحيدة التي جعلته يذهب للترجمة الصحيحة. كما أنَّ البرنامج عاد ليخطأ مرة أخرى حينما تخصص مدلول لفظة العيش في دولة أخرى بمعنى آخر؛ ففي سلطنة عمان تخصص مدلول لفظة العيش للدلالة على (الأرز) لكن البرنامج استعمل المقابل الإنجليزي (bread)، وهو استعمال في غير محله، والصواب هو المقابل الإنجليزي(rice) للدلالة على لفظة العيش في استعمال الأشقاء العمانيين.

(ب). استعمال اللفظ ک "مصطلح".

جاء في المعجم : رَفَعَ الشيءَ رَفْعًا، ورِفاعًا: أَعلاه، وفي التنزيل العزيز: (وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ)، و رَفَعَ البناءَ: طوّله، وفي التنزيل العزيز(إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ)، و رَفَعَ الشيءَ: حمله ونقله، الرَّفْعُ (في النحو) : نَوْعٌ من الإعراب علامته الضمة وما ينوب عنها(٦٠).

المعني السياقي	المعنى المعجمي	GPT chat translation	نص المدونة
الحمل	الرفع	Suez Canal Authority and **lifting** cranes. -	٢. هيئة قناة السويس وأوناش الرفع .
الرفع في النحو	الرفع	He places a dot at the end of the word with what scholars call dots of grammaticalization, which marks the end of the words (**nominative,** accusative, and genitive). -	٢. يضع نقطة علي آخر الكلمة بما يسميه العلماء نقط الإعراب الذي يضبط أواخر الكلم (الرفع والنصب والجر)

٣. سيتم تنفيذ المشروع عليها سواء بالمحافظات أو المدن الجديدة ,كما تم الانتهاء من أعمال الرفع المساحي وجار الانتهاء من أعمال الجسات للأراضي	-	In the sand dunes and in the coastal plain. The project will be implemented in either the governorates or new cities. **<u>Surveying</u>** work has also been completed and land surveying work is being completed.	الرفع	القياس
الانتفاضة كان سببها الرفع المفاجيء لاسعار عدد من السلع الاساسية في مصر.	-	The uprising was caused by the sudden i**<u>ncrease</u>** in the prices of a number of basic commodities in Egypt	الرفع	الزيادة

وبالتدقيق فيما جاء في المعجم نلحظ أن كلمة (الرفع) وردت بدلالتين: إحداهما لغويَّة بمعنى الحمل والإعلاء، كما في المثال (١) والتي اختار لها البرنامج المقابل الإنجليزي (lifting)، وهناك دلالات اصطلاحيَّة لكلمة (الرفع) اجتهد البرنامج في ترجمتها، ففي المثال (٢) وردت كلمة (الرفع) للدلالة على الرفع في علم النحو، وقد ترجمه البرنامج بالمقابل الإنجليزي (nominative) وهي ترجمة سليمة موافقة لما ورد في معجم المصطلحات الألسنية(٦١). أمَّا في المثال (٣) ترجم البرنامج مصطلح (الرفع المساحي) في علم الجغرافيا،إلى المقابل الإنجليزي (Surveying) وهي ترجمة حرفية غير دقيقة والأصوب ترجمة المصطلح إلى المقابل الإنجليزي (polarimetry) (٦٢)، وفي المثال (٤) جاء البرنامج بترجمة غير سليمة للمصطلح الاقتصادي (رفع الأسعار) حيث جاء بالمقابل الإنجليزي (increase)، في حين أن الترجمة الصحيحة لهذا المصطلح (Raise the price) وهذا التضارب الذي أصاب الترجمة الآلية لهذا المصطلح، أمر متوقع ذلك لأن انتقال الكلمة المفردة في اللغات الحية من مدلول إلى مدلول آخر على مر السنين أمر مقبول به في الدراسات اللغويَّة؛ كما أنَّ انتقال الكلمة من محتوى إلى محتوى آخر يكون نتيجة طبيعية لتلبية اللغة للمعطيات الحضاريَّة التي تستعمل في مستحدثات عديدة، تلك المعطيات التي تشكل واقعا بارزا في المعاجم؛ عربية كانت أم أجنبية، فقد نجد أحيانًا معان كثيرة للكلمة الواحدة لا تجمع بينهما رابطة تشد بعضها إلى بعض، الأمر الذي يزيد من صعوبة ترجمة هذه المفردات التي تتحول بطبيعة الحال إلى مصطلحات، وترجمة هذا النوع من المفردات التي تتعدد معانيها تلبية للمعطيات الحضارية التي تحولها بدورها إلى مصطلحات متخصصة يتوقف على مدى تغذية برامج الترجمة الآلية بالسياقات المختلفة، فمتى كان البرنامج غنيًا بالساياقات زادت الفرصة للحصول على ترجمة سليمة، الأمر الذي يحتاج إلى تحديث البرنامج بشكل مستمر وامداده بالسياقات المستحدثة أولاً بأول، الأمر الذي يعجل من ضرورة عمل معجم لغوي آلي قابل للتحديث بشكل مستمر؛ ذلك لأن التعادل أو التقابل المعجمي والاصطلاحي يعتمد على المعلومات التي يتم تخزينها في الحاسوب أولاً بأول.

ثالثًا : العوامل البلاغيَّة

يكاد يتفق اللسانيون القدماء والمحدثون على أنَّ التَّعدد الدلاليّ قد ينتج عن الأساليب البلاغية في اللغة العربية، ذلك لأنَّ هذه الأساليب قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بمعنى اللفظ، ولما كانت هذه الأساليب البلاغية مرتبطة هذا الارتباط الوثيق بمعنى

اللفظ، باتت هذه الأساليب ذات تأثير مباشر في المعنى وما يتعلق به من قضايا كقضية (التَّعدُّد الدِّلاليّ)، وسوف نحاول فيما يلي عرض هذه الأساليب وعلاقة كل منها بالتعدد الدلاليّ وأثره على الترجمة الآلية على النحو التالي:

أولاً : التعدد الدلاليّ باستعمال الاستعارة

تُعدُّ الاستعارة آلية من الآليات الرئيسة للتعدد الدلاليّ؛ الاستعارة أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصّل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر(٦٣)، فهي ضرب من المجاز اللغويّ علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه، وتطلق على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمى المشبّه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا، وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية ؛ فعندما يقول شخص ما : في شركتكم خنازير ؛ فإن لفظة (حنازير) هذه لا تدل على هذا الحيوان المعروف ؛ بل تدلُّ على بعض المعاني التي يستلهما المتلقي من مخزونه الذهني مثل (القذارة . الوضاعة . النجاسة . الكسل) تلك السمات الدلاليَّة التي تشتهر بها هذه الوحدة المعجميَّة (خنازير) فالمتكلم عندما يتلفظ بالمنطوق الاستعاريّ (في شركتكم خنازير) يريد ذم بعض العاملين في شركة المتلقي ، وهنا لا يتم التعامل مع المعني الحرفيّ للوحدة المعجميَّة، بل مع مجموعة من عناصر السمات الدلاليَّة لهذه الكلمة بوصفها وحدة دلاليَّة (٦٤)؛ وهذا ما نتعتبره التحدي الحقيقيّ أمام برامج الترجمة الآلية التي ينبغي عليها أن تتعامل مع هذه التغييرات التي تصيب اللفظ ، لذلك سوف نتناول أحد النماذج الاستعارية التي وردت في المدونة اللغوية ونحلل كيفية تعامل البرنامج معها على النحو التالي:

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجمي	المعني السياقي
١. العلاقة بين رأس المال والسلطة	The relationship between capital and power-	رأس	رأس المال
٢. التعليم وجودته علي رأس الأولويات القومية .	Education and its quality are top national - priorities.	رأس	قمة الأولويات
٣. الحاكم الذي هو رأس الدولة	The ruler who is the head of the state-	رأس	الحاكم
٤. مشروع رأس الحكمة	Ras El Hekma Project-	رأس	اسم مدينة
٤.كانت نصيحة هي رأس الحكمة	Advice was the beginning of wisdom-	رأس	غاية الحكمة

جاء في المعجم : الرأْسُ من كل شيء: أعلاه، ومن البدن : جزء أعلاه يحوي العينين والفم والأنف والأذنين وبداخله المخ، والرأْسُ سيّد القوم، ورأْسُ الشهر والسنَة: أوّل يوم مِنهما، ويقال: عنده رأْسٌ من الغنم: فَرْد منها، ورَأْسُ المال: جملة المال التي تستثمر في عمل ما، ورأس الأكحل موضع باليمن(٦٥).

بالتدقيق في المعنى المعجميّ نلحظ أن لفظة (رأس) قد وردت بمعاني حقيقية وأخرى مجازية، وهو مطابق للواقع اللغويّ، لكن عندما عرضنا النصوص العربية على برنامج الذكاء الاصطناعي ليترجمها ترجمة آلية تبن أنَّ الاستعمال المجازى للفظة (الرأس) أربك المترجم الآليّ بشكل كبير، ففي المثال (١) استعمل البرنامج المقابل الإنجليزي (capital) للدلالة على التركيب المجازي (رأس المال) وقد وفق البرنامج في هذه الترجمة لا سيَّما استعماله للفظة واحدة نيابة عن التركيب الإضافي في اللغة العربية، وفي المثال (٢) استعمل المقابل الإنجليزي (top) للدلالة على التركيب المجازي (رأس الأولويات) وهي ترجمة موفقة من البرنامج ، وفي المثال (٣) أُصيب البرنامج بالارتباك واستعمل المقابل الإنجلزي (head of the state) وكان من الأفضل أن يسير على المنهج ذاته في استعمال كلمة واحدة بدلا من التركيب الإضافي (رأس الدولة) وكان عليه أن يستعمل المقابل الإنجليزي(president)، وفي المثال(٤) استعمل البرنامج اللفظة كما هي دون ترجمة وكان موفقا في هذا الاختيار للدلالة على اسم مدينة في مصر (Ras El Hekma)، وفي مثال رقم (٥) اختار البرنامج التركيب الإنجليزي (beginning of wisdom) للدلالة على التركيب (رأس الحكمة) وفي هذا خلل أيضا في معاجة البرنامج لهذه الترجمة من جانبين الأول تخليه عن منهجه في ترجمة التراكيب العربية إلى كلمة واحدة في الإنجليزية، والجانب الآخر هو اختيار المقابل الإنجليزي غير المناسب (beginning) وكان من الأفضل أن يستعمل المقابل الإنجليزي(Great wisdom) أو (The pinnacle of wisdom) ، لذا نعتبر أن الترجمة الآلية باستعمال البرنامج منفردًا غير دقيقة وتحتاج إلى تنقيح وتدخل بشري.

ثانيـًا : التعدد الدلالي باستعمال الكناية

من الآليات المستعملة في انتاج التعدد الدلاليّ، وهي التعبير عن الشيء لفظًا أو معنًا بلفظ غير صريح فالجانب غير الصريح وغير المباشر سمة مشتركة بين الطرفين ؛ فعندما نقول : (طويل النجاد) فالمراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا، فالنجاد حمائل السيف، وطول النجاد يستلزم طول القامة، فإذا قيل : فلان طويل النجاد، فالمراد أنّه طويل القامة، فقد استعمل اللفظ في لازم معناه، مع جواز أن يراد بذلك الكلام الإخبار بأنّه طويل حمائل السيف وطويل القامة، أي يراد بطويل النجاد معناه الحقيقي(٦٦). ومن أمثلة هذا النوع ما يلي:

نص المدونة	GPT chat translation	المعنى المعجمي	المعني السياقي
١. وتنص الشهادة علي ان درجة ابصارك لاتقل عن ٦ / ٦ بالنظارة وانك سليم القلب والصدر	The certificate states that your vision is not less than ٦/٦ with glasses and that you are healthy heart and chest.	سليم القلب	صحته جيدة
٢. أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق القول.	He must be of sound heart, chaste in sight, and honest in speech	سليم القلب	مؤمن بالله

بالتدقيق في الجدول السابق نلحظ أن التركيب الإضافي (سليم القلب) جاء في المثال (١) بالمعنى الحقيقي وقد وفق البرنامج في ترجمته إلى (healthy heart) أي القلب الصحيّ، أما عندما جاء التركيب مجازيًا للدلالة على نقاء وطهارة القلب فقد ارتبك البرنامج في ترجمته، وجاء بالمقابل الأجنبي (sound heart) ، وكان الأفضل أن يترجمه إلى (Pure heart).

ثالثا : التعدد الدلاليّ باستعمال الجناس

يأتي الجناس في المرتبة الثانية بين العوامل البلاغيَّة بعد المجاز، لكنه يختلف عن المجاز في كونه اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا، بل يكونان حقيقيين(٦٧). وما يعنينا هنا هو الجناس التام " والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها(٦٨).ومن أمثلة هذا النوع في المدونة ما يلي:

نص المدونة	GPT chat translation	الكلمة الأولى	الكلمة الثانية
١. صلينا المغرب في المغرب	We prayed Maghrib in Morocco-	الصلاة	البلد
٢. وصلنا المغرب في المغرب	We arrived in Morocco in Morocco-	البلد	موعد الصلاة

بالتدقيق في الجدول السابق ومعالجة البرنامج لكلمة (المغرب) نستطيع أن نقول : إن البرنامج لم يلتفت لظاهرة تعدد المعنى لكلمة (المغرب) في المثال (٢)، على الرغم من أنه التفت إليها في المثال رقم (١) ذلك لأن الفعل (صلينا) كان هو القرينة السياقية التي ساعدت البرنامج في الترجمة الدقيقة للكلمة فاختار المقابل الإنجليزي (Morocco) للدلالة على البلد واستعمل كلمة (Maghrib) كما هي دون ترجمة للدلالة على صلاة المغرب، وهذا منهج البرنامج في المصطلحات الدالة على الدين الإسلاميّ لا يترجمها بل يستعملها كما هي كما سبق في معالجة لفظة (الحديث) ، لكن عند غياب هذا الفعل المرتبط بالشعيرة الإسلامية المعروفة ارتبك البرنامج ولم ينتبه لتعدد المعنى فأخطأ في الترجمة حيث ترجم الكلمتين إلى مقابل إنجليزي واحد وهو (Morocco) الدال على البلد العربي الشقيق.

الخاتمة

١- سلَّطت هذه الورقة الضوء على حقل من الحقول اللسانيَّة الحديثة يعاني من ندرة في المؤلفات؛ هو (لسانيات المتون أو لسانيات المدونات)، وقد توصلت الدراسة إلى نتيجة مهمة في هذا الإطار مفادها أنّ هذا الحقل اللسانيّ الحديث بات رافدًا رئيسًا للبيانات اللغويَّة الضخمة التي يشتغل عليها الباحث في هذا النوع من البحوث بمساعدة الحاسوب وبرامجه؛ وأنَّ الاستعانة به . درسًا وبحثًا وتعلمًا وتعليمًا . أمرًا ضروريًا يمكن أن يقدم فوائد في مجالات لسانية ودراسات لغويَّة متعددة، ويقدم كذلك نتائج أكثر دقة في بحوث لغويَّة متنوعة:

٢- سلَّطت هذه الدراسة الضوء على المشكلات التي تواجه المترجمين عند ترجمة النصوص باستعمال برامج الترجمة الآليَّة، لا سيَّما الذكاء الاصطناعي، ووقد أظهرت الدراسة أن هذه المشكلات تتعلق بجوانب متعددة منها ما هو مرتبط بالعوامل الصرفيَّة، ومنها ما هو مرتبط بالعوامل الدلاليَّة، ومنها ما هو مرتبط بالعوامل البلاغيَّة.

٣- عمدت هذه الدراسة إلى تتبع ترجمة بعض الألفاظ التي تندرج تحت إطار ما يعرف بظاهرة "تعدد المعنى"؛ وأثبتت الدراسة أن "تعدد المعنى" يمثل العقبة الكبرى في عملية الترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعي، حيث تهدف عملية الترجمة بصفة عامة والترجمة الآلية باستعمال الذكاء الاصطناعي بصفة خاصة إلى نقل مجموع الدلالات الصحيحة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف؛ ذلك لأنَّ دلالات النَّص ترتبط بدلالة ألفاظه حيث تمثل دلالة كل لفظ دلالة جزئية من دلالات النَّص؛ فعندما تتعدد دلالة لفظ ما في النَّص المراد ترجمته يكون على نظام الترجمة الآليّ أن يحدد المعنى المقصود من بين المعاني المتاحة لهذا اللفظ، مما يتطلب تزويد هذا النظام بآليات لحل هذه المشكلات.

٤- تُعدُّ اللغة العربية من أكثر اللغات صعوبة عند ترجمة النصوص ترجمة آلية، وذلك لأسباب عدة : على رأسها عدم وجود الكم الكافي من الأبحاث اللغويَّة في اللغة العربية لإنشاء مصادر حاسوبيَّة ضرورية في بيئة الحاسب الحديثة، وعدم وجود معجم عربيّ آليّ يهتم بالمعاني البلاغيَّة على مستوى التراكيب، أوالتغيرات الدلاليَّة أوالصرفية على مستوى المفردات، وعدم توفر برامج بحث تتقيد بشكل جيد باللغويات الحاسوبية الحديثة، وعدم تبني عملية الترجمة إلى اللغة العربية لأسلوب منهجيّ مؤطَّر نظريًا أو تطبيقيًا(٦٩).

٥- نلحظ أن الذكاء الاصطناعيّ لم يقدم المعنى الدقيق لكثير من المفردات التي أصيبت بتعدد المعنى، حيث وقف تعدد المعنى، حجر عثرة حال بين الذكاء اللاصطناعي ووصوله للترجمة الدقيقة لكثير من المفردات، الأمر الذي يدفع دفعًا بضرورة التدخل البشريّ في المعالجة الآلية لترجمة بعض الألفاظ لا سيَّما تلك التي أصيبت بتعدد المعنى.

٦- كشفت الدراسة أن الذكاء الاصطناعيّ كان يعتمد على بعض القرائن السياقيَّة الثابتة دون الالتفات إلى تعدد المعني الذي أصاب الكلمة؛ كعدم ترجمته للألفاظ التي لها علاقة بالنصوص الدينية وتركها كما هي كترجمته للفظة (الحديث) مثلا بـ (Hadith) وهذا أمر خاطئ، لكن ربما يكون تفسير ذلك أن البرنامج قد صُمِّم على الالتزام باللفظة دون ترجمة في النصوص الدينيَّة أو التي يظن البرنامج أنها دينيَّة، دون مراعاة السياق وهذا ما نعده قصورًا في الترجمة الآلية لمثل هذا النوع من الألفاظ ، لا سيَّما عندما يتعدد معناها، لأن البرنامج قد أخطأ في ترجمة لفظة (الحديث) عندما جاء بلفظة (Hadith) كمقابل لها، وهي بعيدة تماما عن المعنى الدينيّ المقصود.

٧- كشفت الدراسة أنَّ التعدد الدلاليّ قد يتسبب في تحويل بعض الألفاظ إلى مصطلحات، وهو الأمر الذي أربك برنامج الذكاء الاصطناعيّ عند ترجمته لهذه النوع من المصطلحات.

٨- أثبتت الدراسة أنه من الممكن الاعتماد على ظاهرة تعدد المعنى كمقياس لجودة الترجمة من عدمه حيث إنها تمثل مستوى متقدم من الدلالة.

٩- أثبتت الدراسة أن ظاهرة تعدد المعنى تكون عاملاً إيجابيا عند الانتباه إليها وأخذها في الاعتبار في عملية الترجمة الآلية للغة العربية باستعمال الذكاء الاصطناعيّ، كما أنها تمثل عبئًا وتتسبب في وقوع الأخطاء عند عدم أخذها في الاعتبار، لذا توصى الدراسة بعدم الاعتماد بشكل تام على الذكاء الاصطناعيّ في الترجمة الآلية، ولا بد من مراجعة النصوص والدلالات والسياقات ومقاصد المتكلمين؛ هذه المقاصد التي لا يدركها بشكل سليم إلا العقل البشريّ، بل لا نغلو إذا قلنا حتى العقل البشريّ إن لم يكن مستوعبا لبعض الأمور قد يضل مقاصد المتكلمين أحيانا، لذا وجب علينا مراجعة التراجم الآلية.

الهوامش

(١) محمد الخولي: معجم علم اللغة النظري . طبعة جديدة . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٩١م . ص٥١ / محمد الخولي: معجم علم اللغة التطبيقي . ط١ . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٨٦م . ص٢١ / سامي عياد حنا ، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس : معجم اللسانيات الحديثة . طذ . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . ١٩٩٧م . ص٢٦ / رمزي منير بعلبكي : معجم المصطلحات اللغويَّة . ط١ . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ١٩٩٠م . ص ١١٠.

(٢) كانت لسانيات المدونات محل جدال واسع في سبعينيات القرن الماضي؛ لكن هذا الجدل خبا وصار جزءًا من الماضي، حتى أنْ هناك من يراها الآن منهجيَّة تدخل في أغلب العلوم اللغويَّة.

(٣) يُنظر : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني . تحقيق: إحسان عباس وآخرون . دار صادر . بيروت . ط١ . ٢٠٠٢م . ج٦/ص١٢٦ / عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية . مكتبة غريب للنشر . القاهرة . ص٤١ : ص٤٣.

(٤) للمزيد يُنظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء . رتبه واعتنى به : حسان عبد المنان . بيت الأفكار الدولية لنشر . لبنان . ٢٠٠٤م . ١٦/٢٤٨.

(٥) ابن النديم : الفهرست . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . ص٦٣.

(٦) إبراهيم أنيس: . دلالة الألفاظ . مكتبة الأنجلو . القاهرة . ١٩٩٧م.. ص ١٦٩.

(٧) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص ١٦٩.

(٨) يُنظر: حفناوي بعلي: الترجمة وجماليات التلقي المبادلات الفكرية والثقافية . دروب للنشر والتوزيع . ط١ . د.ت . ص٢١ / عبود عبده: العلاقات الأدبية السورية الألمانية المعاصرة . مجلة جامعة دمشق . عدد فبراير . ٢٠٢١م . ص ٢٤وما بعدها / باهر محمد الجوهري: ترجمة الشعر بين الألمانية والعربية .كتاب المؤتمر الثالث لقسم اللغة العربية بكلية الألسن . جامعة عين شمس (العربية وقضايا الترجمة الآن) . ٢٠١٩م ص ٤٠.

(٩) منير سويداني : الترجمة ودورها في ردم الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب . مجلة المعرفة . سورية . العدد ٥٥٢، أيلول٢٠٠٩م ، ص٢٩٦.

(١٠) محمد عناني : فن الترجمة . الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان . ط٥ . ٢٠٠٠م . ص١٢٠.

(١١) يرى الدكتور محمد حسن عبد العزيز أنَّ هذه الصعوبات موجودة أيضًا في ترجمة الألفاظ المتصاحبة؛ للمزيد يُنظر : المصاحبة في التعبير اللغوي . دار الفكر العربي . القاهرة . ط١ . ١٩٨٧م. ص ٤٦.

(١٢) أبو القاسم سعدالله : إشكالية تعدد معاني ودلالات الألفاظ في الترجمة . مجلة الترجمة واللغات . جامعة الجزائر . يناير ٢٠١٢م . ص١٨٨ وما بعدها .

(١٣) .https://falak.ksaa.gov.sa/corpora/arabiccorpus تاريخ الدخول ٥ نوفمبر ٢٠٢٤م.

(١٤) تُعرف هذه الآلة باسم "Enigma"

(١٥) Michael Cronin; Translation and Globalization , London ; New York; Routledge Taylor, Francis, ٢٠١١. .

(١٦) Michael Cronin; Translation and Globalization , P٥٨ .

(١٧) للمزيد يُنظر : آلان بونيه :الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله . ترجمة : على صبري . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت .١٩٩٣م . ص١١.

(١٨) آلان بونيه : الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله . ص ١١.

(١٩) يُنظر : سلطان بن ناصر المجيول: البحث اللغويّ في المدونات العربية الحاسوبية بين الممكن والمحتمل والمأمول .كتاب المدونات اللغوية بناؤها وطرائق الإفادة منها . صدر عن مركز الملك عبدالله للتخطيط و السياسات اللغوية والذي جرى دمجه في مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية . الرياض . ١٤٤٥هـ . ص٢٣٧/ نعمان بوقرة : استؤاتيجيات الإقناع في الخطاب الصحفي السعودي . دراسة نصية تداولية، مقاربة تطبيقية على مدونة صحيفة الجزيرة . الرياض . جامعة الأميرة نورة . ٢٠١٢م . ص١٩ وما بعدها/عبد الرحمن صالح : ورقة حول مشروع الذخيرة اللغوية . مجلة اللسان العربي . العدد٤٨ . ١٩٩٩م،

Aijmer, K, and Altenberg, B: English Corpus Linguistics, London and New York, Longman, ١٩٩١ Chapters ,١٦،١٢،١١،١٠.

(٢٠) محمود إسماعيل صالح : المدونات اللغوية وكيفية الإفادة منها .كتاب المدونات اللغوية بناؤها وطرائق الإفادة منها . صدر عن مركز الملك عبدالله للتخطيط و السياسات اللغوية والذي جرى دمجه في مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية . الرياض . ١٤٤٥هـ . ص١٩/ محمد على

الزركان : اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب . المؤتمر الدولي الأول "اللغة العربية والتقنيات المتقدمة" ، الرياض . مكتبة الملك عبدالعزيز . ١٩٩٣م . ص ٥٥ وما بعدها.

(٢١) محمود إسماعيل صالح : المدونات اللغوية وكيفية الإفادة منها . ص١٩.

(٢٢) وهنا أتفق مع الكثير من الباحثين مثل : محمد محمد يونس ، وصالح العصيمي ، ومحمود إسماعيل صالح للمزيد يُنظر : وصالح العصيمي :لسانيات المتون وعلوم اللغة . مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية . ظهر المهراز . فاس . العدد التسع عشر . السنة الخامسة والثلاثون . ص ٤٢ / محمود إسماعيل صالح: لسانيات المدونات اللغوية مقدمة للقارئ العربي . -https://dr-mahmoud-ismail saleh.blogspot.com/٢٠١٤/٠٤/blog-post_٥ .html.- تاريخ الدخول ٢٠٢٤/١١/٤.

(٢٣) يُنظر: عبد الغني أبو العزم : اللغة العربية والمعالجة الآلية : برامج صخر نموذجًا ، سلوى السيد حمادة : المعالجة الآلية للغة العربية المشاكل والحلول . دار غريب . ط١ . القاهرة . ٢٠٠٩م . ص٢٣٨ / مها الربيعة ١٤٣٣هـ ، عبد الرحمن صالح : المعالجة الآلية للغة العربية . البيان . ١٩٩٩م.

(٢٤) محمود إسماعيل صالح : المدونات اللغوية وكيفية الإفادة منها . ص : ١٩ : ٢٠.

(٢٥) McEnery et al ، ٢٠٠٦.

(٢٦) : leech ١١٦ .

(٢٧) تتكون هذه المدونة من ٣٠٠ مقالة، وقد تم إنشاؤها في جامعة أريزونا بمركز المصادر التعليمية عن الثقافة واللغة ومحو الأمية بالولايات المتحدة الأمريكية، وتعتبر هذه المدونة نموذجًا لما يمكن أن يكون عليه هذا النوع من المدونات للمزيد: يُنظر: Meyer, c : English Corpus Linguistics: An Introduction, Cambridge: Cambridge University Press.

(٢٨) تشتمل هذه المدونة على نصوص للإنجليزية البريطانية والأمريكية للفترة من ١٦٥٠ إلى ١٩٩٠..

(٢٩) محمد الخولي: معجم علم اللغة النظري . طبعة جديدة . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٩١م . ص٥١/ محمد الخولي: معجم علم اللغة التطبيقي . ط١ . مكتبة لبنان . بيروت . ١٩٨٦م . ص٢١/ سامي عياد حنا ، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس : معجم اللسانيات الحديثة . طذ . مكتبة لبنان ناشرون . بيروت . ١٩٩٧م . ص٢٦/ رمزي منير بعلبكي : معجم المصطلحات اللغويّة . ط١ . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ١٩٩٠م . ص ١١٠.

(٢٩) ماهر عيسى : الارتقاء بتعليم العربية التقليدي إلى المستوى الإلكتروني . بحث مقدم إلى نودوة تطوير المناهج والاختصاصات الجامعية . جامعة حلب . ٣٠-٣١ أيار . ٢٠٠٦م . ص ٨.

(٣٠) ماهر عيسى : الارتقاء بتعليم العربية التقليدي إلى المستوى الإلكتروني . بحث مقدم إلى نودوة تطوير المناهج والاختصاصات الجامعية . جامعة حلب . ٣٠-٣١ أيار . ٢٠٠٦م . ص ٨.

(٣١) صالح العصيمي : لسانيات المتون وعلوم اللغة . ص٦٢.

(٣٢) من هذه الدراسات : ألفة يوسف : تعدد المعنى في القرآن الكريم . دار سحر للنشر .كلية الآداب منوبة . ط٢ . د.ت.

(٣٣) للمزيد يُنظر : ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة . ترجمة: كمال بشر . مكتبة الشباب . القاهرة (د. ت). ص ١١٢، على أبو لاجي : ظاهرة التعدد الدلالي في المعاجم العربية عرض ونقد . ص ٦٨.

(٣٤) للمزيد يُنظر: حسام البهنساوي: التوليد الدلالي دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية . مكتبة زهراء الشرق . القاهرة . ٢٠٠٣م. ص ٣١ و ما بعدها.

(٣٥) حاول بعض المعاصرين اعتبار الترادف من باب تعدد المعنى (يُنظر: يوسف صالح: التعدد الدلالي وأثره في الخلاف الفقهي / علي أبو لاجي : ظاهرة التعدد الدلالي في المعاجم العربية الحديثة) ؛ للمزيد: يُنظر: رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة . مكتبة الخانجي . القاهرة . ١٩٩٤م . ط٣. ص ٣٠٩.

(٣٦) السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها . المكتبة العصرية . تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون . ٣٦٩/١ . الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس . تحقيق : مجموعة من المحققين . طبعة حكومة الكويت . د.ت . ٢٥/١.

(٣٧) أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١١٢وما بعدها.

(٣٨) للمزيد يُنظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ١٦٥: ١٦٧/ سلوى العوا : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم . بتقديم الدكتورة عائشة عبد الرحمن . دار الشروق . القاهرة . ط١ . ١٩٩٨م، ص ٤٩.

(٣٩) جون ليونز : اللغة وعلم اللغة . ترجمة وتعليق: مصطفى التوني . دار النهضة العربية . ط١٩٨٧.١م . ١/٢٠٠وما بعده.

(٤٠) ردة الله بن ردة : دلالة السياق : رسالة دكتوراه . كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . ١٤١٨هـ . ص ٢٤٣ .

(٤١) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ . ص ٢١٣، إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ ص ٢١٤

(٤٢) يُنظر: سلوى السيد حمادة : المعالجة الآلية للغة العربية المشاكل والحلول . دار غريب . ط١ . القاهرة . ٢٠٠٩م . ص٢٣٨ .

(٤٣) يُنظر: محمد زكي: اللغة العربية والترجمة الآلية المشاكل والحلول . ط١ . دار غريب . القاهرة . ٢٠٠٩م . ص١ .

(٤٤) تهدف هذه المرحلة إلى فهم المقصود الصحيح من هذا النَّص.

(٤٥) وهو النوع المقصود بالدراسة في هذا البحث.

(٤٦) يُنظر: محمد رشاد حمزاوي : في لغة الصحافة وتعريب العلوم ، قضاياها وإشكالاتها ومناهج دراستها . مجلة اللسان العربي . مكتب تنسيق التعريب . عدد ٥٦ . د.ت / سلوى السيد حمادة : المعالجة الآلية للغة العربية المشاكل والحلول، عبدالله الحميدان: مقدمة في الترجمة الآلية، محمود إسماعيل صالح: الترجمة الآلية التطورات الجديدة، محمد زكي: اللغة العربية والترجمة الآلية المشاكل والحلول . مؤتمر التعريب الحادي عشر . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . عمان . ٢٠١٨م / الحاسوب والبحث اللغويّ المدونات اللغويَّة نموذجا . الرياض . جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن . منشورات كرسي . صحيفة الجزيرة للدراسات اللغوية الحديثة . ٢٠١٢م/ محمد حسن عصفور : تأثير الترجمة على اللغة العربية . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية . المجلد الرابع . العدد الثاني . ٢٠٠٤م.

(٤٧) محمد زكي: اللغة العربية والترجمة الآلية ص٤ وما بعدها.

(٤٨) للمزيد يُنظر : محمد زكي: اللغة العربية والترجمة الآلية ص٤ وما بعدها.

(٤٩) للمزيد يُنظر : محمد أحمد محمود حماد : غموض الدلالة؛ أأنماطة وعوامله ووسائل التخلص منه . رسالة دكتوراه . كلية دار العلوم . جامعة القاهرة . ١٩٨٦م.

(٥٠) أحمد الحملاوي : شذا العرف في فن الصرف . دار الفكر العربي . بيروت . ١٩٩٩ . ص٩ .

(٥١) الوسيط (ج ب ن).

(٥٢) اللسان (ج ب ن).

(٥٣) أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة (خ ي ر).

(٥٤) المعجم الوسيط (ح د ث) ، أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة (ح د ث).

(٥٥) أحمد الحملاوي : شذا العرف في فن الصرف . طبعة دار الكيان . د.ت . ص ٥٥ .

(٥٦) المعجم الوسيط (سال).

(٥٧) أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة (س أ ل).

(٥٨) أحمد مختار عمر: اللغة العربية المعاصرة (س أ ل).

(٥٩) المعجم الوسيط (ع ي ش).

(٦٠) المعجم الوسيط (ر ف ع).

(٦١) مبارك مبارك : المصطلحات الألسنية، فرنسي ، إنجليزي، عربي . دار الفكر اللبناني . بيروت . ط١ . ١٩٩٥م . ص١٩٨ .

(٦٢) بيار جورج : معجم المصطلحات الجغرافية . ترجمة : حمد الطفيلي، هيثم اللمع . المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع . ط٢ . ٢٠٠٢م . ص ٦٥٤.

(٦٣) ُ ينظر : ابن رشيق القيرواني : العمدة . دار الكتب العلميَّة . بدون . ٢٠٠١م . ١/ ٢٤ . عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة . إحياء التراث العربي . بدون . ٢٠٠٥م . ص٢٢ / الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) . دار الكتب العلميَّة . بدون بيروت . لبنان . ص ٢٦٦ / للمزيد من تعريفات القدماء للاستعارة يُنظر:عبد العزيزعتيق: علم البيان . دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت — لبنان . بدون – ١٩٨٢ م . ص ١٧٣ : ص ١٧٥ .

(٦٤) للمزيد يُنظر : على محمود : الأفعال الإنجازية ص ١٥٠ وما بعدها.

(٦٥) يُنظر : محيط المحيط، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية المعاصر (ر أ س).

(٦٦) الجرجاني : التعريفات ص ١٦٤ .

(٦٧) يُنظر : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . ٨/ ٢٧٧ ، يوسف أبو العدوس : النظرية التفاعلية للاستعارة . ص ٢٢٧.

(٦٨) القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة . وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين . منشورات دار الكتب العلمية . ط١ . ٢٠٠٣م . ص ٢٨٨، محمد قاسم مصطفى : محمد بن كناسة الأسدي حياته وشعره . مجلة آداب الرافدين . الموصل . ١٩٧٥م . ص ٣١٣.

(٦٩)– Linder.D. Translating Abbreviations from Text into English, the American Translators Association Chronicle ٩, P١٩٩٩, ٥٣-٥٩.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس، (١٩٩٧م)، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو،ط٣، القاهرة.
- أحمد الحملاوي،(١٩٩٩م)، شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر العربي، ط١، بيروت.
- أحمد مختار عمر:
  - (٢٠٠٣م)، علم الدلالة، عالم الكتب، ط٥، القاهرة.
  - (٢٠٠٨م)، اللغة العربية المعاصرة،عالم الكتب، ط١، القاهرة.
- ألفة يوسف: تعدد المعنى في القرآن الكريم ، دار سحر للنشر، كلية الآداب ، ط٢، منوبة، تونس.
- باهر محمد الجوهري،(٢٠١٩م)، ترجمة الشعر بين الألمانية والعربية، منشور في كتاب المؤتمر الثالث لقسم اللغة العربية بكلية الألسن، جامعة عين شمس (العربية وقضايا الترجمة الآن)، القاهرة .
- بطرس البستاني،(١٩٨٧م)، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مطبعة،ط١، لبنان.
- حسام البهنساوي،(٢٠٠٣م)، التوليد الدلالي دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- حفناوي بعلي،(د.ت)، الترجمة وجماليات التلقي المبادلات الفكرية والثقافية، ط١، دار اليازوري للطباعة والنشر، الأردن.
- الخطيب القزويني،(٢٠٠٣)، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط١، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.
- ردة الله بن ردة،(١٤١٨هـ)، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى ، السعودية.
- ابن رشيق القيرواني،(٢٠٠١م)، العمدة، دار الكتب العلميَّة، ط . ١، لبنان، بيروت.
- رمزي منير بعلبكي،(١٩٩٠م)، معجم المصطلحات اللغويَّة، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، لبنان.
- رمضان عبد التواب،(١٩٩٤م)، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي،ط٣، القاهرة.
- سامي عياد حنا، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس،(١٩٩٧م)، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون ،ط١، بيروت.
- سلطان بن ناصر المجيول،(١٤٤٥هـ)، البحث اللغويّ في المدونات العربية الحاسوبية بين الممكن والمحتمل والمأمول، كتاب المدونات اللغوية بناؤها وطرائق الإفادة منها، صدر عن مركز الملك عبد الله للتخطيط والسياسات اللغوية والذي جرى دمجه في مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ، ط١، الرياض.
- سلوى السيد حمادة،(٢٠٠٩م)، المعالجة الآلية للغة العربية المشاكل والحلول، دار غريب ، ط١ ، القاهرة.

- سلوى العوا،(١٩٩٨م)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، بتقديم الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار الشروق، ط١ ، القاهرة.
- صالح العصيمي : لسانيات المتون وعلوم اللغة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس ، العدد التاسع عشر، المغرب.
- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد،(١٩٥٩م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، مصر.
- عبدالرحمن جلال الدين السيوطي،(١٩٩٨م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، ط١، مصر.
- عبد الرحمن صالح،(١٩٩٩م)، ورقة حول مشروع الذخيرة اللغوية ، مجلة اللسان العربي ، العدد٤٨، المغرب.
- عبد العزيزعتيق،(١٩٨٢م)، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، بيروت ، لبنان.
- عبد الغني أبو العزم،(٢٠٠٠م)، اللغة العربية والمعالجة الآلية: برامج صخر نموذجًا، .مجلة فكرونقد، العدد ٣١، المغرب.
- عبدالقاهر الجرجاني،(٢٠٠٥م)، أسرار البلاغة، إحياء التراث العربي، ط١، لبنان.
- عبد الله الحميدان،(٢٠٠٠م)، مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض.
- عبد الله شمس الدين الذهبي،(٢٠٠٤م)، سير أعلام النبلاء ، رتبه واعتنى به: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية لنشر، ط١، لبنان.
- عبود عبده،(٢٠٢١م)، العلاقات الأدبية السورية الألمانية المعاصرة، مجلة جامعة دمشق، عدد فبراير، دمشق.
- عز الدين إسماعيل،(٢٠٠٠م)، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، مكتبة غريب للنشر، ط١، القاهرة.
- على أبو لاجي عبدالرازق،(٢٠١٢م)، ظاهرة التعدد الدلالي في المعاجم العربية الحديثة عرض ونقد، مجلة جهار للبحوث الإسلامية والاجتماعية المتقدمة، العدد الثاني ، ماليزيا.
- على محمود،(٢٠١٠م)، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة دراسة دلاليَّة ومعجم سياقي، مكتبة الآداي، ط١، القاهرة.
- أبو الفرج الأصفهاني،(٢٠٠٢م)، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، ط١، بيروت.
- أبو القاسم سعدالله،(٢٠١٢م)، إشكالية تعدد معاني ودلالات الألفاظ في الترجمة، مجلة الترجمة واللغات، منشورات جامعة الجزائر، يناير، الجزائر.
- ماهر عيسى،(٢٠٠٦م)، الارتقاء بتعليم العربية التقليدي إلى المستوى الإلكتروني، بحث مقدم إلى ندوة تطوير المناهج والاختصاصات الجامعية ، جامعة حلب ،٣٠-٣١ أيار ، حلب.
- مبارك مبارك،(١٩٩٥م)، المصطلحات الألسنية(فرنسي . إنجليزي . عربي)، دار الفكر اللبناني،ط١، بيروت.
- مجموعة من الباحثين،(٢٠١٢م)، الحاسوب والبحث اللغويّ المدونات اللغويَّة نموذجًا، جامعة ألميرة نورة بنت عبدالرحمن، منشورات كرسي صحيفة الجزيرة للدراسات اللغويَّة الحديثة، الرياض.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(١٩٦٩م)، المعجم الوسيط، ط١، القاهرة.
- محمد أحمد محمود حماد،(١٩٨٦م)، غموض الدلالة أنماطة وعوامله ووسائل التخلص منه، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، القاهرة.

- محمد رشاد حمزاوي،(د.ت)، في لغة الصحافة وتعريب العلوم قضاياها وإشكالاتها ومناهج دراستها ، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، عدد ٥٦ ، الرباط.
- محمد زكي،(٢٠٠٩م)، اللغة العربية والترجمة الآلية المشاكل والحلول، دار غريب ، ط١، القاهرة.
- محمد حسن عبدالعزيز،(١٩٨٧م)، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة.
- محمد حسن عصفور،(٢٠٠٤م)، تأثير الترجمة على اللغة العربية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثاني، الشارقة.
- محمد الخولي:
  - (١٩٨٦م)، معجم علم اللغة التطبيقي، مكتبة لبنان، ط١، بيروت.
  - (١٩٩١م)، معجم علم اللغة النظري، طبعة جديدة، مكتبة لبنان،ط١، بيروت.
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،(د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة حكومة الكويت، الكويت.
- محمد على الزركان،(١٩٩٣م)، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب، المؤتمر الدولي الأول "اللغة العربية والتقنيات المتقدمة"، مكتبة الملك عبد العزيز، ط١، الرياض.
- محمد عناني،(٢٠٠٠م)، فن الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط٥ . القاهرة.
- محمد قاسم مصطفى،(١٩٧٥م)، محمد بن كناسة الأسدي حياته وشعره، مجلة آداب الرافدين، ط١، الموصل.
- محمد بن مكرم بن على ابن منظور،(١٩٩٨م)، لسان العرب، دار صادر،ط٥ بيروت.
- محمود إسماعيل صالح،(١٤٤٥هـ)، المدونات اللغوية وكيفية الإفادة منها، كتاب المدونات اللغوية بناؤها وطرائق الإفادة منها، صدر عن مركز الملك عبد الله للتخطيط والسياسات اللغوية والذي جرى دمجه في مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية،ط١، الرياض.
- منير سويداني،(٢٠٠٩م)، الترجمة ودورها في ردم الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب، مجلة المعرفة، سورية، العدد ٥٢، أيلول، سورية.
- مها الربيعة، عبد الرحمن صالح،(١٩٩٩م)، المعالجة الآلية للغة العربية، مكتبة البيان، ط١، بيروت.
- ابن النديم،(١٩٩٧م)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، لبنان.
- نعمان بوقرة،(٢٠١٢م)، استراتيجيات الإقناع في الخطاب الصحفي السعودي دراسة نصية تداولية مقاربة تطبيقية على مدونة صحيفة الجزيرة، جامعة الأميرة نورة ، الرياض.
- يوسف أبو العدوس،(١٩٩٧م)، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط١، الأردن.
- يوسف صالح،(٢٠١٠م)، التعدد الدلالي وأثره في الخلاف الفقهي، رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء، صنعاء.

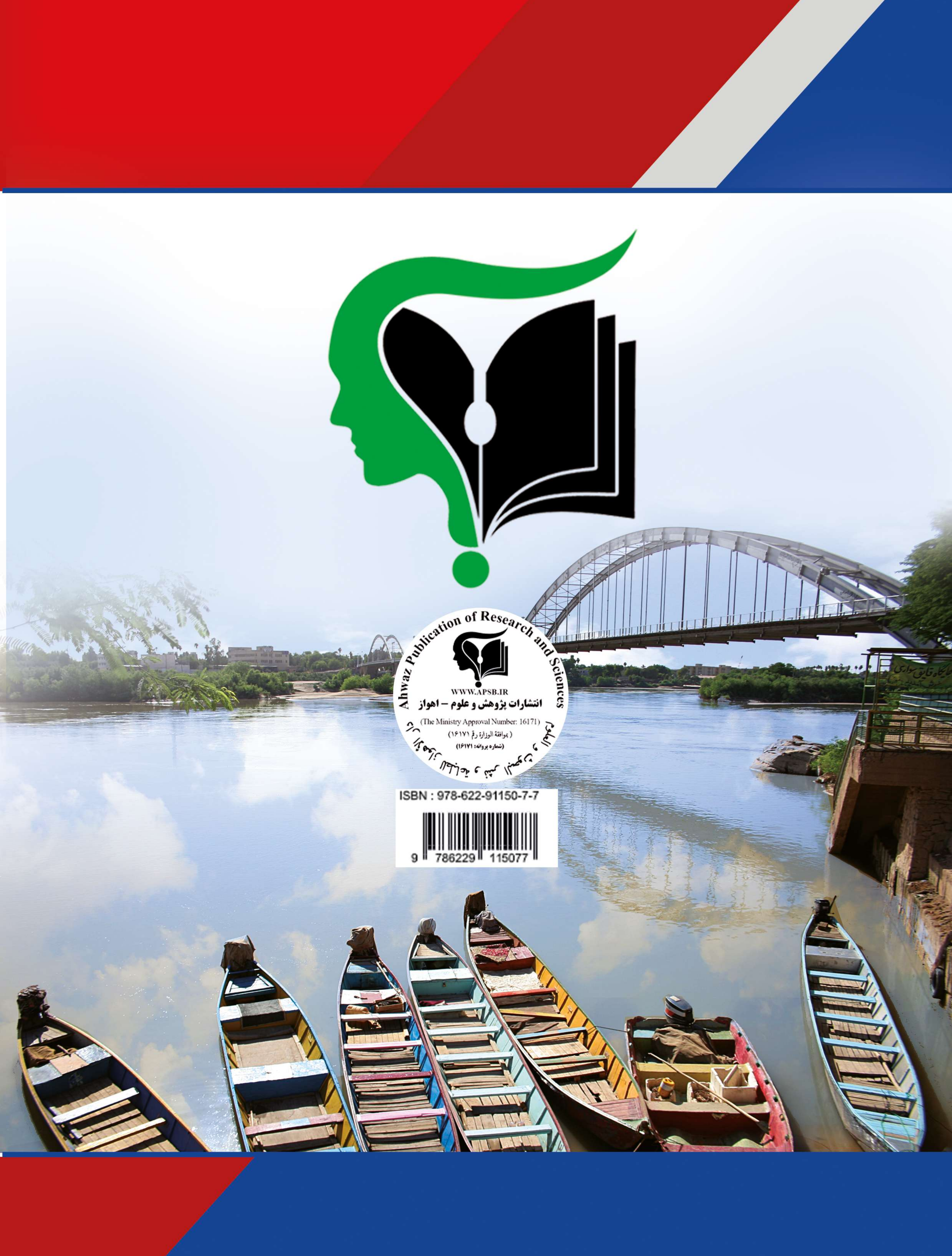
المراجع المترجمة

- آلان بونيه،(١٩٩٣م)، الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، ترجمة: على صبري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، الكويت.

- بالمر ،(١٩٩٨م)، علم الدلالة إطار جديد ، ترجمة: الدكتور صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، ط١، الأسكندرية.
- بيار جورج،(٢٠٠٢م)، معجم المصطلحات الجغرافية ، ترجمة: حمد الطفيلي، هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط٢، بيروت.
- جون ليونز،(١٩٨٧م)، اللغة وعلم اللغة، ترجمة وتعليق: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، ط١، مصر.
- ستيفن أولمان،(١٩٨٧م)، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ط١، القاهرة.

المراجع الأجنبية

- Aijmer, K, and Altenberg, B: English Corpus Linguistics, London and New York, Longman, ١٩٩١.
- Linder.D. Translating Abbreviations from Text into English, the American Translators Association Chronicle ٩, ١٩٩٩.
- Meyer, c: English Corpus Linguistics: An Introduction, Cambridge: Cambridge University.
- Michael Cronin; Translation and Globalization, London, New York; Routledge Taylor, Francis, ٢٠١١.


Ahwaz Publication of Research and Sciences
WWW.APSB.IR
انتشارات پژوهش و علوم – اهواز
(The Ministry Approval Number: 16171)
(بموافقة الوزارة رقم ١٦١٧١)
(شماره پروانه: ۱۶۱۷۱)
ISBN : 978-622-91150-7-7
9 786229 115077